أجاثا كريستي
لغز الكاريبي
مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

لغز الكاريبي

رواية بوليسية

1964

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

إهداء

إلى صديقى العزيز

جون كروكشانك روز

الذى تجمعنى معه ذكريات سعيدة

فى جزر الهند الغربية

الفصل الأول

الرائد بلجراف يروى حكاية

قال الرائد بلجراف:

"دعينى أوضح لك كل هذا اللغو الدائر حول كينيا، فالكثير من الناس يتحدثون عنها وهم لا يعرفون أى شىء عن هذا المكان، ولكن دعينى أحدثك أنا عنها، فقد قضيت أربعة عشر عاماً من عمرى هناك، وهى بالمناسبة كانت من أفضل سنوات عمرى أيضا"،...

هنا أطرقت الآنسة ماربل.

كان هذا الإطراق تعبيرا مهذبا عن المجاملة لما قاله الرائد بلجراف. وبينما استمر الرائد بلجراف فى سرد ذكريات حياته غير الممتعة، استغرقت الآنسة ماربل فى أفكارها بهدوء. لقد كان هذا مجرد شىء روتينى تعودت عليه، ولكن كان المكان مختلفاً. ففى الماضى كانت القصص التى تسمعها تدور عن الهند، وكانت تسمعها على لسان رواد عقداء وملازمى وجنرالات الجيش وكانت تسمع العديد من الكلمات المألوفة مثل: مدينة سيملا، والعتالين، والنمور، والشوتاهازرى ومدينة تيفن، وكيتماجارس، وأشياء من هذا القبيل. أما بالنسبة للرائد بلجراف فقد كانت الكلمات التى يستخدمها مختلفة إلى حد ما، مثل سفارى؛ كيكويو، فيلة، اللغة السواحيلية. ولكن القاسم المشترك بين كل هؤلاء الرجال هو أنهم رجال مسنون يحتاجون إلى من يسمعهم حتى يستعيدوا ذكريات الأيام التى كانوا يعيشونها فى سعادة، تلك الأيام التى كان فيها الرجل منهم لايزال ظهره مستقيماً، ونظره ثاقباً، وسمعه حاداً. وكان من بين أولئك المتحدثين من تمتعوا بالوسامة والبسالة، وكان البعض الآخر لا يتمتع بأية وسامة على الإطلاق، وكان الرائد بلجراف ينتمى إلى هذا الصنف الثانى، فقد كان وجهه ممتقعاً وكانت إحدى عينيه زجاجية، وشكله بصورة عامة يخلو من أى سمات الوسامة أو الجاذبية.

كانت الآنسة ماربل تغدق عليهم جميعاً بلطفها ودماثة خلقها، فقد كانت تستمع إليهم باهتمام وتومئ برأسها من حين لآخر كى تظهر لهم اهتمامها، بينما كان عقلها يسرح فى عالمها الخاص ويحظى بالمتعة من أى شىء يخطر عليه، وفى تلك اللحظة كان عقلها قد سرح فى تلك الزرقة الداكنة للبحر الكاريبى.

"يالكرم العزيز ريموند"، هكذا فكرت فى داخلها بامتنان. كان هذا كرماً شديدا منه... أن يفعل كل هذا من أجل عمته العجوز ويتحمل هذا العناء. لم تكن تعرف سبب ما فعله حقاً، ربما يكون بدافع الخير المتأصل فيه، أو ربما من أجل صلة الرحم؟ أو ربما يكون حقـًا باراً بعمته العجوز...

رجحت الآنسة ماربل أنه فعل ذلك حباً فيها، فقد كان دائماً باراً بها بطريقته الخاصة طريقة كان يشوبها بعض الحنق والمهانة! فقد كان يحاول أن يجبرها على مواكبة العصر الحديث، من خلال إرساله لها كتباً لتقرأها تلك الروايات المعاصرة الصعبة التى تحكى عن أشخاص كريهين، يقومون بأشياء غريبة لا يستمتعون بها. كان الحديث عن العلاقات الزوجية الحميمة محظوراً فى أيام شباب الآنسة ماربل، ولكن رغم ذلك كان الأزواج يتمتعون بعلاقاتهم الزوجية الحميمة آنذاك أكثر مما هو الحال مع أزواج اليوم، الذين لا يجدون حرجاً من التحدث عنها علانية.

انتقلت نظراتها لبرهة إلى الكتاب الموضوع على حجرها والمفتوح على الصفحة الثالثة والعشرين والتى كانت قد وصلت فى قراءتها إليها (وفى الواقع، بقدر ما استطاعت أن تفهم).

كان ريموند دائماً ما يقول لعمته:" عمتى الحبيبة جين، لماذا تدفنين رأسك فى الرمال مثل النعام وتهربين من الواقع بالانغماس فى تلك الحياة الريفية المثالية التى تعيشينها؛ يجب أن تعيشى الواقع هذا هو كل ما يهم".

شعر الاثنان بالخجل والارتباك ريموند وعمته واضطرت عمته إلى الموافقة حتى لا تبدو رجعية التفكير.

ورغم كل شىء، كانت الحياة الريفية فى الواقع غير مثالية على أى حال؛ فالأشخاص من أمثال ريموند كانوا جاهلين للغاية. لقد حظيت الآنسة ماربل بمعرفة واسعة بعالم الريف أثناء عملها فى إحدى الجمعيات الدينية بإحدى القرى، ولم يكن هناك ما يجبرها على التحدث عن ما عايشته ورأته هناك ناهيك عن الكتابة عنه. لقد كان هناك الكثير من العلاقات الشرعية وغير الشرعية، وكان هناك فساد واغتصاب وجرائم، وكل أنواع الانحراف. (حتى أن هناك بعض أنواع الانحراف التى لم يسمع عنها مؤلفوا الكتب الأذكياء من خريجى أوكسفورد).

عادت الآنسة ماربل إلى الكاريبى وانتبهت لما كان يقوله الرائد بلجراف.

قالت بحماس، " يالها من تجربة مذهلة تلك التى مررت بها أيها الرائد، إنها ممتعة حقاً".

قال لها الرائد بلجراف:" إن فى جعبتى المزيد من القصص، بعضها بالطبع لا يصلح لأن يحكى على مسامع امرأة...".

وبكل ثقة ورزانة أطرقت الآنسة ماربل بنظرها إلى الأرض كعادتها، وواصل الرائد

بلجراف سرد حكاياته المنقحة عن العادات القبلية بينما استغرقت هى فى أفكارها عن ابن أخيها الحنون.

إن ريموند ويست روائى ناجح، وهو يجنى من عمله هذا دخلاً كبيراً، ولقد قام بكل ما يستطيع فعله وما يمليه عليه ضميره تجاه عمته لكى يجعل حياتها أكثر راحة، فعندما أصيبت عمته خلال الشتاء الماضى بالتهاب رئوى، وأشار عليها الطبيب بالتعرض إلى أشعة الشمس. اقترح ريموند على عمته بأسلوب مهذب أن تقوم برحلة إلى جزر الهند الغربية. واعترضت الآنسة ماربل بسبب تكلفة الرحلة والمسافة الطويلة التى ستقطعها وصعوبات السفر، وأيضاً لأنها ستترك بيتها فى سانت مارى ميد. ولكن استطاع ريموند أن يذلل كل تلك الصعوبات. وأخبرها أن أحد أصدقائه المؤلفين يرغب فى المكوث بمكان ريفى هادئ، وقال لها:" سوف يعتنى بالبيت، لا تقلقى. إنه يحب دائماً الاعتناء بالمنازل. إنه غريب الأطوار. أعنى ــ"

توقف ريموند عن الكلام فجأة، بعد أن شعر بشئ من الإحراج ولكن بالتأكيد سمعت عمته العزيزة جين عن غريبى الأطوار من قبل.

استكمل ريموند حديثه عن كيفية تذليل الصعوبات الأخرى التى من الممكن أن تواجهها أثناء السفر. وأخبرها أن السفر ليس مرهقا فى تلك الأيام. وأنها تستطيع أن تسافر بالطائرة. وبالإضافة إلى ذلك فهناك صديقة أخرى له تدعى ديانا هاروكس كانت فى طريقها إلى ترينداد سوف تطمئن على حالها حينما تصل هناك، وسوف تنزل فى سانت هونورى فى فندق جولدن بالم الذى يقوم آل ساندرسون بإدارته. واللذان هما أفضل زوجين فى العالم. وسوف يسهران على راحتها بشكل دائم.

وبمجرد وصولها إلى هناك كان آل ساندرسون قد عادوا إلى إنجلترا. ولكن تلاهم آل كندال فى إدارة الفندق؛ وهم أشخاص ودودون. وقد طمئنوا ريموند من جهة الاهتمام بعمته وهى فى الفندق. وأخبروه بوجود طبيب فى الجزيرة يمكنه التعامل مع الحالات الطارئة، وسوف يطمئنوا عليها بأنفسهم ويلبوا لها كل ما تحتاج.

وقد وفّى آل كندال بوعدهم الذى قطعوه لريموند. وقد كانت مولى كندال فتاة شقراء طيبة فى العشرين من عمرها، وكانت دائماً ما تتمتع بروح مرحة. رحبت مولى بالسيدة العجوز بحرارة وقامت بكل ما يلزم من أجل راحتها. وزوجها تيم كندال، وهو شخص نحيل، ذا بشرة داكنة، فى الثلاثينيات من عمره، يتمتع بطيبة وكرم بالغين.

وهكذا، جلست الآنسة ماربل تفكر فى حالها، وهى هنا، بعيدة عن مناخ إنجلترا قارس البرودة، تعيش فى كوخ جميل خاص بها، وترى فتيات جزر الهند الغربية البشوشات الودودات اللاتى يقمن بخدمتها، وتخيلت تيم كندال فى غرفة الطعام يطلعها على قائمة طعام اليوم، والممر الممهد الذى يصل من كوخها إلى شاطئ البحر عند مكان جلوس المصطافين. كان من بين المصطافين بعض المسنين، منهم السيد رافيل العجوز، والدكتور جراهام، وبريسكوت رجل الدين وأخته، ورفيقها الذى تجلس معه الآن الرائد

بلجراف.

ما الذى يمكن أن تتمناه سيدة عجوز أكثر من هذا؟

ولكن بكل أسف كانت الآنسة ماربل لا تستمع بكل هذا كما كانت تتوقع، وهو الأمر الذى يجعلها تشعر بالحرج حتى من الاعتراف به لنفسها.

نعم، إن الجو جميل ودافئ، ومفيد للغاية للروماتيزم الذى تعانى منه والمشهد أمامها رائع، ولكن على الرغم من ذلك كانت تجد وضع الحياة هنا مملا إلى حد ما؛ فهناك الكثير من أشجار النخيل. كل شىء على نفس حالته كل يوم لا يحدث له تغيير أبداً. ليس الحال مثل سانت مارى ميد حيث دائماً ما يحدث شىء جديد. ذات مرة شبه ابن أخيها الحياة فى سانت مارى ميد بالمياه الراكدة، فأشارت هى، بحنق، إلى أنه من الممكن أن تحتوى نقطة صغيرة من تلك المياه الراكدة عند وضعها على الشريحة الزجاجية تحت الميكروسكوب على العديد من الكائنات. نعم، دائماً ما كان يحدث شىء ما فى سانت مارى ميد. عبرت حادثة تلو الأخرى فى رأس الآنسة ماربل، خطأ مدام لينيت فى دواء السعال الخاص بها السلوك الغريب لبوليجات الصغير الوقت الذى أتت فيه والدة جورجى وود لتراه (ولكن هل كانت والدته حقاً؟) السبب الحقيقى وراء النزاع بين جونى آردن وزوجته. العديد من المشاكل الإنسانية التى استدعت ساعات طويلة من التفكير الممتع. لو أن هذا يحدث هنا فى الكاريبى فسوف يستقر تفكيرها ويجعلها تستغرق فى دور المحللة النفسية أو المخبرة السرية.

أفاقت الآنسة ماربل فجأة من خواطرها على حقيقة أن الرائد بلجراف ترك الحديث عن كينيا واتجه إلى الجبهة الشمالية الغربية، وانخرط فى الحديث عن تجاربه كملازم أول فى الجبهة، ولسوء الحظ أفاقت على أخر جملة نطقها وهى:" ألا تتفقين معى فى ذلك؟"

جعل التمرس الطويل من الآنسة ماربل خبيرة فى التعامل مع مثل هذه المواقف فأجابته قائلة:

" لا أشعر حقيقة أننى أتمتع بخبرة بما فيه فى تلك الأمور لكى أحكم. لقد عشت حياة منعزلة ".

صاح ميجور بلجراف بكياسة:" بالطبع، سيدتى العزيزة، بالطبع يجب أن تكونى كذلك".

استكملت الآنسة ماربل كلامها، وهى حريصة على تعويض الرائد بلجراف عن عدم انتباهها لحديثه وقالت: "لقد عشت حياة مليئة بالأحداث يا سيدى الرائد".

قال الرائد بلجراف برضا:" لم تكن سيئة، لم تكن سيئة على الإطلاق". ثم نظر حوله بسعادة، ثم قال: "إن هذا المكان جميل".

فقالت الآنسة ماربل:" نعم بالتأكيد" ولم تستطع أن توقف نفسها عن الاستمرار فى الحديث، فقالت: " إننى أتسائل، ألا يحدث أى شىء هنا؟"

حملق فيها الرائد بلجراف، ثم قال:

"أوه، الكثير من الأشياء تحدث هنا، الكثير من الفضائح، يمكننى أن أسرد لك..."

ولكن فى الحقيقة لم تكن الفضائح هى ما تريد سماعه الآنسة ماربل. ليس هناك شىء مثير فى الفضائح هذه الأيام. مجرد نساء ورجال يتناوبون خيانة بعضهم البعض ويجاهرون بما يفعلونه بدلاً من الشعور بالخزى وإخفاء ما اقترفوا من إثم.

قال:" لقد كانت هناك حادثة قتل منذ سنتين هنا. رجل يدعى هارى ويسترن. لقد نُشر هذا الخبر فى العديد من الصحف. أظن أنك ربما تكونين قد سمعت بها".

هزت الآنسة ماربل رأسها بدون اهتمام. لم يكن هذا النوع الذى تفضله من الجرائم. لقد نُشر هذا الخبر فى الصحف بكثرة؛ لأن كل من مسه الموضوع كان من الأثرياء. كان من الواضح أن هارى ويسترن أطلق الرصاص على كونت دى فيرارى عشيق زوجته، وكان من الواضح أنه قام بدفعِ رشوة من أجل أن يتم إثبات حجة غيابه عن مكان الجريمة وقت حدوثها؛ فقد ذُكرِ فى ملف القضية أن كل الأشخاص كانوا سكارى، وكان عدد منهم من مدمنى المخدرات. أحست الآنسة ماربل بأنهم أشخاص غير مثيرين للاهتمام، على الرغم من مظهرهم الجذاب ولكن مثل هذا النوع من الجرائم لم يكن يستهويها.

أومأ الرائد بلجراف برأسه قائلاً:" ولو أنك سألتنى، فسأقول لك إن تلك الحادثة لم تكن حادثة القتل الوحيدة فى هذا الوقت، فهناك قصة أخرى كانت تدور حولها الكثير من الشكوك على الأقل من جانبى..."

أسقطت الآنسة ماربل كرة الخيط من يدها، فانحنى الرائد بلجراف والتقطها.

واستمر فى حديثه قائلاً:" بمناسبة الحديث عن القتل، لقد تعرضت ذات مرة لقضية غريبة بشكل شخصى بالطبع".

ابتسمت الآنسة ماربل بصورة مشجعة، فأردف قائلاً:

"فى أحد الأيام كان هناك بعض الرجال يتحدثون فى أحد المقاهى، وبدأ أحدهم يسرد قصة. كان هذا الشخص يعمل بمهنة الطب، وهذه واحدة من قضاياه. جاءه شاب يقرع الباب فى منتصف الليل. لقد شنقت زوجته نفسها ولم يكن عندهم هاتف فى المنزل، ففعل الشاب كل ما فى وسعه لإنقاذها، ثم أخرج سيارته وانطلق مسرعًا باحثًا عن طبيب. لم تكن زوجته قد ماتت بعد، ولكنها كانت غائبة تمامًا عن الوعى. على كل حال، اجتازت تلك المرأة المرحلة الصعبة. كان من الواضح أن الشاب مولع بها. فقد كان يصرخ مثل الطفل من خوفه عليها. ذكر الشاب أنه لاحظ غرابة سلوكها لفترة،

فقد كانت تنتابها نوبات من الاكتئاب والإحباط، وبعد مرور شهر أخذت الزوجة جرعة كبيرة من الحبوب المنومة ورحلت عن الحياة. يا لها من قصة تعيسة".

توقف الرائد بلجراف عن الحديث وهز رأسه مرات عديدة. فى حين بدا أن للحديث بقية. انتظرت الآنسة ماربل أن يكمل قصته.

"من الممكن أن تقولى إن الأمر انتهى عند هذا الحد. لا يوجد شىء آخر. لا يوجد شىء غير طبيعى، مجرد امرأة مصابة بمرض عصبى. ولكن بعد حوالى سنة كان هذا الطبيب يتبادل الحديث مع طبيب آخر محدثاً إياه عن سيدة حاولت إغراق نفسها، واستطاع الزوج إخراجها، وأحضر الطبيب، واستطاعا إنقاذها وبعد بضعة أسابيع قتلت نفسها بالغاز.

"قد يبدو الأمر مصادفة أليس كذلك؟ نفس القصة تقريباً. قال الطبيب الأول للطبيب الثانى ـ" لقد قابلت قضية مثل هذه." كان الزوج اسمه جونز (أو أياً كان الاسم) ماذا كان اسم رجلك؟" فأجابه الطبيب الثانى:،" لا أتذكر، أعتقد أن اسمه كان روبنسون، ولكن ليس جونز بالتأكيد".

"وعندها، نظر الطبيبان إلى بعضهما البعض وقالا إن هذا غريب جداً. بعد ذلك أخرج الطبيب الأول صورة فوتوغرافية لكى يريها للطبيب الآخر. وقال له:" هذا هو الرجل، لقد ذهبت اليوم التالى لتفحص تفاصيل القضية فلاحظت وجود عدد هائل من نبتة الخبازى بجانب الباب الأمامى بالضبط، لقد وجدت مجموعة متنوعة لم أرى مثلها من قبل فى تلك البلدة. وكانت الكاميرا خاصتى فى السيارة، فأتيت بها وأخذت صورة للنبته. وفى اللحظة التى قمت فيها بالضغط على زر الكاميرا خرج الزوج من الباب الأمامى لذا التقطت صورته أيضاً. أعتقد أنه لم يلحظ هذا. سألته عن نوع فصيلة نبات الخبازى ولكنه لم يعرف اسمها. نظر الطبيب الأخر فى الصورة وقال:" صورة الرجل ليست واضحة تماماً ولكننى أستطيع أن أجزم بل أنا متأكد من أنه هو نفس الشخص ".

"لا أعرف إن كانوا قد استمروا فى البحث أم لا، ولكن إن كانوا قد قاموا بهذا فإنهم لم يصلوا إلى أى شىء. أعتقد أن السيد جونز أو روبنسون استطاع إخفاء آثاره جيداً. ولكنها قصة غريبة، أليست كذلك؟ لا أعتقد أنه من الممكن أن تحدث أشياء كهذه".

قالت الآنسة ماربل بهدوء:" ولكنى أعتقد هذا، إنها تحدث كل يوم".

"أوه، هذا ليس صحيحاً، إنه أمر خيالى جداً".

"إذا استطاع الرجل أن يتوصل لطريقة ناجحة للقيام بهذه الأعمال فإنه لن يتوقف. سوف يستمر فيما يقوم به".

"شابات مقتولات فى حوض الاستحمام، وأمور من هذا القبيل أليس كذلك؟"

"نعم، الكثير من مثل تلك الأمور".

"فلتدعنى أُلقِ نظرة على تلك الصورة، بدافع من الفضول ــ"

شرع الرائد بلجراف فى البحث داخل محفظته المكتظة للغاية، متمتماً:" الكثير من الأشياء فى تلك المحفظة لا أعرف لماذا أحتفظ بكل هذه الأشياء".

اعتقدت الآنسة ماربل أنها تعرف سبب احتفاظه بهذه الأشياء. لقد كانت تلك الأشياء أدوات مهنته. لقد مثلت تلك الأشياء مخزوناً من القصص. لقد شكت الآنسة ماربل أن القصة التى حكاها للتو لم تكن تفاصيلها فى الأصل كما قصها هو، بل ربما يكون تكرار قصها قد صقلها وأضاف إليها الكثير من التفاصيل التى أتت من خيال الرائد بلجراف ذاته.

كان الرائد بلجراف لايزال يتمتم ببعض الكلمات "لقد نسيت كل شىء عن هذا الأمر. لقد كانت امرأة جميلة، لم أكن لأتصور ذلك أبداً الآن أين هى نعم هذا يعود بذاكرتى إلى اللعنة! يجب أن أريك ــ"

ثم توقف الرائد بلجراف فجأة ثم أخرج صورة فوتوغرافية صغيرة وأمعن النظر بها.

قالت الآنسة ماربل:" أحب أن أرى صورة القاتل".

وكان على وشك أن يعطيها إياها عندما توقفت حركته فجأة، وبدا أكثر قبحاً وبدانة أكثر من أى وقت مضى، وأخذ يحملق جهة كتفها الأيمن وبعد ذلك جاء صوت وقع أقدام وأصوات أشخاص يتحدثون بالقرب منهما.

قال الرائد بلجراف:" حسنًا، اللعنة أعنى ـ" ثم أعاد كل شىء مرة أخرى إلى محفظته وقام بوضعها بسرعة فى جيبه.

تحول لون وجهه إلى الأرجوانى الداكن وصاح بصوت عال ومصطنع:

"وكما كنت أقول أردت أن أريك أنياب الفيل تلك أكبر فيل اصطدته فى حياتى أوه، مرحباً!"

قال العبارة الأخيرة ببهجة وحماسة زائفتين.

"انظرى من هنا! الرباعى الرائع فلورا وفونا يا لحظك الرائع اليوم أليس كذلك؟"

اتضح أن وقع الأقدام المقتربة كان لأربعة من ساكنى الفندق الذين عرفتهم الآنسة ماربل بمجرد رؤيتهم. يتكون هذا الرباعى من زوجين، وعلى الرغم من أن الآنسة ماربل لم تكن تعرف ألقابهم حتى الآن، إلا إنها عرفت أن هذا الرجل الضخم ذا الشعر الرمادى الكث يدعى جريج، وتدعى زوجته الشقراء ذات البشرة الذهبية تلك لاكى وأن الزوجين

الآخرين الرجل النحيف ذا البِشرة الداكنة، والمرأة الجميلة التى اكتسبت بشرتها اللون البرونزى بسبب الشمس يُدعيان إدوارد وإيفلين لقد عرفت الآنسة أنهما عالما نباتات، وهما يهتمان أيضاً بالطيور.

قال جريج: " ليس لدينا حظ على الإطلاق، على الأقل لم يحالفنا الحظ فيما كنا نبحث عنه".

"لا أعلم إذا ما كنتم تعرفون الآنسة ماربل أم لا؟ أعرفك بالكولونيل هيلنجدون وزوجته، والسيد جريج ديسون وزوجته السيدة لاكى".

رحب جميعهم بها بسعادة وقالت لاكى بصوت عال إنها ستموت إذا لم تحظ بمشروب فى الحال. حيا جريج تيم كندال الذى كان جالساً بالقرب منهم مع زوجته يتفحص دفاتر الحسابات.

" فلتحضر لنا بعض المشروبات يا تيم". ثم قال موجهًا حديثه للآخرين:" أترغبون فى عصير الفواكه؟"

فوافقوا جميعاً.

ثم قال:" أترغبين أنت أيضاً فى عصير الفاكهة يا آنسة ماربل؟"

شكرته الآنسة ماربل وأخبرته أنها تفضل أن تشرب عصير الليمون الطازج.

فقال تيم:" كوب من عصير الليمون وخمسة أكواب من عصير الفاكهة".

"هل ستنضم إلينا يا تيم؟"

"كنت أتمنى أن أنضم إليكم. ولكن يجب أن أنظم تلك الحسابات. لا أستطيع أن أترك مولى تقوم بكل شيء. على كل حال سوف أنضم اليكم فى الحفلة الموسيقية الليلة".

صاحت لاكى قائلة:"هذا رائع". ثم أجفلت قائلة: "اللعنة، الأشواك تغطى كل جسدى. يا إلهى! لقد ألقى بى إدوارد على أجمة مليئة بالأشواك!"

قال هيلنجدون:" لقد كانت وروداً قرنفلية جميلة".

"وأشواك طويلة جميلة. أيها الوحش السادى، ألست كذلك يا إدوارد؟".

قال جريج مبتسماً ابتسامة عريضة:" إنه ليس مثلى مليئاً بالطيبة الإنسانية".

جلست إيفلين هيلنجدون بجانب الآنسة ماربل وبدأت فى تجاذب أطراف الحديث معها بلطف وبساطة.

وضعت الآنسة ماربل ما كانت تقوم بحياكته على حجرها. ثم أدارت رأسها تجاه اليمين لتنظر إلى الخلف ببطء وبصعوبة بسبب الروماتيزم الذى تعانى منه فى رقبتها.

وعلى بعد مسافة قريبة من مكان جلوسها كان يقبع الكوخ الكبير الذى يقطنه السيد رافيل الغنى، ولكن لم يكن يبدو به أية ملامح للحياة.

ردت الآنسة ماربل على تعليقات إيفيلن بإجابات لطيفة ومهذبة (يا لطيبة هؤلاء الناس معها!) ولكنها فى ذات الوقت كانت تتفحص وجهى الرجلين بتمعن.

لقد بدا أن إدوارد هيلنجدون رجل مهذب ولطيف. هادئ، ولكنه وسيم إلى حد كبير.... أما جريج فكان رجلاً ضخم الجثة، محباً للمرح، وعلى وجهه أمارات السعادة، اعتقدت الآنسة ماربل أن جريج ولاكى يبدوان كنديين أو أمريكيين.

نظرت إلى الرائد بلجراف وهو لايزال يمثل دور الإنسان الخارق الذى يعرف كل شىء فى العالم.

يا له من شىء مثير للاهتمام...

الفصل الثاني

الآنسة ماربل تعقد بعض المقارنات

1

كانت أمسية مرحة وصاخبة فى فندق جولدن بالم.

جلست الآنسة ماربل على طاولتها المنزوية وظلت تنظر حولها باهتمام. كانت حجرة الطعام تلك كبيرة ومفتوحة من ثلاث جهات، يتخللها هواء جزر الهند الغربية العليل. كانت المصابيح التى توجد على المناضد ذات ألوان فاتحة، وكانت معظم النساء ترتدى ملابس المساء القطنية المزركشة التى تكشف عن أكتافهن وأذرعهن البرونزية. وقد اضطرت الآنسة ماربل أن تقبل بعد إلحاح مبلغاً صغيراً من المال من زوجة ابن أخيها جوان، التى حاولت بكل تهذيب ولطف أن تقنعها بقبوله.

"لأن الجو يا عمتى جين سيكون حاراً هناك، ولا أعتقد أنك قد أحضرت ملابس خفيفة معك".

شكرتها جين ماربل وقبلت المبلغ. لقد جاءت ماربل من الزمن الذى كان فيه من الطبيعى أن يساعد فيه الكبير الصغير، والذى كان فيه طبيعياً أيضاً أن يعتنى البالغون بالمسنين. لم تستطع ماربل إقناع نفسها بشراء شىء خفيف جداً! ففى سنها هذا نادراً ما تشعر بالدفء حتى فى أعلى درجات الحرارة، بالإضافة إلى أن حرارة سانت هونورى لم تكن تلك التى توصف "بالحرارة الاستوائية". ولكن فى تلك الأمسية تزينت الآنسة ماربل بأفضل تقاليد المرأة الإنجليزية رداء مصنوع من قماش الدانتيلا الرمادى.

لم تكن هى الحاضرة الوحيدة المسنة فى تلك الأمسية، بل كان الحاضرون فى تلك الحفلة من كل الأعمار، فقد كان هناك رجال مسنون فاحشى الثراء مع زوجاتهم الشابات، اللاتى أتين فى الترتيب الثالث أو الرابع من سلسلة زيجاتهم.

وكان هناك أزواج فى منتصف عمرهم من شمال إنجلترا. كانت هناك أيضاً عائلة مرحة بكل أفرادها حتى الأطفال من كاراكاس، وكان هناك العديد من الحضور من أمريكا الجنوبية والذين كانوا يثرثرون بالإسبانية أو البرتغالية. وكان هناك رجلا دين يتحدثان الإنجليزية بطلاقة، أحدهما كان طبيباً والآخر قاضياً متقاعداً، بل وكانت

هناك أيضاً عائلة صينية. كانت خدمة غرفة الطعام تعتمد على النساء بشكل رئيسى، فكانت توجد فتاتان سمراوان تدفعان عربة الطعام، ترتديان ملابس ناصعة البياض، ولكن كان هناك نادل إيطالى خبير، كان مسئولا عن تقديم الطعام، ونادل فرنسى للشراب. كان تيم كندال يراقب كل شيء بيقظة، فقد كان يتوقف هنا وهناك لكى يتجاذب أطراف الحديث مع الحاضرين، وكانت زوجته تفعل مثله تماماً، لقد كانت سيدة جميلة شعرها أشقر ذهبى وكانت تتحدث مع الناس بدون تكلف وتبتسم فى وجوههم، وكان من النادر أن يسوء مزاجها. كان جميع الموظفين بالفندق يعملون بحماس، ولقد كيفت أسلوبها بحرص للتعامل مع النزلاء بمختلف شخصياتهم. فكانت مولى تتحدث بمرح مع الرجال المسنين، وكانت تجامل النساء الشابات بالإطراء على ذوقهن فى اختيار الملابس، قائلة:

"يا لهذا الثوب الرائع الذى ترتدينه الليلة يا سيدة ديسون. أنا أحسدك عليه، أرغب أن أخلعه عنك وآخذه لنفسى". ولكن مولى نفسها كانت ترتدى ثوباً رائعاً يليق بها، أو هكذا ظنت الآنسة ماربل: فقد كانت مولى ترتدى ثوباً أبيض ضيقاً وفوقه شال حريرى أخضر مطرز يغطى كتفيها. كات لاكى تشير إلى شال مولى وهى تقول:" ياله من لون رائع، أرغب فى شراء شال مثله". فقالت لها مولى دون أن تتوقف فى سيرها:" يمكنك شراء واحد مثله من المتجر الموجود هنا". ولم تتوقف عند طاولة الآنسة ماربل. كانت تترك الحديث مع السيدات المسنات لزوجها. كانت دائماً تقول:" إن السيدات المسنات العزيزات يفضلن حديث الرجال".

جاء تيم كندال وانحنى عند طاولة الآنسة ماربل وسألها:

"ألا ترغبين فى شىء خاص؟ كل ما عليك فعله هو أن تقولى لى وسأطلب أن يتم طهوه خصيصاً لك. فأنا أعلم أن طعام الفندق، ليس هو ما تعودت عليه فى وطنك نصف الاستوائى".

ابتسمت الآنسة ماربل وقالت إن تلك هى إحدى مميزات السفر.

قال:" هذا جيد. ولكن لو أن هناك شيئا ـ"

"مثل ماذا؟"

قال" حسنًا..." ثم بدا بعض الشك فى عينى تيم كندال إلى حد ما ثم أردف قائلاً بتردد:" أترغبين فى مخفوق الخبز والزبد؟"

ابتسمت الآنسة ماربل وردت قائلة إنها لا ترغب فى تناول مخفوق الخبز والزبد فى الوقت الحالى.

ثم التقطت ملعقتها وشرعت فى تناول حلوى الفاكهة المثلجة.

ثم بدأت جوقة الطبول الموسيقية فى العزف. فى الواقع كانت تلك الفرق إحدى

عوامل الجذب للجزيرة، لم تكن الآنسة ماربل سعيدة بوجودهم فقد كانت تعتبر أنهم يمثلون مصدراً كبيراً للضوضاء الشنيعة، غير الضرورية. فى نفس الوقت لا يمكن أن ينكر أحد المتعة التى يحصل عليها الآخرون من الاستماع لعزف تلك الفرق، لذلك قررت الآنسة ماربل بروحها الشابة أن تحاول إلى حد ما أن تحبهم. لم تكن تستطيع أن تطلب من تيم كندال أن يدير موسيقى سيمفونية" الدانوب الأزرق". (الخاصة برقص الفالس الهادئ). لقد كانت تلك الطريقة التى يرقص بها الناس هذه الأيام غريبة للغاية فهم يثبون، ويلوون أجسادهم وكأنهم يتألمون."حسنًا، يجب أن يستمتع الشباب"ـ هكذا فكرت الآنسة ماربل، ولكنها توقفت فجأة، وذلك لأن القليل منهم كانوا شباباً بالفعل. فالرقص والأضواء والموسيقى (حتى جوقة الطبول) كانت مخصصة للشباب، ولكن أين هم الشباب؟ إنهم يدرسون، كما ظنت هى، فى الجامعات أو يعملون بوظائف منهكة لا يأخذون منها إجازة سوى أسبوعين فى العام، ومثل هذا المكان يكون بعيداً جداً على مثل هؤلاء الشباب ويكون سعر الإقامة فيه يفوق إمكاناتهم. هذه الحياة المبهجة الخالية من الهموم كانت مخصصة لمن هم فى الثلاثينات أو الأربعينيات من أعمارهم والرجال المسنين الذين يرغبون فى استعادة شبابهم مع زوجاتهم الشابات. ياله من أمر مثير للشفقة.

وكما يبدو فإن الآنسة ماربل تنهدت حسرة على الشباب. ولكن السيدة كندال كانت هناك بالطبع، ولم يكن سنها يزيد عن اثنين وعشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً، هى تعيش حياتها بمرح ولكن على الرغم من هذا، فإن ما تقوم به الآن هو مجرد وظيفة.

على طاولة قريبة كان يجلس بريسكوت، رجل الدين، وأخته. طلب بريسكوت وأخته من الآنسة ماربل أن تنضم إليهم لشرب القهوة، وقد قبلت دعوتهم بالفعل. كانت الآنسة بريسكوت امرأة مخيفة، وتبدو عليها الصلابة، أما السيد كانون فكان ممتلئ الجسم ووجهه مخضب بالحمرة، وكان يبدو هادئ الطباع.

تم إحضار القهوة، وأبعدت الكراسى بعض الشىء عن الطاولة. وفتحت الآنسة بريسكوت حقيبتها وأخرجت منها بعضاً من أقمشة المائدة المقززة التى كانت ترفوها، وقد حدثت الآنسة ماربل عن كل ما حدث فى ذلك اليوم. فقد قاما بزيارة مدرسة جديدة للبنات فى الصباح. وبعد أن استراحا بعض الشىء فى وقت القيلولة، سارا فى مزارع الخيزران، وتناولا الشاى فى نُزلُ كان يقيم فيه بعض أصدقائهم.

قام آل بريسكوت بتعريف الآنسة ماربل على بعض الذين قد قضوا فترة أطول من الآنسة ماربل فى هذا الفندق الذى يقيمون فيه معا.

يأتى هذا الرجل العجوز، السيد رافيل، إلى هنا كل عام. إنه رجل فاحش الثراء! كان يمتلك سلسلة هائلة من المتاجر فى شمالى انجلترا. أما المرأة التى معه فقد كانت سكرتيرته إستير والترز وهى أرملة. (كل شىء يبدو طبيعياً ومعقولاً، وليس هناك أى شىء مريب، فالرجل يقارب الثمانين من عمره!).

تقبلت الآنسة ماربل صحة هذه العلاقة بإيماءة تدل على التفهم، وعلق رجل الدين قائلاً:

"إنها شابة لطيفة؛ أظن أن والدتها أرملة، وتعيش فى تشيشستر".

"لقد أحضر السيد رافيل خادمه الخاص معه، أيضًا. أو بمعنى أخر ممرضه المرافق إنه مدلك مؤهل على ما أعتقد، واسمه جاكسون. إن السيد رافيل المسكين مصاب بالشلل، يا له من شى محزن للغاية، مع امتلاكه كل تلك الأموال".

فقال بريسكوت رجل الدين مؤكداً على ذلك:

" إنه رجل سخى للغاية"

كان الناس قد بدأوا ينقسمون إلى مجموعات، فكان البعض منهم يقف بعيداً عن الفرقة، ويتجمع البعض الآخر بالقرب منها. انضم الرائد بلجراف إلى الرباعى هيلنجدون ودايسون.

قالت الآنسة بريسكوت بصوت خفيض، بدون وجود ضرورة لذلك لأنه بكل بساطة لن يسمعه أحد بسبب صوت الفرقة:" إن هؤلاء الناس ـ"

قاطعتها الآنسة ماربل قائلة:" نعم، لقد كنت على وشك أن أسالك عنهم".

أردفت الآنسة بريسكوت قائلة:" لقد كانوا هنا فى السنة الماضية. إنهم يقومون بقضاء ثلاثة شهور كل عام فى جزر الهند الغربية، يتنقلون بين الجزر المختلفة. هذا الرجل الطويل هو كولونيل هيلنجدون، وتلك المرأة السمراء هى زوجته كلاهما إخصائى نبات. أما الاثنان الآخران فهما السيد والسيدة جريجورى دايسون وهما أمريكيان.

والسيد دايسون يكتب عن الفراشات على ما أظن، وجميعهم يهتمون بالطيور".

رد رجل الدين بريسكوت قائلاً بلطف:" من الجميل أن يكون لدى الناس هوايات تمارس فى الهواء الطلق".

فقالت أخته:" لا أعتقد أنهم يحبون أن يسمعوك وأنت تقول عنها إنها هوايات يا جيريمى، فلديهم بعض المقالات المنشورة فى الصحف والمجلات مثل مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" وصحيفة "رويال هورتيكالتثورال جورنال". إنهم أشخاص يأخذون هذه التخصصات على محمل الجد".

انطلقت ضحكة عالية من الطاولة التى كانوا يراقبونها. لقد كانت تلك الضحكة عالية جداً لدرجة أنها علت على صوت الفرقة. كان جريجورى دايسون مائلا بكرسيه إلى الوراء، ممسكًا بالطاولة بأطراف أصابعه، وكانت زوجته تبدى اعتراضها على شىء ما، فى نفس الوقت الذى شرب الرائد بلجراف ما فى كوبه وبدا وكأنه يصفق.

كانوا فى تلك اللحظة أبعد ما يكون عن التحلى بالجدية.

قالت الآنسة بريسكوت بمرارة:" لا يجب أن يشرب الرائد بلجراف كثيراً، إنه يعانى من ارتفاع ضغط الدم".

تم إحضار أكواب أخرى من عصير الفاكهة إلى الطاولة.

قالت الآنسة ماربل:" من الجميل أن أعرف علاقة كل منهم بالآخر، فعندما قابلتهم ظهيرة اليوم لم أكن أعرف من فيهم متزوجاً من الآخر".

توقفوا عن الكلام للحظة. وسعلت الآنسة بريسكوت بطريقة ما، ثم قالت ـ" حسنًا، بالنسبة لذلك ـــ".

قاطعها رجل الدين بلهجة تحذيرية قائلاً:" جوان، من الواضح أنه من الأفضل ألا تقولى المزيد".

"فى الحقيقة يا جيريمى لم أكن سأقول أى شىء، فقد اعتقدت فقط فى السنة الماضية، لسبب ما لا أعرفه، أن السيدة دايسون هى زوجة السيد هيلنجدون حتى قال لى شخص آخر إنها ليست كذلك".

قالت الآنسة ماربل ببراءة:""غريبة هى الطريقة التى نأخذ بها انطباعاتنا، أليس كذلك؟" قابلت عيناها عينى الآنسة بريسكوت للحظة وسرى نوع من التفاهم النسائى بينهما.

من الممكن أن يشعر أى رجل لديه إحساس أكثر من بريسكوت رجل الدين بأنه تخطى حدوده فى الحديث.

مرت إشارة أخرى بين السيدتين، وكان فحواها أنهما سوف تكملان الحديث فى هذا الأمر لاحقاً".

قالت الآنسة ماربل:" إن السيد دايسون ينادى زوجته باسم لاكى، فهل هذا هو اسمها الحقيقى أم أنه اسم للتدليل؟"

"أعتقد أنه لا يمكن أن يكون هذا هو اسمها الحقيقى".

قال رجل الدين بريسكوت:" لقد سأله أحدهم قبل هذا فقال إنه يناديها لاكى لأنها تجلب له الحظ السعيد، فلو فقدها، كما يقول، فسوف يخسر حظه. يا له من لقب جميل".

قالت الآنسة بريسكوت:" إن السيد دايسون مغرم بالدعابة".

نظر رجل الدين إلى أخته بنظرة شك.

تعالت أنغام الجوقة بمجموعة من الألحان المتنافرة، واندفع جماعة من الراقصين

يتسابقون تجاه ساحة الرقص.

أدارت الآنسة ماربل كرسيها كما فعل الآخرون كى تتسنى لهم مشاهدة ما يجرى. وجدت الآنسة ماربل متعة أكبر فى الرقص أكثر من الموسيقى، وكانت تحب تلك الأقدام المختلطة والتمايلات الإيقاعية للأجساد، فكان يبدو هذا الأمر، كما تعتقد الآنسة ماربل، واقعياً للغاية، فقد كان للرقص قدرة على الاستهانة بكل شىء.

الليلة، وللمرة الأولى، بدأت تشعر بالتكيف مع تلك البيئة الجديدة... فحتى الآن، كانت الآنسة ماربل تفتقد ما كانت دائماً تقدر على تحديده بكل سهولة؛ ألا وهو وجه التشابه بين الأشخاص الذين تقابلهم والأشخاص العديدين الذين تعرفهم شخصياً. من الممكن أن تكون الآنسة ماربل قد انبهرت بالملابس الملونة وتلك الألوان الغريبة للغاية، ولكنها سريعًا ما شعرت أنها قادرة على القيام بعقد بعض المقارنات الممتعة.

فعلى سبيل المثال، كانت مولى كندال تشبه فتاة لطيفة لا تتذكر اسمها، والتى كانت تعمل مشرفة حافلة ماركت بيزنج. كانت تساعد الناس كثيراً، فلم تكن أبداً تطلق صافرة الحافلة حتى تتأكد من أنك قد جلست فى الحافلة بأمان. أما تيم كندال فكان يشبه رئيس النُدّل فى فندق سان جورج فى ميدشستر إلى حد ما؛ حيث لديه ثقة فى النفس، ولكن فى نفس الوقت كان يملأه القلق. (لقد كان يعانى من القرحة، على ما تتذكر) أما بالنسبة للرائد بلجراف، فقد كان نسخة طبق الأصل من الرائد لورى وكابتن فليمينج، والأميرال ويكلو، والضابط ريتشاردسون. انتقلت بأفكارها إلى شخص أكثر أهمية، فلنقل جريج على سبيل المثال؟ كان جريج من الشخصيات التى يصعب تشبيهها بمن تعرفهم سابقاً لكونه أمريكياً. ربما يشبه السير جورج ترولوب الذى كان يداوم على إلقاء النكات فى اجتماعات الدفاع المدنى أو ربما يشبه السيد موردوك الجزار. كانت سمعة السيد موردوك سيئة، ولكن بعض الناس قالوا إن هذا الكلام كان مجرد شائعات، وأن السيد موردوك نفسه كان يشجع على انتشار الشائعات! الآن وصلنا إلى لاكى؛ حسنًا، إن هذا أمر سهل إنها تشبه مارلين التى تعمل فى فندق ثرى كراونز. إيفلين هينجدون؟ لم تستطيع أن تجد من تتشابه مع إيفلين على وجه الدقة. لقد كانت تشبه العديد من النساء من حيث شكلها فهى امرأة إنجليزية طويلة ونحيفة، وبشرتها داكنة بسبب تعرضها لأشعة الشمس، وهذا يماثل العديد من النساء الإنجليزيات. أتشبه السيدة كارولين وولف، زوجة بيتر وولف الأولى، التى انتحرت؟ أم ليسلى جيمس تلك المرأة الهادئة التى نادرًا ما تظهر مشاعرها، والتى قامت ببيع بيتها ورحلت دون أن تخبر أى شخص عن وجهتها؟ وماذا عن الكولونيل هلينجدون؟ لم تتوصل لشبيه له. فهى مضطرة إلى أن تعرفه أكثر؛ فهو واحد من هؤلاء الرجال الهادئين ذوى السلوك الحسن، الذين لا تعرف أبداً ما الذى يفكرون فيه، فإنهم يفاجئونك أحياناً. لقد تذكرت، كان من هؤلاء الميجور هاربر، الذى انتحر بقطع رقبته فى أحد الأيام. لا أحد يعرف لماذا قام بذلك، واعتقدت الآنسة ماربل أنها تعرف لماذا قام بهذا ولكنها لم تستطع أن تتأكد من ذلك أبداً...

اتجه نظرها صوب طاولة السيد رافيل. كان أكثر شيء معروف عن السيد رافيل هو أنه كان فاحش الثراء، وكان يأتى كل عام إلى جزر الهند الغربية، ولقد كان مصاباً بشلل نصفى، وكان يبدو وكأنه طائر جارح عجوز مجعد الوجه. ولقد تهدلت ملابسه فوق جسده المنكمش. كان يبدو وكأنه فى السبعين أو الثمانين أو ربما التسعين من عمره. وكان يملأ عينيه عنف عارم، وكان يبدو فظًا فى أحيان كثيرة، ولكن نادراً ما كان الناس يتأذون من سلوكه، وهذا، ربما، بسبب أنه كان غنياً جداً، أو ربما بسبب شخصيته القوية التى تجعلك مذهولاً، وتعطيك الإحساس بأن السيد رافيل لديه الحق فى أن يكون فظًا وقتما يشاء.

كانت تجلس مع السيد رافيل سكرتيرته السيدة والترز. وكان لون شعرها مائلا إلى الصُفرة، وكان وجهها بشوشاً. دائماً ما كان السيد رافيل فظًا فى تعامله معها، ولكن كان يبدو عليها أنها لم تلحظ ذلك أبداً فلم يكن الأمر أنها خانعة أو مستسلمة لهذه المعاملة المهينة أو أنها كثيرة النسيان أو شيء من هذا القبيل، وإنما كانت تتصرف كممرضة محترفة. وقد فكرت الآنسة ماربل أنها ربما كانت ممرضة فى مستشفى، سابقاً.

حضر شاب طويل ووسيم مرتدياً معطفا أبيض، ووقف بجانب كرسى السيد رافيل. نظر السيد رافيل له ثم أومأ برأسه وأمر له بكرسى. وجلس الشاب كما أمره السيد رافيل.

قالت الآنسة ماربل لنفسها:" السيد جاكسون على ما أظن خادم السيد رافيل الخاص".

وأخذت تتأمل السيد جاكسون بتمعن.

2

فردت مولى كندال ظهرها أمام طاولة المشروبات، وخلعت حذاءها ذا الكعب العالى إلى أن حضر تيم من الصالة الرئيسية لينضم إليها، فجلسا أمام طاولة المشروبات بمفردهما للحظة.

سألها تيم قائلاً:" أأنت متعبة يا عزيزتى؟".

فردت عليه مولى:" قليلاً. أشعر ببعض الألم فى قدمى الليلة".

"هل العمل شاق بالنسبة لك؟ أعنى كل هذا الكم؟ أعرف أن هذا عمل شاق ". ثم نظر إليها وقد غطت وجهه أمارات القلق.

فضحكت قائلة:" تيم لا تكن سخيفًا. أنا أحب المكان هنا، إنه رائع، لقد تحقق الحلم

الذى حلمت به دومًا".

قال لها:" نعم، أعرف أن كل شىء كان سيبدو على ما يرام لو أننا كنا نزلاء. ولكن أن نكون مسئولين عن كل شىء فهذا يعتبر عملا".

قالت مولى كندال بتعقل:" حسنًا، لا يمكن أن تحصل على شىء وأنت لا تفعل أى شىء، أليس كذلك؟"

تجهم وجه تيم قليلاً، ثم قال:" هل تعتقدين أن كل شىء يسير على ما يرام؟ هل هذا نجاح؟ هل نحن فعلاً بصدد تحقيق نجاح؟".

أجابته:" بالتأكيد، نحن نحقق نجاحاً".

"ألا تعتقدين أن الناس تقول: لم يعد الحال مثلما كان أثناء إدارة آل ساندرسون للفندق؟".

"بالتأكيد سيقول شخص ما هذا فدائماً ما يحدث ذلك! لكنى أعتقد أن من يقول مثل هذا الكلام هو شخص رجعى؛ فمن وجهة نظرى أعتقد أننا أفضل بكثير فى هذا العمل ممن كانوا يديرونه قبلنا. نحن أكثر روعة؛ أنت تسحر السيدات العجائز وتحاول أن تجعل البائسات ممن هن فى الأربعينات والخمسينات من العمر بأنهن مازلن يتمتعن بالجاذبية، وأنا ألاطف الكهول وأجعلهم يشعرون بأنهم مازالوا فى ريعان الشباب أو ألعب دور الابنة الصغيرة اللطيفة لهؤلاء الذين كانوا يتمنون أن يحظوا بابنة مثلى. لقد قمنا بكل شىء على نحو رائع".

ثم انزاح العبوس عن وجه تيم، وقال:

"طالما أنك من يقول ذلك، فإن ذلك يشعرنى بالخوف. لقد خاطرنا بكل شىء لنحصل على هذا العمل. لقد استقلت من وظيفتى السابقة

قاطعته مولى بسرعة:" وكان هذا هو الشىء الذى يجب أن تفعله. إن هذا العمل السابق كان يدمر معنوياتك ".

ضحك تيم، ثم قبل أنفها.

أعادت ما قالته مرة أخرى قائلة:" لقد قمنا بكل شىء على نحو رائع. لماذا أنت قلق على الدوام؟".

"إن هذا طبعى على ما أعتقد. أنا أفكر على الدوام".

"ما الخطأ الذى يمكن أن يقع؟".

"لا أعرف. من الممكن أن يغرق أحدهم".

"ليس هؤلاء الناس. هذا واحد من أكثر الشواطئ أمانًا. كما أن لدينا هذا العملاق

السويدى الذى يحرس الشاطىء ليل نهار".

قال تيم كندال:" أنا أحمق"، ثم تردد قليلاً قبل أن يقول:" لم يعد لديك أى من تلك الأحلام، أليس كذلك؟"

قالت مولى:" لقد كان هذا أحد أحلامى" ثم أطلقت ضحكة عالية.

الفصل الثالث

وفاة فى الفندق

تم إحضار الإفطار إلى الآنسة ماربل فى السرير كالعادة. وكان الإفطار مكوناً من كوب من الشاى، وبيضة مسلوقة وشريحة من فاكهة الباباو.

كانت الفاكهة الموجودة على الجزيرة، كما تعتقد الآنسة ماربل، مخيبة للآمال. فلم يكن هناك أى نوع من الفاكهة سوى الباباو. كانت تتمنى لو أنها تستطيع أن تحصل على بعض التفاح اللذيذ الآن ولكن يبدو أن التفاح غير معروف هنا.

مضى على حضور الآنسة ماربل للجزيرة أسبوع، ولقد أراحت نفسها من السؤال عن حالة الجو. فقد كان الجو دائماً على نفس الحالة فقد كان معتدلاً ولا توجد به تغيرات واضحة.

"الطقس الرائع ذو الأوجه المتعددة فى اليوم الواحد بإنجلترا". تمتمت الآنسة ماربل بهذه العبارة لنفسها، وتساءلت عما ما إذا كانت قد اقتبستها من أحد ما، أم أنها كانت وليدة أفكارها.

بالتأكيد كان هناك أعاصير، أو هكذا قيل لها. ولكن لم تكن تشير كلمة" أعاصير" إلى حالة الجو بالنسبة للآنسة ماربل، ولكنها كانت تعتبرها بمثابة إشارة يبعثها لنا الله. كان بالجزيرة أمطار، أمطار غزيرة تستمر لفترة قصيرة لا تزيد عن خمس دقائق، وكانت تتوقف فجأة. كل شىء بالجزيرة كان يصاب بالبلل، حتى الناس، ولكن فى خلال خمس دقائق كان كل شىء يجف.

ضحكت الفتاة المحلية السمراء وهى تلقى تحية الصباح على الآنسة ماربل وتضع صينية الطعام على ركبتها. كل تلك الفتيات كن يتمتعن بروح طيبة ولطيفة، ولكن يا للخسارة؛ فجميعهن معرضات عن الزواج. وقد أقلق هذا الأمر رجل الدين السيد برسكوت، فهو يحضر الكثير من المناسبات ولكنه لم يحضر أى حفل زفاف.

تناولت الآنسة ماربل إفطارها ثم وضعت خطة بعد ذلك لقضاء يومها. لم تستهلك الأنسة ماربل وقتًا طويلاً لتقرر ما ستفعله، فسوف تنهض من سريرها دون تعجل، وستتحرك ببطء لأنها لم تعد تتمتع بخفة الحركة التى كانت تتسم بها سابقاً، ولأن الجو كان حاراً. ثم ستجلس لمدة عشر دقائق، ثم ستأخذ مواد الحياكة وخيوطها

وتتجه ببطء ناحية الفندق، ثم ستقرر أين ستجلس. هل تجلس فى الشرفة المطلة على البحر؟ أم تذهب إلى الشاطئ لتشاهد المصطافين والأطفال؟ عادة ما كانت تجلس على الشاطئ. من الممكن أن تذهب فى نزهة بالسيارة فى فترة الظهيرة، بعد أن تأخذ قسطًا من الراحة. فى الواقع، لم تكن تلقى بالاً لأى مما سبق، ولم يكن تواجدها بأى مكان يمثل لها فارقاً، فاليوم هو مثل أى يوم، هكذا قالت لنفسها.

إلا أنه، بالتأكيد، لم يكن كذلك.

نفذت الآنسة ماربل برنامجها كما خططت له، ثم سارت ببطء فى الممر المتجه إلى الفندق حينما قابلت مولى كندال. لم تكن تلك المرأة المشرقة تتوقف عن الابتسام، ولم يكن يناسبها هذا العبوس الذى بدا على وجهها، وهذا هو ما جعل الآنسة ماربل تقول على الفور:" عزيزتى، هل هناك ما يسوء؟"

أومأت مولى، ثم قالت:" حسنًا، يجب أن تعرفى يجب أن يعرف الجميع، إنه الرائد بلجراف مات".

"لقد مات"

"نعم، لقد مات بالليل".

"أوه، ياله من أمر مؤسف".

"نعم إنه شىء فظيع أن يموت شخص هنا. سوف يشعر الجميع بالأسى. بالتأكيد ولكنه كان عجوزًا على أى حال".

فردت الآنسة ماربل قائلة:

"لقد كانت حالته جيدة وكان يبدو مبتهجًا البارحة". بدت ممتعضة، إلى حد ما، من التلميح بأن كل كبار السن معرضون للموت فى أية لحظة.

ثم أضافت الآنسة ماربل قائلة:" لقد بدت حالته الصحية جيدة".

فردت مولى قائلة:" لقد كان يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم".

قالت الآنسة ماربل:" ولكن هناك بعض الأشياء التى يتناولها الفرد فى هذه الأيام للتحكم فى مثل هذا المرض؛ نوع من الأقراص الطبية أو ما شابه. لقد تقدم العلم كثيراً".

"نعم، بالطبع، ولكنه ربما يكون قد نسى أن يأخذ أقراصه، أو أخذ الكثير منها تماماً كما يحدث مع الأنسولين كما تعرفين".

لم تعتقد الآنسة ماربل أن داء السكرى وارتفاع ضغط الدم مرضان متشابهان. فسألتها:"ما الذى قاله الطبيب؟"

أجابت مولى:" لقد حضر الدكتور جراهام، المتقاعد حالياً، والذى يعيش فى الفندق، أعتقد أنك قد رأيته قبل هذا، وجاء المسئولون المحليون لاستخراج شهادة الوفاة، وسار كل شىء فى طريقه المعهود. يصبح المرء معرضاً لحدوث مثل هذا النوع من الأشياء عندما يكون مصاباً بارتفاع فى ضغط الدم، خاصة إذا أسرف فى تناول المشروبات، وكان الرائد بلجراف مسرفاً فى هذا الشأن. مثل ما حدث الليلة الماضية، على سبيل المثال".

قالت الآنسة ماربل:" نعم لقد لاحظت هذا".

قالت مولى:" من المحتمل أن يكون قد نسى أن يتناول الأقراص. يا لحظه العثر ولكن لا يعيش الناس إلى الأبد، أليس كذلك؟ إن هذا لشىء مرعب أعنى بالنسبة لى أنا وتيم، كما أعنى. حيث من الممكن أن يعتقد الناس أن هناك شيئاً ما فى الطعام هو ما سبب هذا".

"ولكن أعراض التسمم وارتفاع ضغط الدم مختلفة بالطبع، أليس كذلك؟"

"نعم. ولكن الناس يصنعون الشائعات بكل سهولة. ولو أن الناس قالوا إن الطعام سىء ثم رحلوا أو قالوا لأصدقائهم"

ردت عليها الآنسة ماربل قائلة:

"أعتقد أنه ليس عليك أن تقلقى، كما تقولين، فرجل كبير فى السن مثل الرائد بلجراف سنه أكثر من السبعين عاماً معرض للموت فى أى لحظة. سيعتبر أغلب الناس أن هذا شىء عادى إنه لأمر محزن، ولكن ليس غريباً على الإطلاق".

فقالت مولى بحزن:" لو أنه، لم يمت فجأة هكذا".

نعم، لقد حدث كل شىء فجأة، كما اعتقدت الآنسة ماربل، وهى تسير ببطء. فقد كان بيننا بالأمس، وكانت معنوياته مرتفعته، وكان يضحك ويتحدث مع آل هيلنجدون وآل دايسون.

آل هيلنجدون وآل دايسون... أبطأت الآنسة ماربل فى سيرها... وفى النهاية توقفت فجأة. وبدلاً من أن تتجه إلى الشاطئ جلست فى جانب ظليل من الشرفة. أخرجت خيوطها وأخذت تغزل بسرعة وكأنها ترغب فى ملاحقة أفكارها ومواكبة سرعتها.

ظلت تدير ما حدث بالأمس فى رأسها.

الرائد بلجراف وقصصه...

كانت كل قصصه عادية، ولم تكن بحاجة إلى الإنصات إليه بتركيز... ولكن ربما كان عليها أن تنصت إليه بإمعان.

كينيا لقد تحدث عن كينيا، ثم تحدث عن الهند الجبهة الشمالية الغربية وبعد ذلك ولسبب ما، وصلوا فى حديثهم إلى القتل ولكن حتى بعد ذلك لم تكن فى الواقع

تستمع إلى ما كان يقول...

لقد حدثها عن قضية ذاع صيتها هنا لقد نُشر عنها فى الصحف

ولقد حدث بعد ذلك عندما قام بالتقاط كرة الصوف خاصتها أنه شرع فى إطلاعها على صورة صورة قاتل هذا ما قاله.

أغلقت الآنسة ماربل عينيها وحاولت أن تتذكر ما حدث فى تلك القصة بالضبط.

لقد كانت تلك القصة محيرة سمعها الرائد فى النادى الذى هو عضو فيه أو فى نادى شخص آخر لقد قصها عليه طبيب والذى سمعها من طبيب آخر ولقد أخذ الطبيب صورة لشخص يخرج من باب أمامى صورة قاتل.

نعم، هذا ما حدث عادت التفاصيل المختلفة إلى رأسها الآن.

ولقد عرض عليها أن يريها الصورة فأخرج محفظته وبدأ فى البحث عن الصورة بين محتويات المحفظة وكان يتحدث طوال الوقت...

واستمر بعد ذلك فى حديثه، ثم رفع نظره وحدق بشدة ليس تجاهها ولكن إلى شىء خلفها بالضبط خلف كتفها الأيمن وتوقف عن الحديث، وتحول لون وجهه إلى اللون الأرجوانى وبدأ فى إعادة كل شىء إلى محفظته بيدين مرتعشتين، وبدأ يتحدث بصوت عال وغير طبيعى عن أنياب الفيل!

وبعد لحظات انضم إليهم آل هيلنجدون وآل دايسون...

فى تلك اللحظة أدارت الآنسة ماربل رأسها تجاه كتفها الأيمن لتنظر... ولكن لم يكن هناك أى شىء أو أى شخص لتراه. وكان تيم كندال وزوجته يقفان ناحية اليسار على مسافة قريبة تجاه الفندق؛ وكانت تقف وراءهما عائلة من فنزويلا، ولكن لم يكن الرائد بلجراف ينظر فى هذا الاتجاه...

ظلت الآنسة ماربل تفكر فى الأمر بعمق حتى وقت الغداء.

وبعد الغداء لم تذهب فى نزهة بالسيارة.

وبدلاً من ذلك، بعثت رسالة تقول فيها بأنها ليست بحالة جيدة، وطلبت فيها أن يتكرم دكتور جراهام ويأتى لزيارتها.

الفصل الرابع

الآنسة ماربل فى حاجة للرعاية الطبية

كان الدكتور جراهام رجلاً ودوداً وكبيراً فى السن حيث إنه يبلغ الخامسة والستين من العمر تقريباً. وقد قام بممارسة مهنة الطب فى جزر الهند الشرقية لسنوات طويلة، ولكنه الآن شبه متقاعد، ولقد ترك معظم عمله فى أيدى الأطباء المحليين. حيا الآنسة ماربل بسعادة، وسألها عما ألم بها. ولحسن الحظ فإن من فى مثل عمر الآنسة ماربل قد يبالغون عند وصف الأعراض التى يعانون منها. ترددت الآنسة ماربل بين آلام كتفها وآلام الركبة، ولكنها استقرت على أنها تعانى من آلام الركبة فى النهاية. كانت دائماً ما تقول لنفسها إن ركبتيها تؤلمانها.

كان الدكتور جراهام عطوفاً ومتفهماً للغاية، ولكنه لم يذكر لها مباشرة حقيقة أن مثل هذه المشكلات متوقعة فى مثل هذا العمر. وصف لها نوعا من الأقراص الصغيرة المفيدة التى تمثل القاعدة الأساسية لوصفة الطبيب، وبقى معها لبعض الوقت، وظل يتحدث معها بلطف نظراً لخبرته ومعرفته بأنه من الممكن أن يعانى العديد من العجائز من الوحدة عندما يأتون لأول مرة إلى سانت هونورى.

قالت الآنسة ماربل لنفسها:" يا له من رجل لطيف للغاية، وأشعر بالخجل من أننى اضطررت إلى أن أكذب عليه. ولكن لا أعرف ما الذى أستطيع أن أفعله غير هذا".

لقد تربت الآنسة ماربل على أن تقول الحقيقة، ولقد كانت إنسانة صادقة بطبيعتها، ولكنها كانت تستطيع أن تكذب فى بعض المناسبات بشكل مقنع ومذهل للغاية عندما تعتبر أنه من واجبها أن تقوم بهذا.

تنحنحت قليلاً، ثم سعلت باستحياء، ثم قالت بصوت نسائى مرتجف إلى حد ما:

"هناك شىء أريد أن أسألك عنه أيها الطبيب. لم أكن أود أن أذكره ولكنى لا أعرف ما الذى يمكن أن أفعله غير هذا على الرغم من أن هذا الأمر ليس فى الواقع بالأمر المهم، ولكنه مهم بالنسبة لى. ولكن آمل فى أن تتفهم وألا تنزعج مما سأقوله أو أن تعتبر أنه أمر لا داعى له بأية حال".

رد الدكتور جراهام على هذه المقدمة بصدر رحب قائلاً:" هل هناك شىء يقلقك؟ فلتدعينى أساعدك".

"إن الأمر متعلق بالرائد بلجراف. أنا حزينة للغاية نتيجة لوفاته. لقد صدمنى الخبر عندما سمعته هذا الصباح".

رد الدكتور جراهام قائلاً:"نعم، لقد كان أمراً مفاجئاً للغاية. لقد كان بحالة جيدة البارحة". كان الطبيب يتحدث بلطف، ولكن بأسلوب بارد، فلم يكن موت الرائد بلجراف بالنسبة للطبيب أمرا غير عادى، كما هو واضح. تساءلت الآنسة ماربل عما إذا كانت تقوم بتضخيم الأمور. هل صار الشك عادة راسخة فى عقلها؟ ربما لم تعد تثق فى أحكامها. ولكن حقيقة هذا لم يكن بالحكم، لقد كان مجرد شك. على أى حال، لقد تورطت فى هذا الأمر الآن! ويجب عليها أن تستمر فى حديثها.

قالت الآنسة ماربل:" لقد كنا جالسين نتحدث مع بعضنا البعض بالأمس بعد الظهيرة. لقد كان يخبرنى عن حياته المشوقة المليئة بالمغامرات فى مناطق عديدة وغريبة من العالم".

فرد عليها الدكتور جراهام الذى بدا عليه الضجر من تكرار سماعه لذكريات الرائد بلجراف قائلاً:" نعم لقد سمعت ذلك".

"ثم تحدث عن عائلته، بالتحديد عن شبابه، ولقد حدثته قليلاً عن أبناء وبنات إخوتى، ولقد كان يستمع إلى بإنصات تام، وجعلته يرى صورة لأحد أبناء إخوتى. هذا الولد العزيز لم يعد ولداً صغيراً الآن، ولكننى دائماً ما أعتبره صغيراً كما تعلم".

تساءل الدكتور جراهام إلى متى ستستمر السيدة العجوز فى الثرثرة قبل أن تصل إلى ما تريد ثم قال:" نعم أعلم".

أردفت الأنسة ماربل:" لقد أعطيته إياها وقام بتفحصها عندما جاء هؤلاء الناس فجأة هؤلاء الأناس الودودون للغاية الذين يقومون بجمع الورود البرية والفراشات، الكولونيل والسيدة هيلنجدون على ما أعتقد ــ"

"نعم، آل هلينجدون وآل دايسون".

"نعم، هذا صحيح. لقد حضروا فجأة وكانوا يضحكون ويتحدثون، وقد جلسوا وطلبوا بعض المشروبات وتحدثنا جميعاً، لقد كان الحديث مسلياً. ولكن قام الرائد بلجراف وبدون تفكير بإعادة الصورة إلى محفظتة وأعاد المحفظة إلى جيبه. لم أعر الأمر اهتماماً كبيراً عندما حدث ذلك، ولكن تذكرت بعد ذلك وقلت لنفسى ـ" لا يجب أن أنسى أن أطلب من الرائد بلجراف أن يعيد إلى صورة دنزل خاصتى "، لقد فكرت فى هذا الأمر ذلك المساء أثناء الحفلة الموسيقية، ولكنى لم أرد أن أقاطعه فى ذلك الحين، لأنهم كانوا يقضون وقتاً مبهجاً سوياً فى هذه الحفلة الرائعة، وفكرت أن أطلبها منه فى الصباح. ولكن ما حدث هذا الصباح ـ" ثم توقفت الآنسة ماربل عن الحديث لاهثة.

قال الدكتور جراهام:" نعم، نعم أتفهم الأمر.وأنت حسنًا، بالطبع تريدين أن

تستعيدى الصورة. أليس هذا صحيحا؟"

أومأت الآنسة ماربل برأسها موافقة بلهفة. وقالت: "نعم، هذا ما أريده. فتلك هى النسخة الوحيدة للصورة وليس معى الصورة الأصلية. لا أحب أن أفقد هذه الصورة، لأن دنزل العزيز توفى منذ خمس أو ست سنوات، ولقد كان أقرب أبناء إخوتى إلى قلبى. تلك هى الصورة الوحيدة التى تذكرنى به. لقد تساءلت وتمنيت فمن المؤلم للغاية أن أطلب هذا، فقط إذا كان من الممكن أن تحاول أن تحصل عليها وتعطيها لى. لا أعرف من أسأل سواك، فكما تعرف أنا لا أعرف أحدا يتولى بعناية كل احتياجاتى وما إلى ذلك. إن هذا أمر صعب للغاية. وقد يشعرون بالانزعاج مما أطلبه. فهم لا يفهمون الموقف كما ترى. لا يعلم أحد ماذا تعنى هذه الصورة بالنسبة لى".

قال الدكتور جراهام:" بالطبع، بالطبع، أتفهم تماماً ما تعنينه. إنه شعور طبيعى من ناحيتك. فى الحقيقة سأقوم بمقابلة قصيرة مع رجال السلطة المحلية فسوف يتم تشييع الجنازة غداً وسيأتى مندوب من مكتب الحاكم ليتولى مسئولية تفحص الأوراق والآثار قبل الاتصال بأقاربه أيمكنك أن تصفى لى الصورة؟"

ردت الآنسة ماربل قائلة:" إنها لواجهة منزل، وشخص أعنى دنزل كان خارجاً من الباب الأمامى. فقد قام أحد أبناء إخوتى الآخرين،والذى يعشق جميع أنواع الزهور، بالتقاطها فقد كان يقوم بتصوير نبات الخطمى، كما أعتقد، أو واحدة من الزهور البنفجسية الجميلة شىء مثل الزنابق. وخرج دنزل من الباب الأمامى بالصدفة أثناء التقاط الصورة. لم تكن تلك بالصورة جيدة له مجرد صورة مشوشة وغير واضحة ولكنها أعجبتنى ولقد احتفظت بها دائماً".

قال الدكتور جراهام:" حسناً، هذا واضح بصورة كافية. لا أعتقد أننا سنواجه أية مصاعب فى إعادة صورتك إليك يا آنسة ماربل".

نهض الطبيب من على كرسيه. وابتسمت له الآنسة ماربل قائلة:" أنت لطيف للغاية يا دكتور جراهام، أنت حقاً لطيف للغاية، أنت تفهم الأمر، أليس كذلك؟".

قال الدكتور جراهام مصافحاً يدها بحرارة:

"أتفهم هذا طبعاً، لا تقلقى. قومى بتمرين ركبتك يومياً بلطف ولكن ليس كثيراً، وسوف أرسل لك بعضاً من هذه الأقراص. تناولى قرصاً واحداً ثلاث مرات فى اليوم".

الفصل الخامس

الآنسة ماربل تتخذ قراراً

تُليت أدعية الجنازة على جسد المتوفى، الرائد بلجراف، فى اليوم التالى. وحضرت الآنسة ماربل الجنازة بصحبة الآنسة بريسكوت. تلا السيد بريسكوت الأدعية وبعد ذلك سارت الحياة كالعادة.

لقد كان موت الرائد بلجراف مجرد حادث عرضى، حادث غير سار، ولكن سرعان ما نسيه الجميع. كانت الحياة هنا عبارة عن ضوء الشمس والبحر والمتع الاجتماعية. قاطع زائر كئيب هذه الأنشطة مخلفاً وراءه ظلاً مؤقتاً، ولكن هذا الظل اختفى الآن. وقبل كل شىء، لم يكن هناك أحد يعرف المتوفى جيداً. وهو لم يكن سوى رجل ثرثار كبير فى السن، من نوع الأشخاص المزعجين الذين يرتادون النوادى. فدائماً ما كان يقص ذكرياته الشخصية التى لا يكون لديك أية رغبة فى أن تسمعها. لقد كان لديه القليل مما يمكن أن ترتبط به فى هذا العالم؛ فقد ماتت زوجته منذ سنين عديدة. ولقد كان يعانى نوعاً من الوحدة التى كان علاجها هو أن يندمج بين الناس، ويحاول قضاء الوقت بشكل ممتع معهم. ربما كان الرائد بلجراف رجلاً وحيداً، إلا أنه فى ذات الوقت كان رجلاً سعيداً إلى حدٍ ما. فقد كان يستمتع بطريقته الخاصة. وهو الآن ميت، مدفون، ولم يهتم أحد لموته بدرجة كبيرة، وبعد أسابيع قليلة لن يتذكره أحد أو حتى لن يخطر على بال أى أحد.

كانت الآنسة ماربل هى الشخص الوحيد الذى يمكن أن يقال إنها ستفتقده. ليس فى الواقع بسبب أى عاطفة شخصية، ولكنه كان يمثل بالنسبة لها نوعاً من الحياة التى كانت تعرفها. فحينما يصبح الشخص أكبر، كما قالت لنفسها، يكتسب أكثر عادة الاستماع، ومن الممكن أن يحدث هذا الاستماع بدون أى اهتمام، ولكن كان بينها وبين الرائد بلجراف علاقة أخذ وعطاء، تلك العلاقة التى تكون بين اثنين من كبار السن. لقد كانت تلك العلاقة تتسم بنفحة إنسانية مبهجة. فى الحقيقة لم تكن حزينة على الرائد بلجراف ولكنها افتقدته.

وفى ظهيرة يوم الجنازة، عندما كانت جالسة تغزل فى مكانها المفضل، حضر الدكتور جراهام وانضم إليها. وضعت إبر الحياكة جانباً وقامت بتحيته. قال الدكتور جرهام فى الحال وهو يعتذر:

"أنا آسف لأنى سوف أقص على مسامعك أخباراً مخيبة للآمال يا آنسة ماربل".

قالت:" حقاً؟ هل هى عن ـــ"

"نعم، لم نجد صورتك تلك. أخشى أن هذا يمثل خيبة أمل بالنسبة لك".

قالت الآنسة ماربل:" نعم، نعم بالتأكيد إن هذا شىء مؤسف. ولكن بالتأكيد هذا لا يعنى شيئاً. لقد كانت مجرد رغبة عاطفية. لقد أدركت هذا الآن. ألم تكن الصورة فى محفظة الرائد بلجراف؟"

قال الطبيب:" كلا، ولم تكن أيضاً فى أى مكان بين حاجياته. كان هناك بعض الخطابات وقطع من أوراق الجرائد وبعض الأشياء التافهة، وبعض الصور القديمة، ولكن لم يوجد أثر لأية صورة مثل التى ذكرتها".

قالت الآنسة ماربل:" يا إلهى، حسناً، ليس بيدنا شىء نفعله.... أشكرك بشدة يا دكتور جراهام لما قمت به".

"لم يكن هناك شىء متعب فى الحقيقة ولكننى أعلم تمام العلم، من خبرتى، ما تعنيه تلك الأشياء الضئيلة الخاصة بأفراد العائلة بالنسبة للمرء هنا، خاصة إذا ما صار كبيراً فى السن".

اعتقد الدكتور جرهام أن الآنسة ماربل متفهمة للموقف. وظن أيضاً أن الرائد بلجراف قد رأى الصورة عندما كان يقوم بإخراج شىء من محفظته، ولم يستوعب كيف وصلت إلى هناك، فقام بتمزيقها على اعتبار أنها شىء لا قيمة له. ولكنها بالتأكيد كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهذه السيدة العجوز، وإلا أنها كانت تبدو راضية ورابطة الجأش بالنسبة لهذا الموضوع.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت الآنسة ماربل داخلياً أبعد ما تكون عن الرضا ورباطة الجأش؛ فقد كانت ترغب فى قليل من الوقت لتفكر فى الوضع، ولكنها قررت أن تستخدم فرصها الحالية لأقصى حد.

أدخلت الآنسة ماربل الدكتور جراهام فى محادثة بلهفة لم تحاول أن تخفيها. بذل هذا الرجل الودود جهده ليبعد فكرها عن فقدان الصورة عن طريق التحدث بسلاسة وبسرور عن الحياة فى سانت هونورى، والأماكن العديدة الممتعة التى من الممكن أن ترغب الآنسة ماربل فى زيارتها، تاركاً إياها تنهى حديثها، ومرجعاً السبب فى حديثها هذا إلى الشعور الطبيعى بالوحدة بالنسبة لامرأة عجوز. لم يكن يعلم كيفما عادت المحادثة مرة أخرى لتدور حول وفاة الرائد بلجراف.

قالت الآنسة ماربل:" يبدو محزناً للغاية أن يموت شخص بعيداً عن موطنه. على الرغم من ذلك، لقد فهمت مما كان يقوله لى بأنه ليس لديه عائلة. يبدو أنه كان يعيش وحده فى لندن".

قال الدكتور جراهام:" أعتقد أنه كان يسافر كثيراً. على كل حال، كان يسافر فى الشتاء. كان لا يحفل بشتائنا الإنجليزى. لا أستطيع أن ألومه على ذلك".

قالت الآنسة ماربل:" لا، فى الحقيقة، ومن الممكن أنه كان لديه سبب خاص، مثل ضعف فى الرئتين، أو شيء جعله يقضى الشتاء بالخارج".

قالت الآنسة ماربل" لا، لا أعتقد ذلك".

"لقد كان يعانى من ارتفاع ضغط الدم، على ما أعتقد. إنه لشىء سيىء فى هذه الأيام. أصبح المرء يسمع كثيراً عنه هذه الأيام".

فقال لها الدكتور جراهام" لقد حدثك عنه، أليس كذلك؟"

"لا.لا،لم يذكره أبداً. لقد أخبرنى بهذا شخص آخر".

"أوه، هكذا".

استمرت الآنسة ماربل فى حديثها قائلة:" أعتقد أن الموت كان متوقعاً مع تلك الظروف".

قال الدكتور جراهام:" حسناً، أنا لم أفاجأ لموت رجل فى هذا العمر. ولكنى بصراحة لم أتوقعه. لقد بدا دوماً فى حالة جيدة بالنسبة لى، ولكنى لم أفحصه طبيا أبداً. لم أعرف شيئاً عن إصابته بارتفاع ضغط الدم أو أى شىء من هذا القبيل".

تساءلت الآنسة ماربل، بنوع من البراءة، قائلة:" هل يستطيع أن يعرف المرء أعنى هل يعرف الطبيب عندما يكون ضغط الدم مرتفعا لدى أحد الأشخاص بمجرد النظر إليه؟".

قال الطبيب ضاحكاً:" ليس فقط بمجرد النظر، بل يجب أن نقوم ببعض الفحوص".

"حسناً، لقد فهمت. إنه ذلك الحزام المطاطى الذى تلفه حول ذراع شخص ما وتبدأ فى ضخ الهواء به أكره هذا الشيء كثيراً. ولكن قال لى طبيبى ذات مرة إن ضغط دمى كان جيد جداً بالنسبة لسنى".

قال الدكتور جراهام:" هذا شىء جيد".

قالت الآنسة ماربل باهتمام:" بالتأكيد، لقد كان الرائد مغرما بالمشروبات".

أجابها الدكتور جراهام:" نعم. المشروبات مؤذية جداً مع ارتفاع ضغط الدم".

"ولكنى سمعت أن المرء يأخذ أقراصاً لمثل هذا المرض، أليس كذلك؟"

"نعم. هناك أنواع عديدة من تلك الأقراص فى السوق. لقد كانت هناك زجاجة من هذه الأقراص فى غرفته زجاجة سيرانايت".

قالت الآنسة ماربل:" يا لروعة العلم هذه الأيام. يستطيع الأطباء فعل الكثير، أليس كذلك؟"

قال الدكتور جرهام:" لدينا جميعاً منافس كبير، وهى الطبيعة، كما تعلمين. تؤدى بعض العلاجات المنزلية التقليدية إلى الشفاء من وقت إلى آخر".

قالت الآنسة ماربل:" مثل وضع خيط العنكبوت على جرح؟ لقد تعودت على القيام بهذا أثناء طفولتى".

قال الدكتور جراهام:" وصفة معقولة للغاية".

"وأيضاً كمّادة بذر الكتان على الصدر وتدليكه بزيت الكافور للسعال الشديد".

قال الدكتور جراهام ضاحكًا:" أعتقد أنك تعرفين الكثير عن هذه الأمور"، ثم وقف قائلاً:" كيف حال ركبتك؟ هل مازالت تؤلمك؟"

"لا، إنها أفضل بكثير".

"حسنًا، لا أعلم إن كان هذا نتيجة للوصفات الطبيعة أم تلك الأقراص التى أعطيتك إياها. آسف لأننى لم أستطع أن أقدم لك العون فى هذا الصدد".

قالت الآنسة ماربل:" ولكنك كنت لطيفًا للغاية وأنا محرجة لتضييع وقتك هل قلت إنه لم يكن هناك أية صور فى محفظة الرائد بلجراف؟"

قال الطبيب:" نعم كان هناك صورة قديمة للغاية للرائد نفسه عندما كان ممتطيًا جواد سباق صغير ولنمرٍ ميت بجانبه وقد كان واضعاً قدمه فوق النمر. أشياء من هذا القبيل ذكرياته أيام شبابه ولكننى أؤكد لك أننى بحثت جيدًا، ولكن صورة ابن أخيك التى وصفتها لم تكن موجودة على الإطلاق ـ"

"أنا متأكدة تمامًا من أنك بحثت جيدًا، لقد كنت أشعر بالفضول فقط؛ فنحن جميعاً نحب أن نحتفظ بمثل هذه الأشياء الغريبة ـ"

قال الطبيب مبتسمًا:" إنها كنوز الماضى". ثم ألقى عليها التحية ورحل.

ظلت الآنسة ماربل تتأمل فى النخيل والبحر. لم تكن قد التقطت غزلها، فقد توصلت لحقيقة ما الآن. كان عليها أن تفكر فى هذه الحقيقة وما تعنيه. تكن تلك الصورة التى أخرجها الرائد بلجراف من محفظته ثم أعادها ثانية مسرعًا، لم تكن هناك بعد وفاته. لم تكن تلك الصورة بالشىء الذى يمكن أن يلقى به الرائد. لقد أعادها إلى محفظته وكان يجب أن تكون فيها بعد وفاته. من الممكن أن يُسرق المال ولكن لا أحد يسرق الصورة، إلا إذا كان لديه سبب خاص لفعل هذا...

علت الكآبة وجه الآنسة ماربل. لقد كان عليها أن تتخذ قراراً ما. هل ستدع الرائد بلجراف يرقد فى قبره بسلام؟ أليس من الأفضل أن تقوم بذلك؟ قالت لنفسها عبارة

مقتبسة من إحدى مسرحيات شكسبير بصوت خفيض: " إن دنكان ميت الآن. لقد كانت الحياة مليئة بالآلام والمصاعب، وهو الآن ينعم بالسلام!" لا يمكن لأى شىء أن يؤذى الرائد بلجراف الآن. لقد ذهب إلى حيث لن يستطيع الخطر أن يمسه. هل كانت تلك مصادفة أن يموت فى تلك الليلة بالتحديد؟ أم أنها لم تكن كذلك؟ يتعامل الأطباء مع موت كبار السن بصورة عادية، وبخاصة مع وجود زجاجة أقراص من تلك التى يتناولها الأشخاص الذين يعانون من ارتفاع ضغط الدم، والتى يضطرون إلى أن يتناولوها كل يوم. ولكن، لو أن هناك شخصا ما قد أخذ الصورة من محفظة الرائد، فمن الممكن أن يكون نفس الشخص قد وضع علبة الأقراص تلك فى غرفة الرائد. لم تتذكر هى نفسها رؤية الرائد بلجراف يتناول أية أقراص، لم يحدثها أبداً عن ضغط دمه. الشىء الوحيد الذى ذكره عن صحته هو قوله:" لست شاباً كما كنت". لقد كان يعانى فى بعض الأحيان من ضيق فى التنفس، وكان يعانى قليلاً من الربو، لم يكن هناك شىء آخر. ولكن هناك شخص ما قد ذكر أن الرائد بلجراف يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم هل كانت مولى؟ أم الآنسة بريسكوت؟ لا تستطيع أن تتذكر.

تنهدت الآنسة ماربل، ثم عاتبت نفسها، على الرغم من أنها لم تقل هذا بصوت عال:" الآن يا جين، ما الذى تلمحين إليه أو تفكرين فيه؟ ربما يكون هذا كله من نسج خيالك؟ هل وجدت شيئاً على أرض الواقع لتبنى عليه أفكارك؟"

عادت بذاكرتها، خطوة بخطوة، على قدر ما استطاعت، محاولة تذكر المحادثة التى دارت بينها وبين الرائد بلجراف فى موضوع القتل والقتلة.

قالت الآنسة ماربل:" يا إلهى، حتى لو كان الأمر كذلك فى الحقيقة، لا أعرف ما الذى يمكننى فعله تجاه هذا الأمر ـ"

ولكنها عرفت أنها ترغب فى المحاولة.

الفصل السادس

فى الساعات الأولى من الصباح

1

استيقظت الآنسة ماربل مبكرًا؛ حيث إنها تنام نومًا متقطعاً مثل الكثيرين من كبار السن. وكانت تستيقظ لمرات عديدة تقوم فيها بالتخطيط لحدث أو لعدة أحداث تريد أن تقوم بها فى الأيام القادمة. بالتأكيد كانت تلك الأحداث ذات طبيعة شخصية ومنزلية، وكانت من هذا النوع الذى لا يهم أى شخص غيرها. ولكن استلقت الآنسة ماربل هذا الصباح تفكر بهدوء وبنظام عن القتل، وماذا يمكن أن تفعل إذا ما كانت شكوكها صحيحة. لم يكن هذا الأمر بالشىء السهل. كان لديها سلاح واحد، سلاح واحد فقط، وهو الحوار. تتمتع النساء العجائز بقدرة هائلة على إدارة الحوارات العشوائية. قد يمل الناس من هذا، ولكن بالتأكيد لا يصيبهم الشك فى وجود دوافع أخرى لتلك الحوارات. لن يكون الأمر صعباً عندما تطرح أسئلة مباشرة. (فى الواقع، كانت تجد صعوبة فى تحديد الأسئلة التى يجب أن تسألها!). وكانت المسألة ستنحصر فى الحصول على المزيد من المعلومات عن أشخاص بعينهم، وقد راجعت هؤلاء الأشخاص فى عقلها.

من المحتمل أنها كانت تحتاج إلى معرفة المزيد حول الرائد بلجراف، ولكن هل كان من الممكن أن يساعدها هذا فعلاً؟ لقد شكت فى أن هذا سيساعدها. لو أن الرائد بلجراف قد قُتل فإن ذلك لم يكن بسبب سر ما فى حياته أو بسبب ميراث ما أو انتقاماً منه. ففى الواقع، على الرغم من أنه كان الضحية، فإن هذه القضية تعد واحدة من القضايا النادرة التى لا تساعدك فيها المعرفة التامة بالضحية بأى شئ، أو أن تؤدى بك بأى حال إلى معرفة القاتل. أما النقطة الأساسية، أو النقطة الوحيدة، التى كانت جلية أمامها هى أن الرائد بلجراف كان يتحدث أكثر من اللازم!

لقد علمت أمراً مثيراً للاهتمام من الدكتور جراهام، وهو أن الرائد بلجراف كان يحمل فى محفظته العديد من الصور، واحدة منها له بصحبة مهر يمتطيه للعب البولو وأخرى لنمر ميت، وصورة أو صورتين أخريين لهما نفس الطبيعة. الآن لماذا كان الرائد بلجراف يحمل هذه الصور معه؟ اعتقدت الآنسة ماربل أنه من الواضح، من منطلق

معرفتها بالعديد من لواءات ونقباء الجيش، أن هذا كان بسبب هذا الكم من القصص الذى كان يستمتع بإلقائه على مسامع كل من يقابله؛ فقد كان يبدأ قصته بعبارات من قبيل:" حدث لى موقف غريب عندما كنت فى رحلة صيد نمور فى الهند..."، أو يقص ذكرياته أيام اشتراكه بسباقات الخيول. وبالتالى كان من المنطقى أن يدعم قصته حول القاتل المشتبه به بصورة يحملها فى محفظته للقاتل.

لقد كان يتبع هذا الأسلوب فى حديثه معها. وعندما جاء موضوع القتل، ولكى يركز الأضواء على قصته، قام بفعل ما كان يفعله دائماً بالتأكيد، فأخرج الصورة وقال شيئا من قبيل:"لا أعتقد أن هذا الشاب قاتل، هل تعتقدين ذلك؟"

الأمر المهم هنا هو أن تلك كانت عادته، لقد كانت قصة القاتل تلك واحدة من قصصه التى يحكيها طوال الوقت، وإذا جاء ذكر أى قاتل، فإن الرائد بلجراف كان يلتقط خيط الحوار وينسج به قصة القاتل.

اعتقدت الآنسة ماربل أنه من الممكن فى هذه الحالة أن يكون قد ذكر قصته لشخص آخر هنا، أو لأكثر من شخص لو أن ذلك قد حدث، فمن الممكن أن تعرف من هذا الشخص التفاصيل الأخرى للقصة، ومن الممكن أن تعرف شكل الشخص الموجود فى الصورة.

هزت رأسها برضا ستكون تلك هى البداية.

بالتأكيد كان هناك الأشخاص الذين كانت تطلق عليهم" المشتبهين الأربعة" بينها وبين نفسها. وعلى الرغم من ذلك، فنظراً لأن الرائد بلجراف كان يتحدث عن رجل فقد كان هناك مشتبهان بهما فقط؛ الكولونيل هيلنجدون والسيد دايسون، وهما لا يشبهان القتلة على الإطلاق، ولكن غالباً ما لا يوحى شكل القتلة بأنهم قتلة. هل من الممكن أنه كان هناك شخص آخر؟

لم تر الآنسة ماربل أى شخص عندما أدارت رأسها للخلف لتنظر. بالتأكيد كان هناك بيت صغير. إنه بيت السيد رافيل. هل من الممكن أن يكون قد خرج شخص ما من البيت واختفى بعيداً قبل أن يكون لديها الوقت لتلتفت برأسها؟ ولو أن هذا بالفعل ما قد حدث، فمن المحتمل أن يكون هذا الشخص هو الخادم الشخصى للسيد رافيل. ماذا كان اسمه؟ نعم، جاكسون. هل من الممكن أن يكون جاكسون هذا هو الشخص الذى خرج من الباب؟ كانت تلك الوقفة مماثلة لما كانت فى الصورة. صورة رجل يخرج من أحد الأبواب. يبدو أن الرائد بلجراف تعرف عليه فجأة، فحتى تلك اللحظة لم يكن ينظر الرائد بلجراف إلى هذا الخادم بأى اهتمام. فقد كانت عينه الزائغة الفضولية تتسم بالتعالى وآرثر جاكسون لم يكن شخصاً ذا شأن كى ينظر إليه الرائد بلجراف باهتمام.

ولكن عندما كانت الصورة فى يده، وعندما نظر وراء كتف الآنسة ماربل الأيمن ورأى رجلاً يخرج من الباب، فربما....؟

تقلبت الآنسة ماربل على وسادتها وهى تفكر فى برنامج الغد أو بالأحرى برنامج اليوم سوف تحاول أن تعرف المزيد عن آل هيلنجدون وآل دايسون وآرثر جاكسون؛ الحارس الشخصى.

2

استيقظ الدكتور جراهام مبكراً أيضًا. عادة ما كان يستيقظ ويعود إلى نومه مرة أخرى. ولكنه كان مضطربًا اليوم، وجافى النوم عينيه. لم يصبه هذا القلق الذى منعه من النوم منذ فترة طويلة. ترى ما السبب فى هذا القلق؟ فى الحقيقة لم يستطع أن يعرف. استلقى الطبيب مفكراً فى هذا الأمر. هل الأمر يتعلق... هل الأمر يتعلق بموت الرائد بلجراف؟ نعم، هو كذلك، ولكنه لم يدر ما الذى جعله يشعر بهذا القلق والتوتر. ربما يكمن السبب فى شىء قالته تلك العجوز الثرثارة؟ لم يصادفها الحظ فى العثور على صورتها، وقد تقبلت الأمر بهدوء. ولكن الآن ما الذى قالته، ما تلك الكلمة التى قالتها وأعطته هذا الإحساس الغريب بعدم الارتياح؟ فرغم كل شىء؛ لم يكن هناك شىء غريب فى موت الرائد بلجراف. لم يكن هناك شيء على الإطلاق. على الأقل كان يظن أنه لم يكن هناك شيء على الإطلاق.

فجأة طرأت على ذهنه فكرة مشوشة؛ هل كان بالفعل يعلم الكثير عن حالة الرائد الصحية؟ لقد قال الجميع إنه كان يعانى من ارتفاع ضغط الدم. ولكنه لم يتحدث شخصيًا مع الرائد عن هذا الأمر. ولكنه، على كل حال، لم يتحدث معه على الإطلاق. لقد كان بلجراف عجوزاً مزعجاً، ولقد كان يتحاشى أمثاله. ولكن لماذا تساوره تلك الفكرة فكرة أنه ربما لا يكون كل شىء على ما يرام؟ هل كان هذا بسبب تلك تلك المرأة العجوز؟ ولكنها لم تقل أى شئ. على كل حال، هذا لم يكن من شأنه. لقد كانت السلطات المحلية راضية للغاية. لقد كانت هناك زجاجة أقراص السيرينايت تلك، وربما كان هذا العجوز قد ثرثر كثيراً حول إصابته بارتفاع ضغط الدم.

ثم تقلب الدكتور جراهام فى السرير وسرعان ما غلبه النعاس.

3

تقلبت فيكتوريا جونسون فى فراشها، ثم جلست على طرفه وكانت تبيت فى أحد الأكواخ المصفوفة خارج الفندق بالقرب من أحد الخلجان الصغيرة. كانت فتاة سانت هونورى تلك مخلوقة رائعة الجمال تتمتع بجسد أسمر رائع. مررت أصابعها فى شعرها الأسود المجعد ودفعت زوجها النائم بجانبها بقدمها برفق فى ضلوعه.

قالت:" استيقظ يا رجل"

همهم الرجل ثم استدار قائلاً:

"ماذا تريدين؟ لم يأت الصباح بعد".

"استيقظ يا رجل، أريد التحدث معك".

قام الرجل من نومه وتمدد وفتح فمه الواسع حتى ظهرت أسنانه الجميلة.

"ما الذى يقلقك يا امرأة؟"

"هذا الرائد الذى مات. هناك شىء ما لا يريحنى. هناك خطأ فى هذا الأمر".

"ما الذى يقلقك فى هذا الأمر؟ لقد كان عجوزاً وقد مات".

"اسمعنى يا رجل. إنها تلك الأقراص. تلك الأقراص التى سألنى الطبيب عنها".

"ماذا عنها؟ ربما أخذ العديد منها".

"لا، ليس الأمر هكذا. اسمعنى". ثم انحنت بجسدها ناحيته لتحدثه بتحمس، بينما تثاءب واستلقى مرة أخرى.

قال:"ليس هناك شىء فى هذا الأمر. ما الذى تتحدثين عنه؟"

"لا عليك سأتحدث مع السيدة كندال عن هذا الأمر فى الصباح. أعتقد أن هناك شيئاً خطأ فى هذا الأمر".

"لا تزعجى نفسك". قالها زوجها. ثم أردف قائلاً: "دعينا نبتعد عن المشاكل". ثم التف مستلقياً على جانبه وهو يتثاءب.

الفصل السابع

صباح على الشاطئ

1

كان الوقت فى وضح النهار على الشاطئ المواجه للفندق.

خرجت إيفلين هيلنجدون من المياه وألقت بنفسها على الرمال الذهبية الدافئة. خلعت غطاء رأسها وهزت شعرها الداكن بقوة. لم يكن الشاطئ كبيراً، وعادة ما كان يتجمع الناس كل صباح، وفى الحادية عشر والنصف كان هناك دائماً لقاء اجتماعى. كانت تستلقى سنيورا دى كاسبير، وهى امرأة فاتنة من فنزويلا، على يسار إيفلين على واحد من الكراسى الغريبة المصنوعة من القش. بجانبها كان يوجد السيد رافيل العجوز الذى أصبح الآن عميد فندق جولدن بالم، يحظى بسطوة لم يكن ليتسلح بها سوى رجل عجوز عاجز فاحش الثراء. كان بصحبته إستر والترز، التى كانت دائماً ما تحمل مفكرتها وقلم رصاص فى حقيبتها، فمن الممكن أن يتذكر السيد رافيل فجأة أحد الأعمال الضرورية التى يجب أن يتم إرسال أوامر بتنفيذها عبر البرق. كان السيد رافيل يبدو فى ملابس البحر هزيلاً للغاية، حيث اكتست عظامه بطبقات من الجلد الجاف. وعلى الرغم من أنه يبدو كرجل على حافة الموت، إن هذا كان مظهره على الدوام لثمانى سنوات خلت كما كان يتردد عنه فى الجزيرة. كانت عيناه الزرقاوان تحدقان خارج وجنتيه المجعدتين، وكانت متعته الأساسية فى الحياة أن يختلف مع أى شىء قاله أى شخص بشدة.

كانت الآنسة ماربل موجودة أيضاً. كانت جالسة كالعادة تغزل وتستمع إلى ما يجرى، ونادراً ما كانت تشترك فى الحوار. وعندما كانت تفعل هذا كان الجميع يفاجأ بوجودها، لأنهم عادة ما كانوا ينسون أنها موجودة! نظرت إليها إيفلين هيلنجدون بطريقة عطوفة، واعتقدت أنها سيدة عجوز ودودة.

دلكت سنيورا دى كاسبيرو بعض الزيت على قدميها الطويلتين الجميلتين وهى تهمهم. لم تكن بالسيدة التى تتحدث كثيراً، وقد نظرت باستياء إلى قارورة الزيت المسمر للبشرة.

قالت بحزن:" هذا النوع ليس جيداً مثل فرانجيبانيو. لا يستطيع المرء أن يحصل عليه هنا. يا للأسف". ثم نظرت لأسفل مرة أخرى.

قالت إستر والترز:" هل ستذهب للسباحة الآن يا سيد رافيل؟"

رد السيد رافيل بفظاظة:" سأذهب عندما أكون جاهزاً لهذا".

فقالت السيدة والترز:ولكنها الحادية عشر والنصف".

رد السيد رافيل قائلاً:" وماذا فى ذلك؟ هل تعتقدين بأننى من هؤلاء الرجال المرتبطين بالوقت؟ أفعل هذا فى ذلك الوقت، أفعل هذا خلال عشرين دقيقة، أفعل ذلك فى هذا الوقت اللعنة".

كانت السيدة والترز قد صاحبت السيد رافيل لفترة كافية لجعلها تكيف نفسها على التعامل معه. فقد كانت تعلم أنه يحتاج لمدة كافية يرتاح فيها من إجهاد السباحة، وبالتالى كان عليها أن تذكره بالوقت، حتى تترك له فسحة من الوقت يرفض فيها اقتراحها، ثم يقبله دون أن يُبْدِى أنه فعل ذلك.

قال السيد رافيل، رافعًا قدمه ناظرًا إليها:" لا أحب هذا الحذاء الخفيف. لقد قلت هذا لـ جاكسون الغبى. لا يلقى هذا الرجل بالاً لما أقوله".

قالت له إستر:" هل أجلب لك غيره يا سيد رافيل؟".

"لا، لن تقومى بهذا، ستجلسين هنا وتبقين هادئة. أكره تدافع الناس أمامى هكذا مثل تزاحم الدجاج داخل الحظيرة".

تحركت إيفلين فوق الرمال الدافئة، ممددة ذراعها.

ظلت الآنسة ماربل عاكفة على غزلها أو هذا ما بدا عليها ففردت إحدى رجليها، ثم اعتذرت بسرعة قائلة:

"أنا آسفة، آسفة للغاية يا سيدة هلينجدون، لأننى ركلتك.

قالت إيفلين:" لا، كل شىء على ما يرام، لقد أصبح هذا الشاطئ مزدحما للغاية".

"أوه، لا تتحركى. من فضلك. سوف أحرك كرسِيّ للخلف قليلاً لئلا أفعل هذا ثانية".

بعدما استقرت الآنسة ماربل، استمرت فى حديثها بأسلوب طفولى ومرح.

قالت:" مازال رائعًا أن يكون المرء هنا! لم أحضر إلى جزر الهند الغربية أبداً قبل هذا. لقد اعتقدت أن هذا المكان ليس من النوع الذى يجب أن آتى إليه أبداً، وها أنا ذى هنا. كل هذا من عطف ابن أخى العزيز. أعتقد أنك تعرفين هذا الجزء من العالم جيداً، أليس كذلك يا سيدة هيلنجدون؟"

أجابتها قائلة:" لقد جئت إلى هذه الجزيرة مرة أو اثنتين قبل هذا، وبالتأكيد ذهبت إلى أغلب الجزر الأخرى".

"نعم، نعم، للبحث عن الفراشات، أليس كذلك، والورود البرية؟ أنت وأصدقاؤك، أم هم أقرباؤك؟".

"إنهم أصدقاء. ليسوا أكثر من ذلك".

"وأعتقد أنكم تسافرون مع بعضكم كثيراً بسبب هوايتكم المشتركة أليس كذلك؟"

أجابتها إيفلين:"نعم، إننا نسافر مع بعضنا منذ سنين".

"أظن أنك قد خضت بعض المغامرات الشيقة، أليس كذلك؟"

ردت إيفلين قائلة: لا أعتقد ذلك". كان صوتها خفيضاً، ويبدو فيه الضجر قليلاً ثم أردفت:" يبدو أن المغامرات تصادف دائمًا أناساً آخرين". ثم تثاءبت.

"لم يحدث أنى وقعت فى براثن الثعابين أو الحيوانات البرية أو أحد المحاربين الاسكندنافيين المسعورين؟".

(قالت الآنسة ماربل لنفسها: "يا لى من غبية")

أكدت لها إيفلين قائلة:" لم أصادف ما هو أسوأ من لدغ الحشرات".

قالت الآنسة ماربل:" لقد لدغ ثعبان الرائد بلجراف المسكين فى أحد المرات". وبالطبع كانت تلك عبارة اختلقتها الآنسة ماربل.

قالت إيفلين:"هل حدث هذا فعلاً؟"

"ألم يقل لك هذا من قبل؟"

"ربما. لا أتذكر جيداً"

"اعتقدت أنك تعرفينه جيداً، أليس كذلك؟"

"الرائد بلجراف؟ لا، إننى أعرفه معرفة سطحية".

"كان لديه دائمًا العديد من القصص الممتعة التى كان يحكيها".

فقال السيد رافيل:" هذا المزعج العجوز، إنه أحمق أيضًا. لم يكن ليموت لو كان يعتنى بنفسه جيداً".

قالت السيدة والترز:" لا تقل هذا يا سيد رافيل".

"أنا أعرف ما أقوله. لو اعتنى المرء بصحته جيداً فسوف يحظى بالصحة دائماً.

انظرى إلىّ، لقد خاب أمل الأطباء فى شفائى منذ سنين مضت. وتوقعوا موتى، ولكنى قلت إن لدىّ قواعدى الصحية الخاصة وسوف أتبعها دوماً. وها أنا ذا".

ثم نظر حوله بفخر.

لقد كان وجود السيد رافيل فى الدنيا حتى لهذه اللحظة يبدو إعجازاً فى حد ذاته.

قالت السيدة والترز:" لقد كان يعانى الرائد بلجراف المسكين من ارتفاع ضغط الدم".

قال السيد رافيل:" هذا هراء".

قالت إيفلين هيلنجدون فجأة بثقة مفرطة: "أوه، لكنه كان يعانى منه بالفعل".

قال السيد رافيل:" من يقول هذا، هل قال لك أحدهذا؟

أجابته:" قال لى أحد الأشخاص هذا".

شاركت الآنسة ماربل فى الحديث قائلة:" لقد كان وجهه مضرجاً بالاحمرار".

قال السيد رافيل:" هذا ليس صحيحاً. وعلى كل حال، لم يكن يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم، لقد قال لى هذا".

قالت السيدة والترز:" ماذا تعنى، هل قال لك هذا؟ أعنى، أنك لا تستطيع بالتحديد أن تخبر الناس بأنك لا تعانى من مرض ما".

"نعم يستطيع المرء هذا. لقد قلت له ذلك ذات مرة عندما كان يتجرع كمية كبيرة من المشروبات ويأكل بنهم". "يجب أن تنظم حميتك الغذائية وتراقب المشروبات التى تشربها. يجب أن تفكر فى ضغط دمك فى سنك هذه وقد قال إنه لا يخشى أى شىء من هذا القبيل، لأن ضغط دمه كان جيداً جداً بالنسب لعمره هذا".

قالت الآنسة ماربل، مشتركة فى المحادثة مرة أخرى":" ولكنه كان يتناول بعض الأقراص من أجل هذا، كما أعتقد. دواء يسمى آه، شيئًا مثل أظن عقار السيرينايت؟".

قالت إيفلين هيلنجدون:" لو سألتنى عن رأيى فسأقول بأننى لا أظن أنه كان يحب أن يعترف أنه كان يعانى من أى شىء أو يشكو من أنه مريض. أعتقد أنه كان من أولئك الناس الذين يخافون من المرض، وبالتالى ينكرون أنهم يعانون من أى شىء.

كان هذا الحديث طويلاً بالنسبة لها كامرأة قليلة الكلام. نظرت الآنسة ماربل إلى رأسها المكسوة بشعرها الداكن، وهى تفكر.

قال السيد رافيل بشكل ديكتاتورى:" المشكلة هى أن كل الأشخاص مغرمون بمعرفة أمراض الآخرين. وهم يعتقدون أن كل من تعدوا الخمسين من عمرهم سوف يموتون من ارتفاع ضغط الدم أو من انسداد الشريان التاجى، أو أحد تلك الأشياء كل هذا

هراء! لو قال أحدهم إنه لا يعانى من شىء، إذن فهو لا يعانى من شىء بالفعل، فالمرء يجب أن يكون أكثر الناس معرفة بصحته. كم الساعة الآن؟ الثانية عشرة إلا ربعاً؟ كان يجب أن أذهب للغطس منذ وقت طويل. لماذا لم تذكرينى بهذا الأشياء يا إستر؟"

لم تحتج السيدة والترز. ووقفت على قدميها وساعدت السيد رافيل على النهوض بكل خفة. وذهبا إلى الشاطئ مع بعضهما، وكانت تسنده بحرص. ثم نزلا إلى البحر سوياً.

فتحت سنيورا دى كاسبيرو عينيها متمتمة:" يا لقبح الرجال كبيرى السن! يا لقبحهم! يجب أن يتم قتلهم جميعاً عندما يصلون إلى الأربعين من عمرهم، أو من الأفضل فى الخامسة والثلاثين، أليس كذلك؟"

هنا حضر إدوارد هيلنجدون وجريجورى دايسون وهما يمشيان بتثاقل على الرمال.

"كيف حال المياه يا إيفلين؟"

"كما هى دائماً".

"لا يوجد تغيير أبداً، أليس كذلك؟ أين لاكى؟"

قالت إيفلين:" لا أعرف".

نظرت الآنسة ماربل مرة أخرى مستغرقة فى التفكير فى تلك الرأس المغطاة بالشعر الداكن.

قال جريجورى:" حسناً، الآن سأمثل دور الحوت". ثم خلع قميصه المزركش وأخذ يركض لاهثاً ثم قفز إلى الماء وهو يزحف بسرعة. أما إدوارد هيلنجدون فقد جلس على الشاطىء بجانب زوجته ثم سألها: هل ستنزلين إلى البحر مرة أخرى؟"

ابتسمت وهى ترتدى غطاء رأسها وسارا تجاه البحر فى هدوء.

فتحت سنيورا دى كاسبيرو عينيها مرة أخرى ثم قالت:

"لقد اعتقدت فى أول الأمر أن هذين الزوجين فى شهر العسل، إنه يبدو مغرماً جداً بها، ولكنى سمعت أنهما متزوجان منذ ثمانى أو تسع سنوات. هذا غير معقول، أليس كذلك؟"

قالت الآنسة ماربل:" ترى أين السيدة دايسون؟"

"لاكى هذه؟ لابد أنها مع رجل ما".

"هل هل تعتقدين ذلك؟".

قالت سنيورا دى كاسبيرو:" هذا شىء مؤكد، إنها من هذا النوع. ولكنها لم تعد شابة الآن إن زوجها يغازل النساء فى كل مكان يقوم ببعض الجولات هنا وهناك، طوال

الوقت، أنا أعرف ذلك.

قالت الآنسة ماربل:" نعم، أتوقع أنك تعرفين".

نظرت سنيورا دى كاسبيرو بدهشة إلى الآنسة ماربل. كان من الواضح أنه لم يكن الرد الذى كانت تتوقعه منها.

أما عن الآنسة ماربل، فإنها كانت تنظر للبحر بكل براءة.

2

قالت فيكتوريا جونسون.

"هل أستطيع التحدث إليك يا سيدة كندال؟"

قالت مولى وهى جالسة على طاولتها داخل المكتب: "نعم بالتأكيد".

كانت فيكتوريا جونسون فتاة طويلة تبدو عليها البهجة وهى ترتدى ثوبها ناصع البياض، اقتربت قليلاً وأغلقت الباب خلفها بأسلوب غامض إلى حد ما.

قالت:" أريد أن أقول لك شيئًا، إذا سمحت، يا سيدة كندال".

"نعم، ما الأمر؟ هل هناك ما يسوء؟"

قال:" لا أعرف بالضبط، لست متأكدة. إنه الرجل الذى مات. الرائد الذى مات وهو نائم".

قالت مولى:" نعم، نعم، وما الغريب فى هذا؟"

"لقد كانت هناك زجاجة حبوب فى غرفته. لقد سألنى الطبيب عنها".

"ثم ماذا؟"

"قال الطبيب:" دعونى أرى ما يوجد لديه فى رف الحمام"، ونظر إلى تلك الأشياء. لقد وجد بودرة أسنان وأقراصا لعسر الهضم، وأسبرين وأقراصا مُسهلة، ووجد هذه الأقراص فى زجاجة مكتوب عليها سيرينايت".

قالت مولى مرة أخرى:" ثم ماذا؟"

"نظر الطبيب إليها. وقد بدا على وجهه الرضا، وأومأ برأسه. ولكنى فكرت فى الأمر بعد هذا. لم تكن تلك الأقراص موجودة من قبل. لم أرها فى الحمام من قبل. لقد رأيت الأشياء الأخرى من قبل، بودرة الأسنان والأسبرين ومرطب ما بعد الحلاقة، لكننى لم ألحظ أبداً هذه الأقراص، أقراص السيرينايت تلك من قبل".

بدت مولى مشوشة وقالت:" إذن أنت تعتقدين ـــ"

قالت فيكتوريا:" لا أعرف ماذا أعتقد. لقد فكرت فقط فى أن هذا الأمر ليس على ما يرام، لذا اعتقدت أنه من الأفضل أن أخبرك به هل يمكن أن تخبرى الطبيب؟ فمن الممكن أن يعنى هذا شيئًا. من الممكن أن يكون قد قام أحد الأشخاص بوضع هذه الأقراص هنا فأخذها وبالتالى مات".

قالت مولى:" لا أعتقد هذا على الإطلاق".

هزت فيكتوريا رأسها قائلة:" أنت لا تعرفين شيئًا. يفعل بعض الناس أشياء سيئة".

ألقت مولى نظرة خارج النافذة. كان يبدو المكان كجنة عدن. ولكن فى جنة عدن كان هناك طيف قاتم طيف الشيطان، كم هو مزعج سماع تلك الكلمات!.

قال مولى بحدة:" سوف أقوم بتحقيقاتى يا فيكتوريا، لا تقلقى. وأهم شىء هو ألا تقومى بنشر هذه الشائعات السخيفة".

دخل تيم كندال الغرفة فى الوقت الذى كانت تغادرها فيه فيكتوريا على مضض.

"هل هناك ما يسوء يا مولى؟".

ترددت فى أن تقول له لكنها أدركت أنه من الممكن أن تذهب فيكتوريا إليه وتخبره؛ فقالت له ما قالته الفتاة.

"لا أعرف ما كل هذا الهراء ماذا كانت تلك الأقراص على أى حال؟".

قالت مولى:" حسنًا، لا أعرف حقيقتها يا تيم. عندما جاء الدكتور روبيرتسون قال إن لها علاقة بضغط الدم على ما أعتقد".

"حسنًا، ليس هناك شىء غريب من هذه الجهة. أعنى، لقد كان يعانى من ارتفاع ضغط الدم، ولقد كان يتناول أدوية من أجل هذا الأمر، أليس كذلك؟ يتناول المصابون بضغط الدم أقراصاً للعلاج، لقد رأيت ذلك بنفسى عدة مرات".

ترددت مولى قائلة:" نعم، ولكن تعتقد فيكتوريا أنه من الممكن أن يكون قد أخذ هذه الأقراص وتسببت فى موته".

"يا عزيزتى، هذا يبدو شيئًا خيالياً للغاية! هل تعنين أن هناك شخصا ما قد قام بتغيير أقراص ضغط الدم بشىء آخر، وأن تلك الأقراص تسببت فى تسممه؟".

قالت مولى:" هذا حقًا يبدو ساذجاً. عندما تقول إن الأمر هكذا. ولكن هذا ما تعتقده فيكتوريا!".

قال تيم:" فتاة ساذجة! يمكننا أن نذهب ونسأل الدكتور جراهام عن هذا، أعتقد أنه يعرف هذا. ولكن هذا يبدو هراء وسنزعجه دون أدنى سبب".

قالت مولى:" هذا ما أعتقده".

"ما الذى يجعل هذه الفتاة تعتقد أن هناك شخصا ما قد بدل الأقراص؟ هل تعنين أن أحداً وضع أقراصاً مختلفة فى نفس الزجاجة؟".

قالت مولى وهى فى حيرة من أمرها:"لم أفهم تحديداً، ولكن فيكتوريا اعتقدت أنها كانت أول مرة ترى ترى فيها تلك الزجاجة هناك".

قال تيم كندال:" أوه، ولكن هذا هراء، كان من الواجب عليه أن يتناول تلك الأقراص طوال الوقت ليبقى ضغطه منخفضًا". ثم ذهب تيم بكل بساطة ليتشاور مع فرناندو رئيس الخدم فى الفندق.

لكن لم تستطع مولى أن تصرف نظرها عن الأمر بهذه البساطة. وبعد أن انتهى وقت الغداء قالت لزوجها:

"لقد كنت أفكر يا تيم لو أن فيكتوريا ستتحدث عن هذا الأمر مع الجميع، فربما يجب أن نسأل شخصا ما عنه".

قال تيم:" عزيزتى!لقد جاء روبيرتسون والآخرون ونظروا فى كل شىء وسألوا كل الأسئلة التى أرادوا أن يعرفوها فى هذا الوقت".

"ولكن أنت تعرف كيف تصرف مثل تلك الفتيات أمورهن ــ".

"حسنًا! سنذهب ونسأل جراهام، سيعرف هو المزيد عن الأمر".

كان الدكتور جراهام يجلس على إيوانه المسقوف وبيده كتاب حينما دخل الزوجان الصغيران واندفعت مولى فى سرد قصتها. لم تكن الأحداث التى تسردها مترابطة، فتولى تيم تلك المسئولية.

فقال تيم مبررًا:" يبدو الأمر سخيف، ولكن، بقدر ما، أستطيع أن أفهمه أن تلك الفتاة تعتقد أن هناك شخصا ما وضع أقراص سم فى زجاجة هذا الدواء ما اسمه سيرا نوع من زجاجات الأقراص".

سأل الدكتور جراهام قائلاً:" ولكن ما الذى أوجد هذه الفكرة فى رأسها؟ هل رأت أو سمعت شيئًا ما أعنى، ما الذى جعلها تعتقد هذا؟"

قال تيم بحيرة:" لا أعرف. هل كانت زجاجة مختلفة؟ هل كانت هكذا فعلاً يا مولى؟"

قالت مولى:" لا، أعتقد أن ما قالته أنه كان هناك زجاجة عليها اسم سفن سرنس".

قال الدكتور:"سيرينايت". هذا صحيح. إنه مستحضر معروف للغاية. لقد كان يتناوله دائمًا".

قالت مولى:" لقد قالت فيكتوريا إنها لم تر تلك الأقراص فى غرفته من قبل".

قال الدكتور جراهام بحدة:"لم ترها فى غرفته من قبل؟ ماذا تعنى بقولها هذا؟"

قالت مولى:" حسنًا، هذا ما قالته هى. لقد قالت كان هناك عديد من الأشياء فى رف الحمام. كما تعلم، بودرة الأسنان، أسبرين ومرطب ما بعد الحلاقة وما إلى ذلك، وقد ذكرت كل تلك الأشياء بسرعة. أعتقد أنها كانت تنظف حجرته بشكل منتظم، وبالتالى كانت تتذكر كل شىء عن ظهر قلب. ولكن هذا السيرينايت لم تره إلا فى اليوم الذى أعقب وفاته".

قال الدكتور جراهام بحدة أكثر:" هذا يبدو غريباً للغاية. هل هى متأكدة؟".

جعلت حدة نبرة صوته غير المعتادة كلا الزوجين ينظران إليه. فلم يتوقعا أن يتلقى الدكتور جراهام هذا الخبر بذلك الأسلوب.

قالت مولى ببطء:" لقد بدت متأكدة".

قال تيم:" ربما كانت ترغب فقط فى إضافة بعض الإثارة ".

قال دكتور جراهام:" أعتقد أنه من الأفضل أن أتحدث قليلاً مع هذه الفتاة بنفسى".

وبدت على فيكتوريا سعادة واضحة لأنها استطاعت أن تحكى قصتها.

قالت:" لا أريد أن أتورط فى تلك المشكلة. لم أضع تلك الزجاجة هناك ولا أعرف من وضعها".

سألها جراهام قائلاً:" ولكنك تعتقدين أن هناك شخصا ما قد وضعها هناك؟".

قالت:" حسنًا، كما تعلم يا دكتور، لابد وأن أحداً قد وضعها هناك لو لم تكن موجودة من قبل".

قال دكتور جراهام:" من الممكن أن الرائد بلجراف كان يحتفظ بها فى درج ما أو خزينة، أو شىء من هذا القبيل".

هزت فيكتوريا رأسها بالنفى بثقة، قائلة:

"لم يكن ليفعل هذا لو كان يتناولها طول الوقت، أليس كذلك؟".

قال الدكتور جراهام على مضض:" لا. لا، هذا الدواء من النوع الذى يجب تناوله مرات عديدة فى اليوم. ألم تريه أبداً يتناولها، أو يتناول أى شىء من هذا القبيل؟"

"لم أرها معه من قبل. لقد اعتقدت أعنى لقد سرت إشاعات عن أن هذا الدواء له علاقة بموته، سمم دمه أو شيئا مثل هذا، وأعتقد أنه ربما كان له عدو قد وضعها له ليقتله".

قال الطبيب بغلظة:" هذا هراء يا بنيتى. هراء مُطبق".

نظرت فيكتوريا إليه بتوتر وسألته بشك:

"أنت تقول إن هذه الأقراص دواء، دواء جيد، أليس كذلك؟"

قال الدكتور جراهام:" دواء جيد، والأهم من ذلك أنه دواء ضرورى، لذا لا يجب أن تقلقى يا فيكتوريا. أؤكد لك أنه ليس هناك ما يسوء فى هذا الدواء، فقد كان هو الدواء المناسب الذى يجب أن يأخذه المرء الذى يشكو من أعراض ارتفاع ضغط الدم".

قالت فيكتوريا:" لقد أزحت عن كاهلى حملاً ثقيلاً. ثم أظهرت أسنانها البيضاء فى ضحكة مشرقة.

ولكن لم ينزح هذا الحمل عن دكتور جراهام، وأصبح القلق الذى كان يعانى منه، دون سبب واضح، أكثر واقعية ووضوحاً.

الفصل الثامن

حديث مع إستر والترز

قال السيد رافيل بانفعال، بينما كان يراقب الآنسة ماربل تقترب من المكان الذى كان يجلس فيه هو وسكرتيرته قائلاً:" لم يعد هذا المكان كما اعتدت عليه من قبل، فلم يعد يستطيع المرء أن يتحرك خطوة دون أن يجد امرأة عجوزاً تحت قدميه. ما الذى يدفع تلك العجائز إلى القدوم إلى جزر الهند الغربية؟".

سألته إستر والترز قائلة:" إلى أين تقترح أن يذهبن؟".

فقال السيد رافيل على وجه السرعة:" إلى شلتنام، أو بورنماوث أو توركواى أو لايندرندود ويلز هناك العديد من الاختيارات. تلك الأماكن تعجبهن إنهن يرتحن بها".

قالت إستر:" أعتقد أنهن لا يستطعن تحمل تكاليف الذهاب إلى جزر الهند الغربية. ليس كل الناس محظوظين مثلك".

قال السيد رافيل:" هذا صحيح. قولى ما عندك. ها أنا ذا، كتلة من الأوجاع وآلام المفاصل. أنت تحسدينني على أى سعادة! ولا تقومين بأى عمل لماذا لم تقومى بكتابة هذه الخطابات حتى الآن؟

أجابته:" لم يكن لدىّ وقت".

"حسنًا، قومى بذلك الآن، ألا تستطيعين ذلك؟ لقد أتيت بك إلى هنا لتقومى بعمل، لا لتجلسى تحت أشعة الشمس وتستمتعى بوقتك".

كان يعتبر بعض الناس تلميحات السيد رافيل لا تطاق، ولكن إستر عملت معه لبضع سنوات وهى تعرف جيداً أن كلام السيد رافيل كان أسوأ كثيراً من أفعاله. لقد كان هذا الرجل يعانى من آلام مستمرة، وكان إلقاؤه تلك التعليقات اللاذعة هو مجرد أداة تنفيس عما بداخله من آلام ومتاعب، ومهما كان يقول فقد كانت إستر تتحمله ولا يهتز لها جفن.

قالت السيدة ماربل وهى بجانبهما:" يا له من يوم جميل، أليس كذلك؟"

قال السيد رافيل:" ولِم لا؟ هذا ما أتينا من أجله، أليس كذلك؟"

ندت عن الآنسة ماربل ضحكة رنانة، وقالت:

"أنت قاسٍ للغاية إن حالة الجو بالتأكيد من الموضوعات الرئيسية فى الحديث فى إنجلترا إن المرء لينسى يا إلهى هذا ليس لون الخيط الصوفى الصحيح". ألقت حقيبة غزلها على طاولة الحديقة وأسرعت تجاه كوخها.

صاح السيد رافيل قائلاً:" جاكسون!".

ظهر جاكسون.

قال السيد رافيل:" خذنى للداخل. سأذهب لأحصل على التدليك الآن قبل أن تعود تلك الدجاجة الثرثارة". ثم أضاف قائلاً:" رغم أن هذا التدليك لن يفيدنى كثيراً". وبمجرد أن قال هذا، سمح لخادمه الخاص أن يساعده على الوقوف وذهب مع الخادم إلى داخل الكوخ.

ظلت إستر والترز تنظر باتجاههم ثم أدارت رأسها عندما عادت الآنسة ماربل ممسكة بِكُرة الصوف وجلست قريبا منها.

قالت الآنسة ماربل:" آمل ألا أكون قد تسببت فى مضايقتك".

فقالت إستر والترز:" بالتأكيد لا. كان يجب علىّ أن أذهب وأقوم ببعض الأعمال الآن، ولكننى سأجلس لعشرة دقائق أخرى لأستمتع بمشهد الغروب.

جلست الآنسة ماربل وبدأت تتحدث. وفيما كانت تتحدث، بدأت تتعرف أكثر على شخصية إستر والترز، إنها ليست فاتنة، ولكنها يمكنها أن تبدو جذابة إذا حاولت. تساءلت الآنسة ماربل لماذا لم تحاول أن تبدو جذابة!. بالتأكيد من الممكن أن يكون هذا بسبب أن السيد رافيل لن يعجبه هذا، ولكن الآنسة ماربل اعتقدت أن السيد رافيل لن يمانع على الأقل. لقد كان مشغولاً بنفسه تماماً طالما لم يتم تجاهله، وكان من الممكن أن تصبح سكرتيرته رائعة الجمال دون أن يبدى أى اعتراض. بالإضافة إلى ذلك، دائماً ما يذهب السيد رافيل مبكراً للنوم وفى ساعات المساء بوجود الفرقة الموسيقية والرقص، من الممكن أن تصبح إستر بسهولة توقفت الآنسة ماربل لتختار كلمة مناسبة، وهى تتحدث فى نفس الوقت ببهجة عن زيارتها لجيمس تاون نعم، كزهرة متفتحة. نعم من الممكن أن تصبح إستر والترز زهرة يانعة فى ساعات المساء.

استمرت فى محادثتها بلطف حتى وصلت فى حديثها إلى جاكسون.

بدا على إستر غضب واضح حينما أتى ذكر جاكسون،

فقالت:" إنه موظف كفء، وممارس خبير للتدليك".

"أعتقد أنه يرافق السيد رافيل منذ وقت طويل؟".

"لا، منذ حوالى تسعة أشهر على ما أعتقد ـ"

قالت الآنسة ماربل قائلة:" هل هو متزوج؟"

قالت إستر والترز وقد بدت عليها الدهشة إلى حد ما:" متزوج؟ لا أعتقد هذا. لم يذكر من قبل إن كان متزوجاً ـ".

أضافت قائلة:" لا ليس متزوجًا على الإطلاق، أنا متأكدة من هذا". ثم أظهرت استغرابها بضحكة ساخرة.

ترجمت الآنسة ماربل رد الفعل هذا عن طريق إضافة الجملة التالية إلى التفسير الذى توصلت إليه داخل عقلها: "على أى حال، لا يتصرف كشخص متزوج".

ولكن كم رجلاً متزوجاً يتصرف بشكل لا يدل على أنه متزوج؟ الكثير والكثير، مثلما تعتقد الآنسة ماربل من واقع خبرتها وممن قابلتهم على هذه الشاكلة.

قالت الآنسة ماربل بشكل حالم:"إنه وسيم إلى حد كبير".

فردت إستر والترز بدون اهتمام:"نعم، أعتقد أنه كذلك".

أخذت الآنسة ماربل تتأملها فى تمعن. ألا تهتم بالرجال؟ هكذا فكرت الآنسة ماربل، ربما تكون من النوع الذى لا يهتم سوى برجل واحد أرملة، لقد قالوا عنها إنها أرملة.

سألت الآنسة ماربل:"هل تعملين لدى السيد رافيل منذ زمن طويل؟".

أجابت إستر:"منذ أربع أو خمس سنوات. فبعد موت زوجى، اضطررت إلى أن أعمل مرة أخرى. لدىّ ابنة فى المدرسة، وقد تركنى زوجى فى حالة مالية مزرية".

قالت الآنسة ماربل:"من الصعب العمل لدى السيد رافيل، أليس كذلك؟".

أجابت إستر:"ليس إلى هذا الحد وإذا عرفته أكثر سوف تعرفين ما أعنى. صحيح أنه كثير الغضب، ومتناقض للغاية. أعتقد أن المشكلة الحقيقية هى أنه يمل من الناس. لقد عيّن خمسة خدم خصوصيين فى غضون سنتين، فهو يحب أن يرافقه شخص جديد لكى يشاكسه. ولكنى أنسجم معه بصورة جيدة جداً".

قالت الآنسة ماربل:"يبدو السيد جاكسون شاباً لطيفاً للغاية؟".

قالت إستر:"إنه لبق للغاية وواسع الحيلة. بالتأكيد قد يصبح فى بعض الوقت قليل ـــ".

ثم توقفت عن الحديث فجأة.

فكرت الآنسة ماربل مليًا ثم قالت لها:"عمله صعب فى بعض الأحيان؟".

"حسنًا. نعم، ليس صعباً أو سهلاً، ولكن على الرغم من ذلك ـ"ثم ابتسمت وأردفت:"أعتقد أنه يحاول أن يقضى وقتًا ممتعًا".

فكرت الآنسة ماربل ملياً فى هذا أيضاً. لم يساعدها هذا الأمر كثيراً. استمرت فى محادثتها، وسريعاً ما تطرق الحديث إلى الرباعى محبى الطبيعة، آل دايسون وآل هيلنجدون.

قالت إستر:"لقد أتى آل هيلنجدون هنا فى الثلاث أو الأربع سنوات الأخيرة على الأقل. ولكن جريجورى دايسون جاء إلى هنا منذ وقت أكثر من هذا. إنه يعرف جزر الهند الغربية جيداً. أعتقد أنه قد جاء هنا أساساً مع زوجته الأولى. فقد كانت صحتها ضعيفة وكانت مضطرة إلى أن تسافر خارج البلاد فى الشتاء، أو أن تذهب إلى أى مكان دافئ".

"وهل ماتت؟ أم طلقها؟".

"لا، لقد ماتت. لقد ماتت هنا على ما أعتقد. لا أقول إنها ماتت فى تلك الجزيرة بالتحديد ولكن فى واحدة من جزر الهند الغربية. على ما أعتقد أنه كانت هناك مشكلة ما، فضيحة أو شىء مثل هذا. إنه لا يتحدث أبداً عنها. لقد أخبرنى شخص آخر عن هذا الأمر. لقد فهمت أنهما لم يكونا على ما يرام مع بعضهما".

"ومن ثم تزوج هذه المرأة:"لاكى".

قالت الآنسة ماربل اسمها بامتعاض بسيط كأنها كانت تقول:"حقاً، اسم لا يُصدق!".

"أعتقد أنها كانت من أقرباء زوجته الأولى".

"هل يعرفون آل هيلنجدون منذ فترة طويلة؟"

"أعتقد أن هذا حدث فقط منذ أن أتى آل هيلنجدون إلى هنا. منذ ثلاث أو أربع سنوات، ليس إلا".

قالت الآنسة ماربل:"يبدو آل هيلنجدون سعداء للغاية. وهما هادئان تماماً؟".

"نعم، كلاهما هادئان".

قالت الآنسة ماربل:"يقول كل الناس إنهما مغرمان ببعضهما بشدة". كانت نبرة صوتها عادية ولكن نظرت إليها إستر والترز بحدة.

فقالت:"ولكنك لا تعتقدين أنهم كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل:"حقيقة، أنت نفسك لا تعتقدين هذا، أليس كذلك يا عزيزتى؟".

قالت إستر:"حسناً، لقد تساءلت فى بعض الأحيان...".

قالت الآنسة ماربل:"غالباً ما ينجذب الأشخاص الهادئون مثل كولونيل هيلنجدون

إلى طراز النساء المتزينات". ثم أضافت قائلة بعد فترة صمت:"لاكى اسم لافت للانتباه. هل تعتقدين أن لدى السيد دايسون أى فكرة عن عما يحدث؟"

قالت إستر لنفسها:"ياللعجائز المحبات للخوض فى أعراض الناس!".

ثم قالت ببرود:"ليست لدىّ أية فكرة عن هذا".

انتقلت الآنسة ماربل إلى موضوع آخر قائلة:" إن ما حدث للرائد بلجراف المسكين أمر مؤسف، أليس كذلك؟".

اتفقت معها إستر والترز، ولكن بدون إبداء أى اهتمام.

قالت:" إننى آسفة حقيقة على آل كندال".

قالت الآنسة ماربل:"نعم، أعتقد أنه من سوء الحظ أن يحدث شيئًا مثل هذا فى هذا الفندق".

قالت إستر:"يأتى الناس هنا، كما تعلمين، ليستمتعوا، أليس كذلك؟ لينسوا الآلام والأموات وضريبة الدخل والجو المتجمد وكل تلك الأشياء. إنهم لا يرغبون ـ" ثم أردفت بأسلوب مختلف تماماً:"إنهم لا يرغبون فى وجود أى شىء يذكرهم بالموت".

وضعت الآنسة ماربل خيوطها جانبًا، ثم قالت:"نعم، معك حق فى ذلك يا عزيزتى، وأنا أتفق معك تماماً".

أردفت إستر والترز قائلة:"وكما ترين إنهما زوجان شابان. لقد تسلما إدارة هذا الفندق من آل ساندرسون منذ ستة أشهر فقط، وهما قلقين للغاية مما إذا كانا سينجحان فى هذا أم لا، لأنهما لا يمتلكان خبرة كبيرة".

قالت الآنسة ماربل:"وهل تعتقدين أنه من الممكن أن يصبح هذا أمراً سيئاً بالنسبة لهما؟".

فقالت إستر والترز:"حسنًا، أنا لا أعتقد هذا بصراحة. لا أعتقد أن الناس تتذكر أى شىء لأكثر من يوم أو اثنين، ليس فى هذا المكان الذى يأتى إليه الناس ليستمتعوا أو ينسوا همومهم، أعتقد أن الموت يمكن أن يصدمهم لأربع وعشرين ساعة أو شىء من هذا القبيل، وبعد لا يفكرون فيه مرة أخرى بعد انتهاء الجنازة إلا إذا ذكرهم أحد بذلك، هذا هو كل شىء. لقد قلت هذا لمولى، ولكنها تبدو غاية فى القلق فى الحقيقة".

قالت إستر ببطء:"أعتقد أن هذه البهجة مجرد قناع خارجى. فى الحقيقة، أعتقد أنها واحدة من هؤلاء الناس القلقين الذين لا يتوقفون عن القلق طوال الوقت خوفاً من وقوع أى مكروه.

"لقد اعتقدت أنه كان يقلق أكثر منها".

قالت إستر والترز:"لا، لا أعتقد ذلك. بل هى التى تكثر من القلق وهو يقلق لقلقها لو أدركت ما أقصده".

قالت الآنسة ماربل:"إن هذا الأمر يثير الاهتمام".

"أعتقد أن مولى تحاول بكل طاقتها أن تبدو مرحة للغاية وتستمتع بحياتها. إنها تبذل قصارى جهدها، ولكن يجهدها المجهود الذى تبذله. وهى تصاب أحياناً بنوبات اليأس الغريبة تلك. إنها ليست حسنًا، ليست متوازنة إلى حد ما".

قالت الآنسة ماربل:" يا للمسكينة الصغيرة، هناك بالتأكيد أناس من هذا النوع، وكثيراً للغاية، لا يشك من لا يعرفهم فى هذا الأمر".

قالت إستر:" لا، إن هؤلاء الناس يتقمصون تلك الأدوار ببراعة، ولكننى لا أجد ما يسبب لـ "مولى" كل هذا القلق فى تلك الحالة. أعنى أن الناس يموتون كل يوم وفى كل مكان بسبب انسداد الشرايين أونزيف المخ أكثر من أى وقت مضى، إلا أن ما يجعل الناس يحزنون حقاً هو الموت بسبب التسمم أو التيفود أو أى شىء من هذا القبيل".

قالت الآنسة ماربل:" لم يذكر لى الرائد بلجراف أبداً أنه يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم، هل ذكر لك هذا من قبل؟"

قالت إستر:"لقد قال هذا الأمر لشخص ما لا أعرف من من الممكن أن يكون قد قاله للسيد رافيل. أعرف أن السيد رافيل قال عكس ذلك ولكن هذا هو طبعه! وقد ذكر لى جاكسون هذا الأمر فى إحدى المرات. لقد قال إنه يجب على الرائد ألا يسرف فى تناول المشروبات".

قالت الآنسة ماربل بشرود:" أفهم هذا". ثم استمرت فى حديثها قائلة:" أعتقد أنك كنت تعتبرينه رجلاً عجوزاً مملاً، أليس كذلك؟ لقد كان يروى العديد من القصص، وأعتقد أنه كان يكرر ما يقول كثيراً".

قالت إستر:"هذا أسوأ ما فى الأمر، فإذا لم توقفى الرائد عند حده فستضطرين إلى سماع نفس القصة مراراً وتكراراً".

قالت الآنسة ماربل:"بالتأكيد لم يضايقنى هذا الأمر كثيراً لأننى كنت قد تعودت على ذلك. فإذا قص علىّ أحدهم قصة أكثر من مرة فلا أمانع فى أن أسمعها مرة أخرى، لأننى دائماً ما أنساها".

فضحكت إستر قائلة:"هذا هو ما أعنيه".

قالت الآنسة ماربل:"هناك قصة كان مغرماً بسردها، عن قاتل. أعتقد أنه قصها عليك، أليس كذلك؟".

فتحت إستر والتزر يدها وشرعت فى البحث بداخلها. التقطت أحمر الشفاه الخاص

بها قائلة:"لقد اعتقدت أنه قد ضاع. ثم قالت للآنسة ماربل:"أعذرينى، ماذا قلت؟".

"لقد سألتك عما إذا كان الرائد بلجراف قد قص عليك حكاية القتل المفضلة لديه؟".

"أعتقد أنه قصها علىّ، سأحاول تذكرها. هل هى عن شخص انتحر باستنشاق الغاز، أليس كذلك؟ لقد كانت الزوجة هى التى قتلته بالغاز ولم ينتحر هو. أقصد أنها أعطته عقاراً مسكناً من نوع ما وبعد ذلك وضعت رأسه فى فرن الغاز. هل هى تلك القصة؟".

قالت الآنسة ماربل:"لا أعتقد أنها كانت هكذا بالضبط"، قالتها ونظرت إلى إستر والتزر بتمعن.

قالت إستر والتزر مبررة:"لقد قال العديد من مثل هذه القصص. وكما قلت ؛ لا يستمع المرء إليه دائماً".

قالت الآنسة ماربل:" لقد كان معه صورة تعود أن يريها للناس".

"أعتقد أنه أرانى إياها... لا أستطيع أن أتذكر ما كان بها. هل أراك إياها؟"

فردت الآنسة ماربل قائلة:" لا، لم يرنى إياها. فقبل أن يفعل قاطعنا أحدهم ـــ".

الفصل التاسع

الآنسة بريسكوت وآخرون

بدأت الآنسة بريسكوت فى الكلام، خافضة صوتها وناظرة حولها بحرص بأن قالت "القصة التى سمعتها".

جذبت الآنسة ماربل كرسيها لتقترب منها قليلاً. استغرقت ماربل بعض الوقت قبل أن تصبح قادرة على أن تتحدث مع الآنسة بريسكوت فى محادثة ودودة من القلب للقلب. وهذا يرجع لحقيقة مفادها أنه دائماً ما يكون رجال الدين مسيطرين على عائلاتهم، وهذا ما جعل شقيق الآنسة بريسكوت ملازما لها دائماً تقريباً، ولم يكن هناك شك فى أن كلاً من الآنسة ماربل والآنسة بريسكوت وجدتا صعوبة فى أن تديرا ظهريهما وأن تنهمكا فى القيل والقال عندما يرافقهم رجل الدين. قالت الآنسة بريسكوت:"يبدو هذا، مع أننى لا أريد، بالتأكيد، أن أتحدث عن أية فضيحة؛ وفى الحقيقة لا أعرف أى شىء عنها ـ"

قالت الآنسة ماربل،" نعم، أتفهم هذا تماماً".

"أظن أنه كانت هناك فضيحة ما عندما كانت زوجته الأولى لا تزال على قيد الحياة! من الواضح أن تلك المرأة، لاكى يا له من اسم! التى أعتقد أنها كانت ابنة عم زوجته الأولى، قد أتت إلى هنا وانضمت إليهم. وأعتقد أنها قامت ببعض الأعمال معه فى مجال الزهور والفراشات أو أياً ما كان. ولقد تحدث الناس كثيراً عن ذلك لأنهما كانا على وفاق تام مع بعضهما البعض لو أدركتِ ما أقصد".

قالت الآنسة ماربل:" يلاحظ الناس الكثير من الأشياء، أليس كذلك؟".

"وبالتأكيد عندما ماتت زوجته فجأة ـ".

"هل ماتت هنا على الجزيرة؟"

"لا، لا، أعتقد أنهما كانا فى جزيرة مارتينيك أو توباجو فى ذلك الوقت".

"فهمت".

"ولكننى فهمت من بعض الناس الآخرين الذين كانوا هناك فى هذا الوقت، وأتوا إلى هنا وتحدثوا عن أشياء حدثت، أن الطبيب كان يشك فى أمر ما".

قالت الآنسة ماربل باهتمام:" هل هذا صحيح؟"

"لقد كانت تلك مجرد شائعات"، بالتأكيد، ولكن حسنًا، تزوج السيد دايسون مرة أخرى بسرعة". ثم خفضت صوتها مرة أخرى قائلة:" بعد شهر على ما أعتقد".

قالت الآنسة ماربل: "بعد شهر فقط".

نظرت المرأتان كل منهما إلى الأخرى ثم قالت الآنسة بريسكوت: " لقد بدا ذلك خالياً من الإحساس".

قالت الآنسة ماربل: "نعم، لقد كان كذلك فعلاً". أضافت قائلة برقة:" هل كانت هناك أية أموال؟"

"لا أعرف حقيقة. فهو دائمًا ما يقول مازحًا ربما تكونين قد سمعتِهِ شيئًا ما عن زوجته بأنها" تميمة حظه"".

قالت الآنسة ماربل،" نعم، لقد سمعته".

"واعتقد بعض الناس أنه كان محظوظًا لأنه تزوج امرأة ثرية. هذا بالتأكيد". قالتها الآنسة بريسكوت بكل أمانة:" بخلاف أنها حسناء للغاية أيضًا، وأعتقد أن الزوجة الأولى هى التى كانت تملك المال".

"هل آل هيلنجدون من ميسورى الحال ماديًا؟".

"حسنًا، أعتقد أنهم ميسورو الحال، لا أعنى أنهم أغنياء للغاية. أعنى فقط أنهم ميسورون. لديهما طفلان فى مدرسة حكومية، ومنزل جميل للغاية فى إنجلترا. كما أعتقد أنهم يسافرون أغلب فصل الشتاء".

هنا لاح رجل الدين بريسكوت فانضمت الآنسة بريسكوت إلى أخيها. بينما ظلت الآنسة ماربل جالسة هناك.

مر جريجورى دايسون بجانبها بعد بضع دقائق متجهًا ناحية الفندق، ملوحًا لها بسعادة.

نادى قائلاً:" أود لو أدفع لك بنساً لأعرف فيم تفكرين".

ابتسمت الآنسة ماربل بلطف، متسائلة عما سيكون رد فعله إذا ردت عليه قائلة:" كنت أتساءل عما إذا كنت قاتلاً أم لا".

فى الحقيقة كان الأمر يبدو هكذا بالفعل. كان كل شىء يوحى بذلك قصة موت زوجته الأولى لقد كان الرائد بلجراف يتحدث بالتحديد عن قاتل زوجته بإشارة خاصة إلى قضية العروس التى وجدت مقتولة فى حوض الاستحمام.

نعم كل الدلائل تشير إلى ذلك ولكن ما كانت تستنكره هو أن كل الدلائل كانت

تشير إليه بشكل واضح جداً. أنبت الآنسة ماربل نفسها على مثل هذا التفكير فمن هى لتوجه مثل تلك الاتهامات؟

فجأة سمعت صوتًا ما جعلها تقفز صوتا أجش.

"هل رأيت جريج فى أى مكان، يا آنسة إر ـ"

لم يكن مزاج لاكى، كما اعتقدت الآنسة ماربل، جيداً.

"لقد مر من هنا للتو متجهًا ناحية الفندق".

قالت لاكى:" أراهن على ذلك!". انطلقت تلك الكلمات من فمها بحدة وعصبية واتجهت مسرعة.

قالت الآنسة ماربل لنفسها:" تبدو فى الأربعين من عمرها، حتى لو كان عمرها يومًا، وهى تبدو كذلك اليوم أكثر من أى يوم آخر". تمكنت منها الشفقة الشفقة تجاه كل من هم مثل لاكى، كل من هم شديدو التأثر بمرور الزمن ـ

أدارت الآنسة ماربل كرسيها للخلف عندما سمعت ضوضاء خلفها، حيث كان السيد رافيل، بمساعدة جاكسون، يقوم بعرضه الصباحى وهو خارج من كوخه.

أجلس جاكسون رب عمله على كرسيه المتحرك، وظل يدور حوله ويعتنى بكل شئونه. لوح السيد رافيل لخادمه بالذهاب بنفاد صبر، فذهب جاكسون باتجاه الفندق.

لم تُضِع الآنسة ماربل أى وقت السيد رافيل لا يبقى بمفرده لفترة طويلة ومن المحتمل أن تأتى إستر والترز فى أية لحظة وتنضم إليه أرادت الآنسة ماربل أن تتحدث مع السيد رافيل على انفراد، واعتقدت الآن أن هذه كانت فرصتها. كان يجب عليها أن تسرع فيما كانت تريد أن تقوله. لا يمكن أن يكون هناك أى تمهيد للكلام. لم يكن السيد رافيل بالرجل الذى يهتم بمحادثات النساء التافهة. كان من الممكن أن يعود مرة أخرى إلى الكوخ، معتبراً نفسه ضحية الاضطهاد. قررت الآنسة ماربل أن تقول كل شيء بصراحة.

سارت بالاتجاه الذى كان جالسًا فيه وسحبت كرسيًا ثم جلست وقالت:

"أريد أن أسألك عن شيء ما يا سيد رافيل".

قال السيد رافيل:" حسنًا. هات ما عندك. ما الذى تريدينه هل تريدين تبرعاً أو هبة من نوع ما على ما أظن؟ تبرعات للفقراء فى أفريقيا أو لترميم إحدى دور العبادة، أو شيء من هذا القبيل؟

قالت الآنسة ماربل:" نعم، أنا فعلاً أهتم بمثل تلك الأمور، وسوف أكون ممتنة جداً إذا قدمت تبرعًا لأحد تلك الأشياء، ولكن هذا لم يكن ما كنت سأسألك عنه؛ فما كنت أود أن أعرفه هو ما إذا كان الرائد بلجراف قد سرد عليك قصة تدور حول جريمة

قتل".

قال السيد رافيل:" ما هذا؟! إذن أخبرك أنت أيضًا، أليس كذلك؟ أعتقد أنك قد صدقتها".

قالت الآنسة ماربل:" لم أعرف حقيقة ما الذى يجب أن أصدقه. ما الذى قاله لك بالتحديد؟".

قال السيد رافيل:" لقد ظل يثرثر عن تلك المرأة التى تشبه لوكريزيا بورجيا، وأنها كانت جميلة وشابة وذات شعر ذهبى".

قالت الآنسة ماربل وقد اندهشت من كلامه:"آه، ومن قَتَلَت؟"

قال السيد رافيل:"زوجها، بالتأكيد، من فى ظنك ستكون قد قتل؟"

"هل قتلته بالسم؟"

"لا، أعتقد أنها أعطته قرصًا منومًا ثم وضعته فى فرن الغاز. إنها امرأة ذات حيلة واسعة. ثم قالت إنه انتحر. وفرت من هذه القضية بسهولة بالغة. لم تكن هناك أدلة كافية أو ما شابه ذلك.

"هل أراك الرائد الصورة؟".

"ماذا صورة المرأة؟ لا. لماذا كان يجب عليه أن يفعل هذا؟".

قالت الآنسة ماربل:"أوه ـ"

جلست هناك وهى مندهشة قليلاً. من الواضح أن الرائد بلجراف لم يقض حياته يحكى فقط عن النمور التى قتلها والأفيال التى اصطادها، ولكن أيضًا عن القتلة الذين قابلهم. ربما كان لديه مخزون كبير من قصص القتل. كان يجب أن يواجه المرء هذا الأمر أجفلت الآنسة ماربل من صياح السيد رافيل فجأة وهو يقول:"جاكسون!"، إلا أنه لم يكن هناك رد.

قالت السيدة ماربل وهى تقوم من مجلسها:" هل أبحث لك عنه؟"

"لن تجديه. لابد أنه يشاكس أحدهم فى مكان ما، هذا ما يفعله. هذا الفتى شقى. شخصيته سيئة. ولكنه يناسبنى جدًا".

قالت الآنسة ماربل:" سأذهب وأبحث عنه".

وجدت الآنسة ماربل جاكسون جالسًا فى الجانب البعيد من الفندق يرتشف مشروبًا مع تيم كندال.

فقالت:" إن السيد رافيل يريدك".

جرع مشروبه كاملاً ثم وقف.

قال:" عدنا إلى ما كنا نفعله. لن يرتاح الشرير لقد قلت له إننى سأجرى مكالمتين هاتفيتين وسأطلب وجبة خاصة بحميتى الغذائية. وقد ظننت أن هذا سيريحنى منه لربع ساعة ولكن من الواضح أن هذا لن يحدث. على أى حال، أشكرك يا آنسة ماربل شكراً على الشراب سيد كندال".

ثم سار مبتعداً.

قال تيم:" أشعر بالأسى لهذا الفتى. يجب أن أدعوه لتناول الشراب من وقت لأخر، فقط لأعطيه قسطاً من الراحة حتى لا يبتئس هل ترغبين فى أن تشربى شيئاً يا آنسة ماربل ما رأيك فى عصير الليمون الطازج؟ أعرف أنك مغرمة بهذا ـ"

" شكراً لك، ليس الآن أعتقد أن الاعتناء بشخص مثل السيد رافيل يبدو شيئاً صعباً. عادة ما يكون من الصعب التعامل مع المعاقين".

"لم أعن ذلك فقط يحصل المرء على راتب كبير وهو يعلم أنه سيواجه الكثير من المتاعب والتقلبات المزاجية لرب عمله السيد رافيل العجوز ليس سيئاً فعلاً. أعنى أكثر من هذا ـ"، ثم تردد قليلاً.

نظرت إليه الآنسة ماربل متسائلة.

"حسناً لا أعلم كيف أشرح لك ذلك إنه شىء صعب عليه اجتماعياً الناس متكبرون بشكل كبير لا يوجد هنا شخص من نفس طبقته. هو أفضل من الخادم وأقل من الزائر العادى أو هكذا يعتقدون. إنه يشبه المربية الملكية. حتى السكرتيرة، السيدة والترز، تشعر بأنها أفضل منه، وهذا يعقد الأمور"، توقف ثم أردف بحرارة:"إن كمية المشكلات الاجتماعية الموجودة فى مكان كهذا مرعبة للغاية".

مر الدكتور جرهام بجانبهم حاملاً كتاباً فى يده، ثم جلس على طاولة تطل على البحر.

علقت الآنسة ماربل قائلة:" يبدو القلق على الدكتور جراهام".

قال تيم "آه، جميعنا قلقون".

قالت:" أنت أيضاً؟ هل بسبب موت الرائد بلجراف؟".

" لقد أقلعت عن القلق إزاء هذا الأمر، فيبدو أن الناس قد نسوه تماماً ورموه وراء ظهورهم. إنها زوجتى مولى هل تعرفين أى شىء عن الأحلام؟"

اندهشت الآنسة ماربل، قائلة:" أحلام".

"نعم أحلام سيئة كوابيس، على ما أعتقد. آه، جميعنا يحدث لنا هذا الشىء أحياناً.

ولكن مولى إنها تعانى منها طوال الوقت، وهى تصيبها بالرعب. هل يمكن أن يفعل المرء شيئًا من أجل هذه الكوابيس؟ ماذا يمكن أن يتعاطاه المرء ليتخلص منها؟ إنها تتناول بعض الحبوب المنومة، ولكنها تقول إنها تزيد الأمور سوءاً فهى تجعلها لا تقوى على الاستيقاظ من النوم".

"وماذا ترى فى أحلامها تلك؟".

"أوه، شيء ما أو شخص ما يطاردها أو يراقبها ويتلصص عليها وهى لا تستطيع أن تتخلص من تلك الكوابيس حتى وهى مستيقظة".

"بالتأكيد لو أنها ذهبت لطبيب ـــ"

"إنها لا ترتاح للأطباء. لن تستمع لما يقول.. حسنًا أستطيع أن أقول إن كل شىء سيمر ولكننا كنا سعداء للغاية. لقد كان كل شىء مبهجاً والآن، أقصد مؤخراً ضايقها موت بلجراف العجوز. لقد أصبحت إنسانة غريبة منذ...".

ثم صمت للحظة.

"يجب أن أباشر أعمالى اليومية هل أنت متأكدة من أنك لا ترغبين فى شرب عصير الليمون الطازج؟".

هزت الآنسة ماربل رأسها بالنفى.

جلست تفكر، وكان وجهها مكسواً بالقلق والتجهم.

ألقت نظرة على دكتور جراهام.

واتخذت قراراً فى تلك اللحظة.

نهضت واتجهت ناحية طاولته.

قالت:" يجب أن أعتذر إليك يا دكتور جراهام".

نظر إليها الطبيب بدهشة وود قائلاً:"حقًا؟".

سحب لها كرسيًا، فجلست عليه.

قالت الآنسة ماربل:" أخشى أننى قد قمت بعمل مخز للغاية؛ لقد كذبت عليك عن عمد".

ثم نظرت إليه بقلق.

لم يُصدَم الدكتور جراهام ولكنه بدا متفاجئا إلى حدًا ما.

فقال:" حقًا؟ حسنًا، لا يجب أن تتركى هذا القلق يتمكن منك للغاية".

تساءل الطبيب عما كذبت تلك العجوز العزيزة بشأنه، هل هو سنها؟ إلا أنه يستطيع أن يتذكر أنها لم تخبره بسنها. فقال:" حسنًا، ما هى تلك الكذبة؟". قال لها هذا لأنها أرادت أن تعترف بوضوح.

قالت:" هل تتذكر حديثى معك عن صورة ابن أخى، تلك التى أريتها للرائد بلجراف ولم يعدها إلىّ؟"

"نعم، نعم أتذكر. أعتذر أننا لم نجدها لك".

قالت الآنسة ماربل فى صوت يشوبه الحرج:" لم يكن هناك شىء كهذا".

"اعذرينى، لا أفهم قصدك؟"

"لم يكن هناك شىء كهذا. لقد اختلقت هذه القصة".

"اختلقتِها؟". بدا على الدكتور جراهام الضيق إلى حد ما ثم أردف:"لماذا؟".

قصت له الآنسة ماربل ما حدث. قالت له بكل وضوح، بدون ثرثرة. حدثته عن قصة موت الرائد بلجراف وكيف أنه كان على وشك أن يريها صورة بعينها، وارتباكه المفاجئ. وبعد ذلك استمرت فى حديثها حتى وصلت إلى قلقها وقرارها الأخير بمحاولة استيضاح ما حدث والتوصل لحقيقة الأمر.

وأنهت حديثها بقولها:" وفى الحقيقة، لم أكن أرى أى وسيلة لفعل هذا سوى الكذب عليك".

"هل تعتقدين أن الصورة التى كان على وشك أن يريك إياها كانت صورة قاتل؟"

قالت الآنسة ماربل:" هذا ما قاله. على الأقل، لقد قال إن هناك شخصا يعرفه معرفة شخصية هو الذى أعطاها له وهو الذى حكى له قصة ذلك القاتل".

"نعم، نعم، ولكن اعذرينى هل صدقتِه؟

"لا أعرف إذا ما كنت صدقته وقتما قال لى هذا الأمر أم لا، ولكن بعد هذا، كما تعلم، لقد مات فى اليوم التالى".

قال الدكتور جراهام:" نعم حقًا"، وهو مصدوم من وضوح تلك الجملة "قد مات فى اليوم التالى"...

قالت الآنسة ماربل:"واختفت الصورة".

نظر إليها الدكتور جراهام لم يكن يعلم ما يقول.

قال فى النهاية:"اعذرينى يا آنسة ماربل، ولكن هل ما تقولينه لى الآن هو صحيح؟"

قالت الآنسة ماربل:" أنا لا أتعجب من شكك بى. كنت سأفعل هذا لو كنت

مكانك. ما أقوله لك الآن صحيح، وأستوعب كلية أن ما يضمنه لك هو كلمتى فقط. حتى إذا لم تصدقنى، فإننى اعتقدت أننى يجب أن أخبرك".

"لماذا؟"

"لقد أدركت أنك يجب أن تحظى بأكبر قدر ممكن من المعلومات فى حالة ـ"

"فى حالة ماذا؟"

"فى حالة إذا ما قررت أن تفعل أى شىء بشأن هذا الأمر".

الفصل العاشر

قرار فى جيمس تاون

كان الدكتور جراهام جالساً فى مكتب الحاكم فى جيمس تاون على طاولة فى مواجهة صديقه دافنترى وهو رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره تبدو على وجهه سمات الجدية.

قال دافنترى:"لقد بدوت غامضًا وأنت تحدثنى فى الهاتف يا جراهام. هل هناك شىء مهم؟"

قال دكتور جراهام:" لا أعرف، لكننى أشعر بالقلق".

نظر دافنترى فى وجه الطبيب، ثم أومأ بينما كان يتم إحضار المشروبات. تكلم بمرح عن رحلة صيد كان قد قام بها مؤخرًا. وعندما انصرف الخادم، جلس على كرسيه مرة أخرى ونظر للرجل الآخر قائـلاً:

"الآن، أخبرنى عن الأمر".

ظل الدكتور جراهام يحصى الحقائق التى أقلقته. وأطلق دافنترى صفيراً بطيئًـا وطويلاً ثم قال:" فهمت. أنت تعتقد أنه ربما يكون هناك شىء غريب فى موت بلجراف العجوز؟ أنت لم تعد واثقا من أن أسباب الموت طبيعية؟ من الذى استخرج شهادة الوفاة؟" روبيرتسون، على ما أعتقد. لم يكن لديه أية شكوك، أليس كذلك؟"

"لا، ولكنى أعتقد أنه قد تأثر عند استخراج الشهادة برؤية أقراص السيرينايت فى الحمام. لقد سألنى عما إذا كان بلجراف قد ذكر أنه كان يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم، وقلت لا، لم أدخل معه فى أية مناقشة طبية بنفسى، ولكن من الواضح أنه تحدث عن ذلك مع أشخاص آخرين فى الفندق. الموضوع بأكمله علبة الأقراص، وما قاله بلجراف للناس كل شيء طبيعى ليس هناك سبب مقنع للشك فى أى شىء آخر، لقد كان استنتاجاً طبيعاً مثالياً ولكن أعتقد الآن أنه من الممكن ألا يكون صحيحًا. لو كان من مسئوليتى أن أستخرج الشهادة، لكنت استخرجتها بدون أى تفكير، فكل شيء متوافق للغاية مع موته بهذه الطريقة. لم أكن لأفكر فى أى شىء غريب أبدًا، لولا موضوع اختفاء تلك الصورة...."

قال دافنترى:" ولكن اسمعنى يا جراهام إذا سمحت لى أن أقول هذا ألست بذلك

تعتمد، بصورة كبيرة، على قصة خيالية قالتها لك امرأة عجوز؟ أنت تعرف نوعية النساء العجائز هؤلاء. يضخمون التفاصيل الصغيرة ويختلقون منها قصصاً كبيرة".

قال الدكتور جراهام بحزن:" نعم، أعلم ذلك. لقد قلت لنفسى أنه من الممكن أن يكون الأمر هكذا، لأنه من المحتمل أن يكون هكذا. ولكنى لا أستطيع إقناع نفسى. لقد كانت واضحة للغاية ومفصلة للغاية فى تصريحها هذا".

قال دافنترى:" يبدو الأمر كله غير محتمل بالنسبة لى. سيدة عجوز تروى قصة عن صورة لا يجب أن تكون هناك لا، أنا أشعر بالتشوش أعنى أن تلك المرأة العجوز هى المصابة بذلك التشوش ولكن الشىء الوحيد الذى يجب أن تعول عليه هو أن خادمة الغرفة تقول أن زجاجة الأقراص التى اعتمدت عليها السلطات كدليل لم تكن موجودة فى غرفة الرائد فى اليوم السابق لوفاته. ولكن هناك مائة تفسير لهذا الأمر. من الممكن أنه كان دائماً ما يحمل هذه الأقراص فى جيبه".

"هذا محتمل على ما أعتقد، نعم".

"أو أن خادمة الغرف أخطأت ولم تلحظ بكل بساطة زجاجة الأقراص من قبل ـ".

"هذا محتمل، أيضاً".

"حسناً، ثم ماذا؟"

قال جراهام ببطء:

"ولكن كانت الفتاة متأكدة للغاية".

قال دافنترى:" حسناً، إن أهل سانت هونورى حساسون للغاية. كما تعلم، إنهم عاطفيون، يثارون بسهولة. هل تعتقد أنها تعرف أكثر مما قالته؟"

قال الدكتور جراهام ببطء:" أعتقد أن هذا ممكن".

"إذن يجب أن تحاول وتخرج ما بداخلها، إذا كانت تعرف شيئا لا نريد أن تحدث أية بلبلة غير مرغوب فيها إلا إذا كان لدينا شىء محدد لنعول عليه. لو لم يمت من ضغط الدم، فماذا، تعتقد، كان السبب فى موته؟

قال الدكتور جراهام:" هناك العديد من الأسباب التى من الممكن أن تكون قد أدت إلى وفاته فى هذه الأثناء".

"أتعنى أشياءً لا تترك آثاراً يمكن التعرف عليها؟".

قال الدكتور جراهام بشكل جاف:" ليس كل البشر حذرين فى استخدام الزرنيخ".

قال دافنترى:" الآن دعنا نجعل الأمور أكثر وضوحاً ما الذى تقترحه؟ إنه قد تم استبدال زجاجة الأقراص تلك بالأخرى الحقيقية؟ وقد تسمم الرائد بلجراف بهذه

الطريقة؟"

"لا، الأمر ليس كذلك. هذا ما اعتقدته تلك الفتاة فيكتوريا ولكنها أخطأت فى هذا فلو أن شخصاً ما قد قرر أن يتخلص من الرائد بلجراف بسرعة كان سيتم وضع شىء له غالباً ما كان سيوضع فى الشراب، ولكى يجعل الأمر يبدو طبيعياً سيتم وضع زجاجة أقراص لعلاج ارتفاع ضغط الدم فى غرفته. وسيُشاع أنه كان يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم".

"ومن نشر تلك الإشاعة؟".

"لقد حاولت أن أعرف ولكن لم أفلح لأن من نشرها قام بذلك ببراعة. فتجد (أ) يقول:" أعتقد أن (ب) أخبرنى بهذا الأمر" فتذهب لسؤال (ب) تجده يجيبك قائلاً:" لا، أنا لم أقل هذا، ولكننى أتذكر أن (ج) ذكره لى يوماً ما "، وتجد (ج) يقول" الكثير من الناس تحدثوا عن هذا الأمر ولكن أحدهم، أعتقد أنه (أ) هو الذى ذكره لى ". ومن ثم نعود مرة أخرى إلى البداية".

"لقد كان شخصاً بارعاً، أليس كذلك؟".

"نعم، فبمجرد اكتشاف الوفاة، كان يبدو أن جميع الناس يتحدثون عن إصابة الرائد بارتفاع ضغط الدم، وكان كل واحد يكرر ما يقوله الآخرون".

"ألم يكن من الأسهل أن يتم تسميمه وتركه يموت بكل بساطة؟"

"لا. هذا كان سيعنى وجود تحقيق واحتمال تشريح للجثة ولكن بهذه الطريقة سيقبل الطبيب أسباب الوفاة ويستخرج الشهادة كما فعل".

قال دافنترى:"ماذا تريدنى أن أفعل؟ هل تريدنى أن أذهب إلى المباحث الجنائية وأطلب منهم أن يبحثوا عن الفاعل؟ من الممكن أن يُحدث هذا ضجة كبيرة ـ".

قال الدكتور جراهام:"من الممكن إبقاء الأمر سراً".

قال دافنترى:" هل من الممكن ذلك؟ فى سانت هونورى؟ فكر مرة أخرى! سوف تعرف كل الكائنات، حتى شجرة العنب، عن الأمر من قبل أن يحدث. كل شىء يؤدى إلى طريق واحد". تنهد دافنترى ثم قال: "أعتقد أنه علينا أن نفعل شيئاً. ولكن لو سألتنى، فإن هذا الموقف ليست به أية شبهة جريمة!"

قال الدكتور جراهام:" أتمنى من قلبى أن يكون الأمر كذلك".

الفصل الحادي عشر

أمسية فى فندق جولدن بالم

1

أعادت مولى ترتيب قليل من زينة المائدة فى غرفة الطعام، نحت سكيناً زائدة. وعدلت من وضع شوكة، ورصت كأساً أو اثنتين ثم رجعت للخلف كى ترى مظهر المائدة، ثم خرجت إلى البهو الخارجى. لم يكن هناك أى شخص فى البهو فى هذا الوقت، فأسرعت متجهة إلى الجانب البعيد ووقفت بجانب السور. سوف تبدأ أمسية جديدة من الثرثرة والحديث وتناول الشراب، يشعر فيها الجميع بالسعادة والبهجة. وهذه هى نوعية الحياة التى طالما اشتاقت إليها. وكانت تستمتع بها حتى أيام قليلة ماضية، الآن حتى تيم أصبح متوتراً وقلقاً. ربما من الطبيعى أن يكون قلقاً قلي-لاً. فمن المهم أن ينجح مشروعهما هذا. فقد استثمر فيه تيم كل ما يملكه من مال.

ولكن كانت مولى تعتقد أن ذلك ليس هو ما يقلقه." أنا سبب قلقه"، هكذا قالت لنفسها. ثم أضافت:" ولكن لا أعرف لماذا يجب أن يقلق بشأنى". ولكنه كان فعلاً يقلق عليها. لقد كانت متأكدة من ذلك. الأسئلة التى كان يسألها. النظرة العصبية السريعة التى كان يلقيها عليها من وقت إلى آخر. قالت مولى:" ولكن لماذا؟". لقد كنت حريصة للغاية". قلبت الأشياء فى رأسها. لم تستطع أن تفهم حقيقة ما يحدث. لم تستطع أن تتذكر متى بدأ هذا الأمر. لم تكن حتى متأكدة للغاية من هذا الأمر. بدأت تخاف من الناس. لم تكن تعلم لماذا. ماذا كان يمكنهم أن يفعلوا لها؟ أو لماذا يريدون أن يفعلوا هذا بها؟

هزت رأسها. ثم انتفضت بعنف عندما لامست يد ذراعها. نظرت للوراء لتجد جريجورى دايسون، وقد ارتد للوراء قليلاً، وبدا عليه الحرج".

"أنا جد آسف. هل أخفتك أيها الفتاة الصغيرة؟".

كرهت مولى أن يناديها الناس" فتاة صغيرة". قالت بسرعة وبوضوح:" لم أسمع وقع أقدامك وأنت آت يا سيد دايسون. لذا قفزت من الخوف".

"سيد دايسون؟ لماذا تتحدثين بشكل رسمى هكذا؟ ألسنا عائلة واحدة كبيرة وسعيدة

هنا؟ إد وأنا ولاكى وإيفلين وأنت وتيم وإستر والترز والسيد رافيل العجوز: كلنا عائلة سعيدة".

ظنت مولى أنه قد تناول الكثير من الشراب، ولذا فهو فى تلك الحالة المزرية. ثم ابتسمت وقالت بمرح:"آه. أحيانًا ما أتقمص دور المضيفة ثقيلة الظل. أعتقد أنا وتيم أنه من الأدب ألا ننادى الناس بالأسماء الأولى".

"لا نريد التعامل بهذا الأسلوب المتعجرف. والآن فلتتناولى شراباً معى يا عزيزتى مولى".

قالت مولى:" أنا منشغلة الآن قليلاً ببعض الأشياء. فلنقم بذلك لاحقًا".

لف ذراعه حول ذراعها قائلاً:"لا تهربى الآن. أنت فتاة جميلة يا مولى. أرجو أن يقدر تيم حظه السعيد.

قالت مولى بسرور:" أعتقد أنه يقدر هذا".

نظر إليها بخبث ثم قال:" تعرفين أنه يمكننى أن أصل إليك بسهولة، على الرغم من أننى لن أسمح لزوجتى أن تسمعنى أقول هذا".

"هل كانت رحلتك جيدة فى الظهيرة؟"

"أعتقد ذلك. بينى وبينك، أحس بالملل فى بعض الأحيان. من الممكن أن تملى من الطيور والفراشات. ما رأيك فى أن نذهب أنا وأنت فى رحلة صغيرة ذات يوم وحدنا؟"

قالت مولى بابتهاج:" سأفكر فى هذا الأمر. سأعمل جاهدة من أجل ذلك".

هربت مولى بضحكة خفيفة، وعادت إلى طاولة المشروبات.

قال تيم:" أهلاً مولى. تبدين فى عجلة من أمرك. من هذا الذى كنت معه فى الخارج؟"، ثم ظهر من وراء الباب.

"جريجورى دايسون".

"ماذا يريد؟".

قالت مولى:" كان يغازلنى".

قال تيم:" أوقفيه عند حده ".

قالت مولى:" لا تقلق، يمكننى أن أوقفه عند حده".

كان تيم على وشك أن يرد عليها، إلا أنه رأى فرناندو، فأخذ يملى عليه بعض التعليمات، وانسلت مولى عبر باب المطبخ إلى الأسفل نحو الشاطئ.

كان جريجورى يتمتم بشىء ما. ثم بعد ذلك اتجه ببطء ناحية الكوخ الخاص به،

وكان على وشك دخول كوخه عندما سمع صوتًا يتحدث إليه من خلف إحدى الشجيرات. أدار رأسه فجأة، وأعتقد للحظة أن ما يراه هو مجرد شبح واقف هناك بسبب حلول الظلام. ثم ضحك. بدا وكأنه شبح بلا وجه بسبب سواد وجه الشكل، على الرغم من أن الرداء كان أبيض اللون.

خرجت فيكتوريا من داخل الشجيرات إلى الممر.

"سيد دايسون من فضلك؟".

"نعم، ماذا هناك؟".

تكلم دايسون بنفاد صبر لإخفاء حرجه من الرعب والخوف الذى بدا عليه.

مدت يدها قائلة:" لقد أحضرت هذا لك يا سيدى. كان فى يدها زجاجة أقراص." هذه زجاجتك. أليس كذلك؟".

"زجاجة أقراص السيرينايت الخاصة. نعم، بالتأكيد أين وجدتها؟".

"وجدتها حيث وضعت. فى غرفة الرجل".

"ماذا تعنين فى غرفة الرجل؟"

قالت بجدية:" الرجل الذى مات. أعتقد أنه غير مستريح فى قبره".

سأل دايسون:" ولم لا؟".

وقفت فيكتوريا تحدجه بنظراتها.

قال:" مازلت لا أعرف عمّ تتحدثين. أتعنين أنك قد وجدتِ زجاجة الأقراص تلك فى غرفة الرائد بلجراف؟".

"هذا صحيح. نعم، بعد أن انصرف الطبيب وأهالى مدينة جيمس. أعطونى كل الأشياء التى كانت فى حمام غرفته لألقى بها. معجون الأسنان والمرطبات وكل الأشياء الأخرى بما فى ذلك تلك الزجاجة".

"حسنًا، لماذا لم تلق بها بعيدًا؟".

"لأنها ملكك. أنت قد فقدتها. أتذكر. لقد سألت عنها قبل ذلك".

"نعم حسنًا نعم. لقد قمت بهذا. أنا أنا اعتقدت أننى قد أضعتها".

"لا، أنت لم تضعها. لقد أخذها أحدهم من غرفتك ووضعها فى غرفة الرائد بلجراف".

قال لها بحدة:" كيف علمت؟".

ابتسمت فى وجهه بشكل مشرق حتى ظهرت أسنانها ناصعة البياض وقالت:" أنا أعرف. لقد رأيت كل شىء. لقد وضعها شخص ما فى غرفة القتيل. والآن أنا أعيدها لك".

"أنت انتظرى. ماذا تعنين؟ ماذا من رأيت؟".

أسرعت مرة أخرى واختفت فى ظلام الشجيرات. همّ جريج بأن يلحقها ثم توقف ووقف يحك ذقنه.

قالت السيدة دايسون وهى قادمة عبر الممر من بيتهما:"ما الأمر يا جريج؟ أرأيت شبحا؟".

"اعتقدت ذلك للحظة أو اثنتين".

"من ذا الذى كنت تتحدث معه؟"

"تلك الفتاة ذات البشرة السمراء التى تنظف منزلنا، اسمها فيكتوريا. أليس كذلك؟"

"ماذا كانت تريد؟ أكانت تغازلك؟".

"لا تكونى غبية يا لاكى. تسيطر على الفتاة فكرة حمقاء".

"فكرة عن ماذا؟".

"هل تتذكرين عندما لم أجد حبوب السيرينايت الخاصة بى فى ذلك اليوم؟".

"لقد قلت إنك لا تستطيع أن تجدها".

"ماذا تقصدين بـ" لقد قلت إنك لا تستطيع"؟"

"آوه، يا للعجب. هل أنت مضطر أن تتخذ موقفاً ضدى فى كل شىء؟"

قال جريج:" أنا آسف. يا له من أمر مزعج، لماذا أصبح كل الناس بهذا الغموض ثم رفع يده وهو يمسك بالزجاجة وقال:" لقد أعادتها الفتاة إلىّ".

"هل سرقتها؟".

"لا، لقد وجدتها فى مكان ما، على ما أعتقد".

"حسنًا، وماذا فى ذلك؟ ما هو الشىء الغامض بهذا الشأن؟"

قال جريج:" آه، لا شىء. لقد ضايقتنى فقط، هذا كل شىء".

قالت:" ما الذي يحدث يا جريج؟ تعال نتناول بعض الشراب قبل العشاء".

2

ذهبت مولى إلى الشاطئ وسحبت أحد الكراسى القديمة الضعيفة المصنوعة من القش، التى كانت نادراً ما تُستخدم. جلست عليه لفترة وهى تنظر إلى البحر. ثم ألقت رأسها بين يديها فجأة وانخرطت فى بكاء شديد. جلست تنتحب هناك بدون توقف لفترة من الوقت. ثم سمعت حفيفاً يقترب منها. نظرت للأعلى فجأة لترى السيدة هيلنجدون تنظر إليها.

قالت مولى:" مرحباً لم أسمعك وأنت تقتربين. أنا أنا آسفة".

قالت إيفيلين:" ما الأمر يا صغيرتى؟ هل حدث مكروه؟" ثم سحبت كرسياً آخر وجلست عليه، ثم قالت:"هيا، احكِ لى".

قالت مولى:" ليس هناك أى شىء. لا شىء على الإطلاق".

"بالتأكيد هناك شىء ما. أنت لم تجلسى هنا وتنتحبى بهذه الصورة بدون سبب. ألا تستطيعين أن تخبرينى؟ هل هناك مشكلة بينك وبين تيم؟"

"أوه، بالطبع لا".

"أنا سعيدة بهذا. تبدوان سعيدين دائماً مع بعضكما".

قالت مولى:" ليس أكثر منكما. أعتقد دائماً أنا وتيم أنه شىء رائع تلك السعادة التى تبدو عليكما أنت وإدوارد بعد سنين الزواج الطويلة تلك".

قالت إيفلين:" أوه، أتعتقدين هذا". كان صوتها حاداً عندما تحدثت ولكن لم تلحظ مولى هذا.

فقالت:" يتخاصم الناس هكذا، وتكون بينهم مثل هذه الشجارات. حتى لو كانوا مغرمين ببعضهم البعض، فهم يتشاجرون فى كل وقت ومكان، ولا يهمهم ما إذا كان ذلك فى غرفة مغلقة أم أمام الناس".

قالت إيفلين:" يحب بعض الناس العيش بتلك الطريقة. هذا، حقيقة، لا يعنى شيئاً".

قالت مولى:" حسنًا. أعتقد أن هذا الأمر مروع".

قالت إيفلين:" أعتقد أنا أيضاً كذلك".

"ولكن عندما أراك أنت وإدوارد ـــ".

"هذا ليس شيئًا حسنًا يا مولى. لا أستطيع أن أتركك تفكرين فى أشياء من هذا القبيل. إدوارد وأنا ـ" توقفت عن الكلام، ثم أردفت:" لو أردت أن تعرفى الحقيقة فنحن لا نتكلم سوياً عندما نكون بمفردنا، وهذا الأمر مستمر منذ ثلاث سنوات".

نظرت إليها مولى بخوف قائلة:"ماذا! أنا أنا لا أستطيع أن أصدق هذا".

قالت إيفيلين:"أوه، نحن نؤدى دورنا ببراعة، وعلى العموم لا يحب أى منا الشجار أمام الناس، وعلى كل حال، فى الحقيقة ليس هناك شىء نتشاجر من أجله".

سألت مولى:" ولكن ما الذى حدث؟".

"المعتاد فقط".

"ماذا تعنين بالمعتاد؟ أهناك امرأة أخرى ـ".

"نعم. هناك امرأة أخرى فى هذا الموضوع. ولا أعتقد أنه من الصعب بالنسبة لك أن تخمنى من هى".

قالت مولى:" هل تعنين السيدة دايسون لاكى؟".

أومأت إيفيلين بالإيجاب.

قالت مولى:" أعرف أنهما يغازلان بعضهما البعض كثيراً، ولكن أعتقد أن هذا فقط كان..".

قالت إيفلين:" إنها مداعبة؟ لا شىء خلف هذا الأمر؟"

توقفت مولى ثم قالت مرة أخرى:" ولكن لماذا ولكن ألم تقومى آه أعنى. حسنًا أعتقد أنه لا يجب أن أسأل".

قالت إيفلين:" اسألى عن أى شىء تريدين. تعبت من عدم قول أى شىء، تعبت من تمثيل دور الزوجة المهذبة السعيدة. لقد وقع إدوارد فى غرام لاكى تماماً. لقد كان غبيًا لدرجة أنه جاء وأخبرنى عن هذا. أعتقد أن هذا يجعله يشعر بأنه فى حالة أفضل، يجعله يشعر بأنه صادق ومخلص وكل هذا الهراء. لم يخطر على باله أن هذا الأمر لن يجلعنى فى حال أفضل".

"هل أراد أن يتركك؟".

هزت إيفلين رأسها ثم قالت:" لدينا طفلان كما تعلمين. ونحن الاثنان مغرمان بهما بشدة، وهما بالمدرسة فى إنجلترا. لم نرد أن نحطم البيت. وبالتأكيد لم ترد لاكى أن يتم تطليقها من زوجها. إن جريج رجل غنى للغاية، فقد تركت له زوجته الأولى أموالاً كثيرة. لذا اتفقنا على أن نعيش ونترك الآخرين يعيشون. إدوارد ولاكى يعيشان فى سعادة أبدية، وجريج يعيش فى جهله المريح، وأنا وإدوارد نظل فقط مجرد أصدقاء". كانت تتكلم بمرارة.

قالت مولى:" كيف كيف يمكنك تحمل هذا؟".

"يتعود المرء على أى شىء. ولكن فى بعض الأحيان ـ"

قالت مولى:"ماذا؟".

"أرغب، فى بعض الأحيان، فى أن أقتل تلك المرأة".

روع مولى الانفعال الشديد الموجود فى صوتها.

قالت إيفلين:" لا تدعينا نتحدث مرة أخرى عنى. دعينا نتحدث عنك. أريد أن أعرف ما الأمر".

صمتت مولى للحظات ثم قالت:" إنه فقط مجرد إنه مجرد أننى اعتقدت أن هناك شيئاً غير طبيعى يحدث لى".

"غير طبيعى؟ ماذا تعنين بقولك هذا؟"

هزت مولى رأسها بحزن ثم قالت:" أنا خائفة، أنا فى غاية الرعب".

"فى غاية الرعب، من أى شىء؟".

قالت مولى:" من كل شىء، إنه إنه شعور ينمو بداخلى. أصوات بين الشجيرات. وقع أقدام. أو أشياء يقولها الناس، كما لو كان هناك شخص يراقبنى طوال الوقت، يتجسس على، شخص يكرهنى هذا ما أشعر به دائماً. شخص يكرهنى".

"آه يا عزيزتى الصغيرة". صُدمت إيفلين وهالها ما قيل، ثم أردفت:" منذ متى وأنت تشعرين بهذا؟".

"لا أعلم. لقد حدث لقد بدأ ذلك بدرجات متفاوتة. وكانت هناك أشياء أخرى أيضاً".

"أشياء من أى نوع؟"

قالت مولى ببطء:" فى بعض الأحيان لا أستطيع أن أعرف ما حدث، لأننى لا أتذكره".

"هل تعنين أنك تشعرين بفقدان للوعى أو شىء من هذا القبيل؟"

"أعتقد ذلك. أعنى أنه فى بعض الأحيان أوه، لنفترض أنها الساعة الخامسة فلا أستطيع أن أتذكر أى شىء منذ حوالى الواحدة والنصف أو الثانية والنصف".

"آه يا عزيزتى، ولكن هذا يحدث فقط عندما تكوين نائمة. أو عندما تغفين قليلاً".

قالت مولى:"لا. ليس الأمر هكذا على الإطلاق. لأنه كما تعلمين، فى نهاية تلك الحالة فإنه لا يبدو أننى غفوت قليلاً، فأنا أجد نفسى فى مكان آخر، وأحياناً أجد نفسى أرتدى ملابس مختلفة، وأحياناً أخرى أبدو وكأننى أقوم بأشياء أو حتى أقول أشياء للناس. أو أكون قد تكلمت مع شخص ما، ولا أتذكر أننى قد قمت بهذا".

بدت الصدمة على إيفلين وقالت:" ولكن مولى، عزيزتى، لو أن هذا الأمر كما تقولين. يجب أن تعرضى نفسك على طبيب".

"لا أريد أن أذهب إلى الأطباء! لا أريد هذا. لن أقترب من الأطباء".

نظرت إيفلين بحدة إلى وجهها. ثم وضعت يد الفتاة فى يدها ثم قالت:

"من المحتمل أنك ربما تخيفين نفسك من لا شىء يا مولى. أنت تعلمين بأنه هناك أنواعا عديدة من الاضطرابات العصبية التى لا تكون خطيرة على الإطلاق. سوف يطمئنك الطبيب عندما تعرضين نفسك عليه".

"من المحتمل ألا يطمئننى. من المحتمل أن يقول إننى مصابة بشىء سيئ بالفعل".

"لماذا يجب أن يكون هناك شىء سىء تعانين منه؟"

قالت مولى:" لأنه ـ"، ثم سكتت قليلاً. وتابعت قائلة:" لا يوجد سبب، أعتقد هذا".

"ألا تستطيع عائلتك ألم تقم عائلتك؛ والدتك أو أخواتك، أى شخص يستطيع أن يأتى هنا؟"

"أنا لست على وفاق مع أمى. لم أكن أبدًا على وفاق معها. لدىّ أخوات. وهن متزوجات، ولكنى أعتقد أعتقد أنهن يمكنهن المجىء إذا طلبت منهن ذلك. ولكنى لا أريدهن. لا أرى أى شخص أى شخص ما عدا تيم".

"هل يعلم تيم شيئًا عن هذا؟ هل أخبرته؟".

قالت مولى:" ليس حقيقة. ولكنه قلق علىّ ويراقبنى. يبدو الأمر كما لو كان يحاول يحاول أن يساعدنى أو يحمينى، ولكنه إذا فعل هذا فإن هذا يعنى أننى فى حاجة إلى الحماية، أليس كذلك؟"

"أعتقد أنه ربما يكون هذا الأمر نابع من خيالك، ولكن لا أزال أعتقد أنه يجب عليكِ أن تعرضى نفسك على طبيب".

"الطبيب جراهام العجوز؟ لن ينفعنى كثيراً".

"هناك أطباء آخرون فى الجزيرة".

قالت مولى:" حقيقة كل شىء على ما يرام، أنا فقط يجب ألا أفكر فى هذا الأمر. كما قلت أتوقع أن الأمر كله نابع من تخيلى يا إلهى! لقد تأخر الوقت، يجب أن أذهب الآن إلى حجرة الطعام لأباشر عملى. يجب يجب أن أعود".

نظرت بحدة وبشكل عدائى تجاه إيفلين هيلنجدون. ثم أسرعت بالرحيل. ظلت إيفلين محدقة فيها بدهشة وهى تنصرف.

الفصل الثاني عشر

الآثام القديمة تلقى بظلال عريضة

1

"أعتقد أننى على وشك الحصول على شىء ما يا رجل".

"ما الذى تقولينه يا فيكتوريا؟"

"أشعر أننى على وشك الحصول على شىء ما. ربما يكون مالاً. مالاً كثيراً".

"اسمعينى يا فتاة، يجب أن تكونى حريصة، لا تورطى نفسك فى أى شىء. ربما من الأفضل أن أعالج أنا هذا الأمر".

ضحكت فيكتوريا ضحكة عالية وقوية.

قالت:" انتظر وسترى، أعرف كيفية اللعب بهذه الطريقة. إنه مال يا رجل، مال كثير. شىء أراه، وأخمنه. وأعتقد أن تخمينى سليم".

ثم انطلقت الضحكة العالية القوية مرة أخرى فى سكون الليل.

2

"إيفلين..".

"نعم؟"

تحدثت إيفلين هيلنجدون بصورة ميكانيكية، بدون أى اهتمام. لم تنظر إلى زوجها.

"إيفلين، هل تمانعين فى أن نلقى بكل هذا ونعود إلى ديارنا فى إنجلترا؟"

كانت تمشط شعرها القصير الأسود الداكن. وما أن سمعته حتى أنزلت يدها عن شعرها بحدة، واستدارت نحوه قائلة:

" ماذا تعنى؟ إننا لم نمكث طويلاً. لم نمكث هنا فى الجزر أكثر من ثلاثة أسابيع".

"أعلم لكن هل تمانعين؟"

تفحصته بعينيها المليئتين بالشك ثم قالت:

"هل أنت فعلاً تريد أن تعود إلى إنجلترا؟ نعود إلى الوطن؟".

"نعم".

"وتترك لاكى؟".

أجفل عند سماعه هذا، ثم قال:

"أعتقد أنك كنت تعرفين طول الوقت، إن الأمر لا يزال مستمراً".

"أعلم جيداً. نعم".

"لم تقولى شيئًا أبدًا".

"ولماذا يجب أن أفعل هذا؟ لقد أنهينا هذا الأمر منذ سنوات مضت. لم يرد أى منا الانفصال، لذا اتفقنا على أن نعيش حياتنا الخاصة، مع ضرورة الحفاظ على الدور الذى نؤديه أمام الناس". بعد ذلك أضافت قائلة قبل أن يستطيع التحدث:" ولكن لماذا أنت راغب بشدة فى أن تعود إلى إنجلترا الآن؟".

"لأننى أريد أن أحسم هذا الأمر. لا أستطيع أن أستمر فى هذا أكثر من ذلك يا إيفلين. لا أستطيع". تغير إدوارد هيلنجدون الهادئ، ارتجفت يداه، كان يزدرد ريقه بصعوبة، وبدا وجهه الهادئ الذى لا يبدو عليه عاطفة محطماً من الألم.

"بالله عليك يا إدوارد، ماذا بك؟".

"لا شىء، إلا أنى أريد أن أخرج من هنا ـ"

"لقد وقعت فى حب لاكى بعنف. والآن قد تغلبت على هذا الحب. أليس هذا هو ما تخبرنى به الآن؟"

"نعم، لا أعتقد أنك ستشعرين أبداً بنفس الشعور".

"آه، دعنا لا ندخل فى هذا الموضوع الآن! أريد أن أعرف ما الذى يضايقك بشدة هكذا يا إدوارد".

"لست متضايقاً من شىء بعينه".

"ولكنك متضايق، لماذا؟".

"أليس ذلك واضحًا؟".

قالت إيفلين:" لا، إنه ليس واضحاً، دعنا نقل ذلك بشكل واضح. لقد أقمت علاقة مع

امرأة، هذا يحدث دائماً، والآن قد انتهت، أم لم تنته بعد؟ ربما لم تنته من جانبها. هل هذا صحيح؟ هل يعرف جريج شيئًا عن هذا الأمر؟ لقد تساءلت كثيراً عن هذا".

قال إدوارد:"لا أعلم. لم يقل شيئًا أبدًا. لقد بدا ودوداً دائمًا بصورة كافية".

قالت إيفلين بشرود:" يمكن للرجال أن يكونوا كتومين بصورة خارقة للعادة، أم أن هناك شيئاً آخر فربما يكون لجريج اهتمامات خارجية خاصة به".

قال إدوارد:" لقد حاول التودد إليك، أليس كذلك؟ جاوبى على سؤالى، أنا أعرف أنه ـــــ".

قالت إيفلين بعدم مبالاة:" أوه، نعم. ولكنه يحاول التودد إلى جميع الناس. هذا هو جريج. أعتقد أن الأمر لم يتخط الكثير فى الحقيقة، إنه فقط جزء من أفعال جريج التى تشبع رجولته".

"هل تهتمين به يا إيفلين؟ أفضل أن أعرف الحقيقة".

"جريج؟ أنا مغرمة به للغاية إنه يسلينى. إنه صديق جيد".

"هل هذا كل شىء؟ أتمنى أن أصدقك".

قالت إيفلين بطريقة جافة:" لا أعرف فى الحقيقة ما الذى يعنيك فى هذا الأمر".

"أعتقد أننى أستحق هذا".

سارت إيفلين ناحية النافذة ونظرت عبر الشرفة، ثم عادت مرة أخرى.

"أتمنى أن تخبرنى يا إدوارد ما الذى يضايقك حقيقة".

"لقد قلت لك".

"أنا لا أفهم شيئاً".

"أعتقد أنك لا تستطيعين أن تفهمى مدى غرابة هذه العلاقة المجنونة المؤقتة بعد انتهائها".

" أستطيع أن أحاول، أعتقد ذلك. ولكن الذى يقلقنى الآن هو أن لاكى تبدو وكأنها تسيطر عليك بشكل كامل. إنها ليست فقط عشيقة منبوذة. إنها مثل أنثى النمر بأنيابها القاتلة. يجب أن تطلعنى على الحقيقة يا إدوارد. هذا هو السبيل الوحيد إذا أردت أن أقف بجانبك".

قال إدوارد بصوت منخفض:" إذا لم أبتعد عنها قريباً فسوف أقتلها".

"تقتل لاكى؟ لماذا؟"

"من أجل ما جلعتنى أقوم به..".

"ما الذى جعلتك تقوم به؟"

"لقد ساعدتها فى ارتكاب جريمة قتل ـــ".

خرجت الكلمات من فمه ثم ساد الصمت حملقت إيفلين به.

ثم قالت:"هل تعلم ما تقوله؟".

"نعم، لم أعرف أننى كنت أقوم بهذا. لقد طلبت منى أن أحضر لها أشياء من الصيدلية. لم أعرف لم يكن عندى أى علم لماذا كانت تريدها طلبت منى أن أنسخ وصفة طبية كانت عندها..".

"متى كان هنا؟"

"منذ أربع سنوات مضت. عندما كنا فى مارتينيك، عندما عندما كانت زوجة جريج ـ"

"هل تعنى زوجة جريج الأولى جايل؟ هل تعنى أن لاكى سممتها؟"

"نعم وأنا ساعدتها. وعندما استوعبت ـ"

قاطعته إيفلين قائلة:"وعندما استوعبت ما حدث، أشارت لك لاكى أنك قد كتبت الوصفة بيدك، وأنك اشتريت الأدوية، وأنك وهى متورطان فى الأمر؟ هل هذا ما حدث؟".

"نعم. لقد قالت إنها قد قامت بهذا بدافع الشفقة لأن جايل كانت تعانى لأنها استعطفت لاكى أن تحضر لها شيئاً لينهى كل شىء".

"القتل الرحيم! أعلم هذا. وأنت صدقت هذا؟"

صمت إدوارد هيلنجدون للحظة ثم قال:

"لا لم أصدق فى الحقيقة فى داخلى ولكنى قبلت هذا الأمر لأننى كنت أريد أن أصدقه لأننى كنت مفتونا بـ لاكى".

"وبعد ذلك عندما تزوجت جريج هل كنت لا تزال تصدقها؟".

"لقد أقنعت نفسى بتصديق الأمر بعد هذا".

"وجريج هل عرف أى شىء عن هذا الأمر كله؟"

"لا شىء على الإطلاق".

"إننى أجد هذا شيئاً من الصعب تصديقه!".

انفجر إدوارد هيلنجدون قائلاً:

"إيفلين، يجب أن أخلص نفسى من الأمر كله! هذه المرأة تسخر منى حتى الآن بسبب ما فعلته. هى تعلم أننى لم أعد أهتم بها بل إننى بدأت أكرهها ولكنها تشعرنى بأنى مربوط بها بالجرم الذى ارتكبناه سوياً".

أخذت إيفلين تسير جيئة وذهاباً فى الغرفة ثم توقفت فى مواجهته.

"إن مشكلتك كلها يا إدوارد هى أنك حساس لدرجة تدعو إلى السخرية وأنك تتأثر بالآخرين بدرجة لا تصدق. إن شيطان المرأة قد سيطر عليك وحركك إلى حيث تريد هى، عن طريق الضغط على إحساسك بالذنب وسوف أذكر لك هذا بنصوص دينية واضحة، إن الذنب الذى على كتفيك هو ذنب ارتكاب خطيئة الخيانة الزوجية وليس القتل إنك مصاب بعقدة الذنب بسبب فعلتك مع لاكى وبعد ذلك جعلت منك يدها المنفذة فى مخطط القتل، وحاولت أن تجعلك تحس بأنك تشاركها فى الذنب. أنت لم تشاركها".

تقدم ناحيتها قائلاً:" إيفلين...".

تراجعت للخلف قليلاً ونظرت إليه بحدة ثم قالت:

"هل هذا كله صحيح يا إدوارد هل هو صحيح؟ أم أنك تختلق الأمر برمته؟"

"إيفلين! ما الذى، برأيك، يمكن أن يدفعنى إلى أن أقوم بهذا؟"

قالت إيفلين هيلنجدون ببطء:" لا أعرف، ربما فقط ربما لأننى من الصعب أن أثق بأى شخص. ربما لأن أوه! لا أعرف يجب، أعتقد، لكى لا أعرف الحقيقة عندما أسمعها".

"دعينا من كل هذا هيا نعد أدراجنا إلى إنجلترا".

"نعم سوف نذهب ولكن ليس الآن".

"لماذا؟"

"يجب أن نواصل حيتنا الطبيعية فى الوقت الحالى فقط، فهذا مهم. هل تفهم يا إدوارد؟" لا تدع لاكى تعرف أى شىء عما نحن بصدد فعله ـــ".

الفصل الثالث عشر

مقتل فيكتوريا جونسون

شارفت الأمسية على الانتهاء. وكانت الفرقة الموسيقية قد بدأت ترتاح من عناء العزف طوال الليل. وقف تيم بجانب غرفة الطعام متفحصاً البهو بعينيه وقام بإطفاء بعض الأنوار التى تعلو الطاولات الخالية.

سمع صوتاً يتحدث خلفه قائلاً:" هل أستطيع التحدث إليك للحظة يا تيم؟"

أجفل تيم للحظة.

قال:" أهلاً يا إيفلين، هل هناك أى شىء أستطيع أن أخدمك به؟".

نظرت إيفلين حولها ثم قالت:

"تعال إلى تلك الطاولة هنا، ودعنا نجلس لدقيقة".

توجهت ناحية الطاولة الواقعة فى نهاية الشرفة. لم يكن هناك أشخاص آخرون قريباً منهم.

"يجب أن تسامحنى يا تيم على حديثى معك، ولكنى قلقة على مولى".

تغير وجهه فى الحال.

قال تيم بصوت منقبض:" ما الذى حدث لـ "مولى"؟".

"لا أعتقد أنها على ما يرام، يبدو عليها الانزعاج".

"نعم، أعلم، ولكنها لا تريد أن تعرض نفسها على طبيب، إنها تمقت الأطباء".

"لماذا؟".

"ماذا؟ ماذا تعنين؟".

"لقد قلت لماذا؟ لماذا تكره أن يتم عرضها على طبيب؟".

قال تيم بغموض:" حسنًا، كما تعلمين، يشعر الناس بهذا فى بعض الأحيان. إنه حسنًا، بعض الناس يخافون على أنفسهم من ذلك".

"أنت شخصيًا قلق عليها يا تيم، أليس كذلك؟"

"نعم، نعم، أنا فى الواقع قلق عليها".

"هل هناك أى فرد من عائلتها يستطيع أن يأتى إلى هنا ليرافقها؟"

"لا، هذا سيزيد الأمور سوءاً".

"ما المشكلة أعنى، هل المشكلة مع عائلتها؟"

"أوه، إنها واحدة من تلك المشاكل العائلية. أعتقد أن هناك توتراً كبيراً بينهم، وهى لا تتوافق معهم بالتحديد مع والدتها. لم تكن متفقة معها أبدًا. إنها عائلة غريبة إلى حد ما، ولقد قطعت علاقتها بهم. أعتقد أن ما فعلته كان شيئاً جيداً".

قالت إيفلين بتردد:" أعتقد أنها تتعرض لنوبات نسيان، هذا ما فهمته مما قالته لى، وأصبحت تخاف من الناس. إنها تبدو كمن يعانون من جنون الاضطهاد".

قال تيم بغضب:" لا تقولى هذا، جنون الاضطهاد! يقول الناس هذا دائمًا عن الآخرين. لأنها فقط حسنًا ربما لأنها عصبية قليلاً إن الحضور إلى هنا فى جزر الهند الغربية، مع كل هذه الوجوه الداكنة، أنت تعلمين، يكون الناس هنا أحياناً غريبى الأطوار ويشعر الناس بالقلق، فى بعض الأحيان، تجاه أهالى الجزر وذوى البشرة السمراء".

"ولكن هذا لا ينطبق على فتيات من طراز مولى، أليس كذلك؟".

"آه، كيف يتسنى للمرء أن يعلم مم يخاف الناس؟ هناك بعض الناس الذين لا يستطيعون أن يجلسوا فى الغرفة مع القطط. وهناك آخرون يسقطون مغشيًا عليهم لو سقطت عليهم يرقة فراشة".

قالت إيفيلين:" أمقت أن أقترح ذلك ولكن ألا تعتقد أنه ربما يجب عرضها على طبيب نفسى؟".

صاح تيم فجأة:" لا! لن أترك أناساً مثل هؤلاء يستهزءون بها. لا أؤمن بهم. إنهم يجعلون الناس فى حال أسوأ. لو لم تتعامل أمها مع الأطباء النفسيين...".

قالت إيفلين:" إذن كانت هناك مشكلة مثل هذه فى عائلتها أليس كذلك؟ أعنى أن هناك تاريخًا من "اختارت الكلمة بحرص ـ" عدم الاستقرار النفسى".

قال تيم:" لا أريد أن أتحدث عن هذا الأمر لقد أبعدتها عن كل هذا، وكانت على خير ما يرام، على ما يرام. لقد دخلت لتوها فى حالة عصبية... ولكن هذه الأشياء ليست متوارثة. يعرف كل الناس هذا فى هذه الأيام. إنها فكرة خاطئة. إن مولى عاقلة للغاية. إنه فقط أوه! أعتقد أن موت بلجراف العجوز البائس هو الذى بدأ كل هذا".

قالت إيفلين مفكرة:" فهمت، ولكن لم يكن هناك أى شىء حقيقة يقلق أى شخص فى موت الرائد بلجراف، أليس كذلك؟".

"لا، لم يكن هناك شىء بالتأكيد. ولكن ذلك يمثل نوعاً من الصدمة عندما يموت شخص ما فجأة".

بدا اليأس على تيم، وشعرت إيفلين بالتعاطف الشديد معه؛ فوضعت يدها على ذراعه وقالت:

"حسنًا، أتمنى أن تعرف ما تفعله يا تيم، ولكن إذا كان يمكننى المساعدة بأية طريقة أعنى إذا كان يمكننى أن أذهب مع مولى إلى نيويورك يمكننى أن أسافر معها إلى هناك، أو إلى ميامى أو أى مكان تكون فيه الخدمة الطبية ممتازة".

"هذا كرم شديد منك يا إيفلين، ولكن مولى على ما يرام. إنها ستتغلب على الأمر على أى حال".

هزت رأسها بشك ثم استدارت للخلف ببطء ونظرت للأمام تجاه الردهة. ذهب أكثر الناس إلى بيوتهم. سارت إيفلين باتجاه طاولتها لترى ما إذا كانت قد تركت شيئًـا هناك، وذلك عندما سمعت صياح تيم. نظرت بعينيها بحدة. كان تيم يحملق باتجاه السلالم الموجودة فى نهاية الردهة ومن ثم تبع نظرها. ثم حبست أنفاسها.

كانت مولى تصعد الدرج قادمة من الشاطئ. كانت منقطعة الأنفاس وتغشاها تشنجات شديدة، وأخذ جسدها فى التمايل هنا وهناك وهى قادمة تركض بلا هدى. صاح تيم قائلاً:

"مولى، ما الأمر؟".

ركض باتجاهها وتبعته إيفلين. كانت مولى على أعلى درجة من السلالم الآن ووقفت هناك، واضعة كلتا يديها خلف ظهرها. قالت وهى تتشنج وتنتحب:

"لقد وجدتها... إنها هناك بين الشجيرات... هناك فى الشجيرات... وانظر إلى يدى انظر إلى يدى. ثم رفعت يديها والتقطت إيفلين أنفاسها عندما رأت البقع الغريبة الداكنة على يديها. كانت تبدو داكنة فى الضوء الخافت ولكنها علمت تمام العلم أن لونها الحقيقى هو الأحمر.

صرخ تيم قائلاً:" ما الذى حدث يا مولى؟".

قالت مولى:" هناك بالأسفل". ثم ترنحت وأردفت: "فى الشجيرات...".

تردد تيم، ثم نظر إلى إيفلين، ثم دفع مولى قليلاً تجاه إيفلين واندفع تجاه السلالم. طوقت إيفلين الفتاة بذراعيها ثم قالت:

"تعالى، اجلسى يا مولى. هنا. من الأفضل أن تشربى شيئًـا".

سقطت مولى على كرسى وانحنت ناحية الطاولة، ووضعت جبهتها على ذراعيها المعقودين. لم تسألها إيفلين مرة أخرى. واعتقدت أنه من الأفضل أن تتركها بمفردها لبعض الوقت لتستريح.

قالت إيفلين بدفء:" كل شىء سيكون على ما يرام. كل شىء سيكون على ما يرام".

قالت مولى:" لا أعرف، لا أعرف ما حدث. لا أعرف شيئًـا. لا أستطيع أن أتذكر. أنا ـ". ثم رفعت رأسها فجأة:" ماذا بى؟ ماذا بى؟".

قالت إيفلين:" كل شىء على ما يرام يا صغيرتى، كل شىء على ما يرام".

كان تيم يصعد السلالم ببطء. وكان وجهه شاحبًا. نظرت إيفلين إليه، رافعة حاجبيها متسائلة عما حدث.

قال:" إنها إحدى فتياتنا. اسمها فيكتوريا على ما أظن. لقد طعنها شخص ما بسكين".

الفصل الرابع عشر

تحقيق

1

استلقت مولى على سريرها ووقف وقف دكتور جراهام ودكتور روبيرتسون طبيب الشرطة التابعة للجزيرة على أحد جانبى السرير ووقف تيم على الجانب الآخر. كان روبيرتسون يقيس نبض مولى ثم أومأ إلى الرجل الواقف عند نهاية السرير، وهو رجل أسمر البشرة ونحيف الجسد يرتدى زى الشرطة، هو المحقق ويستون من شرطة سانت هونورى.

قال الطبيب: "رواية واضحة ليس إلا".

أومأ الآخر.

"الآن يا سيدة كندال أخبرينا فقط كيف وجدت تلك الفتاة".

لدقيقة أو دقيقتين بدا أن الجسد الممدد على السرير لم يسمع ما قيل. ثم تكلمت بصوت خافت:

"فى الشجيرات أبيض...."

"هل رأيت شيئاً أبيض وذهبتِ لترين ما كان هذا؟ هل هذا ما حدث؟ قالت:" نعم شىء أبيض مستلق هناك لقد حاولتَ حاولت أن أرفع أرفعها دم دم غطى يدى".

بدأت ترتجف.

هز دكتور جراهام رأسه. همس روبيرتسون ـ" لا تستطيع أن تتحمل أكثر من هذا".

"ما الذى كنت تفعلينه فى ممر الشاطىء يا سيدة كندال؟".

قالت:" دافىء جميل بجانب البحر ـ"

"هل كنت تعرفين من كانت تلك الفتاة؟"

"فيكتوريا ودودة فتاة ودودة تضحك كانت دائماً تضحك آه! والآن لن تضحك لن تضحك أبداً. لن أنساها أبداً لن أنساها أبداً".

ارتفع صوتها بصورة هستيرية.

قال تيم:" مولى، لا تفعلى".

قال دكتور روبيرتسون بجدية وهدوء:

"استرخى، استرخى، سوف تحسين بوخزة بسيطة فقط ". ثم سحب الحقنة.

ثم قال:" لن تتمكنوا من التحقيق معها قبل أربع وعشرين ساعة، وعندما تكون مستعدة لذلك سوف أخبركم".

2

أخذ الشاب الضخم الأسمر الوسيم ينظر إلى الأشخاص الجالسين حول الطاولة.

قال:" أعترف أمام الله أن هذا كل ما أعرفه، لا أعرف شيئاً أكثر مما قلته لكم".

تصبب العرق على جبهته، وتنهد دافنترى؛ فقام الرجل الذى يترأس من يجلسون حول الطاولة، المحقق من المخابرات العامة بـ"سانت هونورى" بإشارة انصراف. خرج جيم إليس الضخم من الغرفة جاراً قدميه.

قال ويستون بصوته الناعم:" ليس هذا هو كل ما يعرفه بالطبع، ولكن هذا هو كل ما سنعرفه منه".

سأل دافنترى:" هل تعتقد أنه هو نفسه بعيداً عن أية شبهة".

"نعم. لقد بدا على وفاق مع فيكتوريا".

"ألم يكونا متزوجين؟"

بدت ابتسامة باهتة على شفتى الملازم ويستون. ثم قال "نعم لقد كانا متزوجين رغم أنه ليس لدينا زيجات كثيرة. وهو لديه طفلان من فيكتوريا".

"هل تعتقد أنه كان متورطاً فى أمر ما معها، أياً كان؟"

"من المحتمل ألا يكون متورطاً معها فى شىء. أعتقد أنه لو كان متورطاً سيكون أكثر عصبية. وأستطيع أن أقول أيضاً إن ما عرفته لم يكن كثيراً".

"ولكنه كاف لممارسة الابتزاز؟"

"لا أعرف أنه يمكن حتى أن أسميه كذلك. أشك فى أن الفتاة كان يمكنها حتى

أن تفهم تلك الكلمة. دفع المال فى مقابل السكوت عن شىء لا يعتبره أحد ابتزازاً. كما تعرف، بعض الناس المقيمين هنا من الأثرياء المستهترين الذين لن تمثل أخلاقياتهم الملتوية أية مشكلة بالنسبة لهم". كان صوته يحمل بعض القسوة فى نبراته.

قال دافنترى:" أوافق على هذا، نحن نرى جميع الأنواع من الناس. من الممكن أن تقوم امرأة خائنة لزوجها بإعطاء هدية لخادمته حتى لا تفضح أمرها، ويتم فهم هذا الأمر ضمنياً باعتباره رشوة للتستر على أمر ما".

"بالضبط".

اعترض دافنترى قائلاً:"ولكن هذا، لم يكن شيئاً من هذا القبيل. لقد كان جريمة قتل".

"على الرغم من ذلك، أشك فى أن الفتاة كانت تعلم أن الأمر خطير. لقد رأت شيئاً، حادثاً محيراً، شيئاً من المحتمل أن يكون له علاقة بزجاجة الأقراص. أعتقد أنها ملك السيد دايسون. من الأفضل أن نراه".

دخل جريجورى بروحه المرحة المعتادة.

ثم قال:" ها أنا ذا، ما الذى أستطيع أن أساعدكم به؟ إنه لأمر محزن للغاية ما حدث لتلك الفتاة. لقد كانت فتاة لطيفة. كلنا قد أحبها. أعتقد أن ما حدث كان شجاراً أو شيئاً مثل هذا مع رجل ما، ولكنها بدت سعيدة للغاية ولم يكن هناك أية دلالات على وجود أية مشكلة من أى نوع. لقد كنت أداعبها بالأمس فقط".

"أعتقد أنك كنت تتناول مستحضراً طبياً يسمى سيرينايت ياسيد دايسون، أليس كذلك؟".

"بالضبط، أقراص صغيرة قرنفلية اللون".

"هل تتعاطاها بناءً على استشارة طبيب؟".

"نعم. يمكننى أن أحضر لك وصفة الطبيب إذا أردت ذلك. فأنا أعانى من ارتفاع طفيف فى ضغط الدم، مثل كثير من الناس فى تلك الأيام".

"يبدو أن قليلا جداً من الناس على علم بهذه الحقيقة".

"حسناً، لن أمضى فى الحديث عن هذا الأمر، إننى حسناً، لقد كنت بحال جيدة وصحة مثالية طوال الوقت، ولم أحب، أبداً، الناس الذين يتحدثون طوال الوقت عن أوجاعهم".

"كم عدد الأقراص التى تتناولها؟"

"قرصان، ثلاث مرات يومياً".

"هل لديك مخزون كاف منها؟"

"نعم، لدىّ حوالى خمس زجاجات أقراص. ولكنهم فى مكان مغلق، فى حقيبة. أنا أترك الزجاجة التى أستعملها فقط فى الخارج".

"وكما سمعت، لقد فقدت هذه الزجاجة منذ فترة قصيرة، أليس كذلك؟"

"بالضبط".

"وأنت سألت تلك الفتاة، فيكتوريا جونسون، عما إذا كانت قد رأتها؟"

"نعم، لقد قمت بهذا".

"وماذا قالت؟"

"قالت إنها رأتها آخر مرة على الرف الموجود فى الحمام، وقالت إنها بحثت فى الجوار".

"وبعد هذا؟"

"أتت وأعادت إلىّ الزجاجة بعد فترة من الوقت. وسأَلت عما إذا كانت تلك هى الزجاجة المفقودة".

" قلت:(إنها هى، أين وجدتها؟" فقالت إنها كانت فى غرفة الرائد بلجراف العجوز. وقلت" كيف يمكن أن تكون هناك؟")

"وماذا كانت الإجابة على هذا التساؤل؟"

تردد قائلاً:" قالت إنها لا تعرف، ولكن ـ"

"لكن ماذا يا سيد دايسون؟"

"حسناً تركت لدى انطباعاً بأنها كانت تعرف أكثر بقليل مما كانت تقول، ولكنى لم أعط الأمر الكثير من الاهتمام. وفوق كل شىء، فالأمر لم يكن مهما للغاية. فكما قلت، لدىّ زجاجات أقراص أخرى، ولذلك اعتقدت أنه ربما كنت قد تركتها فى مكان ما فى المطعم أو فى مكان آخر فأخذها بلجراف العجوز لسبب ما. ربما قد وضعها فى جيبه قاصداً أن يعيدها إلى ثم نسى.

"وهذا كل ما تعرفه عنه يا سيد دايسون؟"

"هذا هو كل ما أعرفه. آسف لأننى لم أستطع أن أكون عوناً لكم. هل هذا مهم؟ لماذا؟".

هز ويستون كتفيه، ثم قال:"كما هو الحال دائماً، أى شىء ممكن أن يكون مهما".

"لا أفهم ما دخل الأقراص بهذا الموضوع. اعتقدت أنك تريد أن تعرف كل

تحركاتى عندما طُعِنَت تلك الفتاة البائسة. لقد دونتها كلها بحرص شديد".

نظر إليه ويستون باهتمام.

"حقاً؟ لقد كنت متعاوناً للغاية يا سيد دايسون".

قال جريج:" اعتقدت أن هذا قد يريح الجميع" ثم مرر قطعة من الورق عبر الطاولة، نظر ويستون فيها بشدة، وجذب دافنترى كرسيه قريباً وألقى نظرة سريعة عليها من فوق كتفه.

قال ويستون بعد لحظة أو اثنين:" هذا يبدو واضحاً للغاية. لقد كنت أنت وزوجتك فى منزلكما تبدلان ملابسكما للخروج لتناول العشاء حتى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق. ثم ذهبتما إلى المطعم وتناولتما شراباً مع سينورا دى كاسبيرو. فى التاسعة والربع، انضم إليكم الكولونيل هيلنجدون وزوجته، ذهبتم لتناول العشاء. وحسب ما تتذكر، فقد ذهبت إلى الفراش لتنام فى الحادية عشرة والنصف".

قال جريج:" بالتأكيد، لا أعرف بالتحديد الوقت الذى قتلت فيه الفتاة؟".

كان هناك تلميح غير واضح لسؤال ضمنى فى الكلام. وعلى الرغم من ذلك، لم يبد أن المقدم ويستون قد لاحظه.

"لقد وجدتها السيدة كندال، كما سمعت، أليس كذلك؟ لقد كان ذلك بمثابة صدمة بغيضة بالنسبة لها.

"نعم. لقد اضطر دكتور روبيرستون إلى أن يعطيها مهدئاً".

"لقد كان هذا فى وقت متأخر للغاية، أليس كذلك؟ عندما كان معظم الناس نياماً؟"

"نعم".

"هل كانت قد ماتت قبل وقت طويل؟ أعنى عندما وجدتها السيدة كندال؟"

"لسنا متأكدين حتى الآن من موعد الوفاة بالتحديد"، قالها ويستون بلطف.

"يا لمولى المسكينة الصغيرة. لقد كان ذلك بمثابة صدمة شديدة بالنسبة لها فى الحقيقة، أنا لم أرها فى الجوار الليلة الماضية. اعتقدت أنها ربما كانت تعانى من الصداع أو شىء من هذا القبيل، وكانت ترتاح قليلاً".

"متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيدة كندال؟"

"أوه، مبكراً للغاية، قبل أن أذهب لأغير ثيابى. لقد كانت تعبث ببعض أدوات المائدة والأشياء الأخرى. كانت تعيد ترتيب السكاكين".

"فهمت".

قال جريج:" لقد كانت مبتهجة للغاية فى ذلك الوقت. كانت تمازحنى، إنها فتاة رائعة. إننا معجبون بها للغاية. إن تيم فتى محظوظ".

"حسناً، أشكرك يا سيد دايسون. ألا تستطيع أن تتذكر شيئاً آخر أكثر مما أخبرتنا به حول ما قالته تلك الفتاة فيكتوريا عندما أعادت الأقراص؟

"لا.... كما قلت فقط. لقد سألتنى عما إذا كانت تلك هى الأقراص التى كنت أبحث عنها. وقالت إنها وجدتها فى غرفة بلجراف العجوز".

"هل كان لديها أية فكرة عمن وضعها هناك؟"

"لا أعتقد ذلك حقيقة، لا أتذكر".

"أشكرك يا سيد دايسون".

خرج جريجورى من الغرفة.

نقر ويستون بخفة على الورقة بطرف أصبعه وقال: "ياله من رجل مراع للآخرين، أليس من الغريب أن يكون مهتماً للغاية بأن نعرف كل تحركاته بدقة فى الليلة الماضية؟". تساءل دافنترى قائلاً:" لقد كان مفرطاً فى القلق إلى حد ما، ألا تعتقد ذلك؟"

"من الصعب للغاية أن نعرف هذا؛ فكما تعلم، هناك أشخاص بطبيعتهم يهتمون بسلامتهم الشخصية بشكل مفرط، أو يخافون من التورط فى أى شىء عن طريق الخطأ. وهذا ليس بالضرورة أن يكون بسبب أنهم قد ارتكبوا ذنباً ما، ومن ناحية أخرى من الممكن أن يكون هذا كل ما فى الأمر".

"ماذا عن الفرصة؟ ليس كل الأشخاص لديهم حجة غياب عن مسرح الجريمة بالطبع مع وجود الفرقة والرقص والحركة الكثيرة. فالناس ينهضون ويغادرون طاولاتهم ويعودون إليها، فالنساء يذهبن لإصلاح زينتهن، ويذهب الرجال للتنزه. من الممكن أن يكون دايسون قد انسل من بينهم، فقد كان بمقدور أى شخص أن ينسل بهذا الشكل. ولكنه بدا مهتماً للغاية بإثبات عدم تحركه من مكانه". ثم نظر باهتمام إلى الورقة وقال:" إذن فالسيدة كندال كانت تعيد ترتيب السكاكين. أظن أنه ذكر هذا الأمر عن عمد".

"هل تبادر هذا إلى ذهنك؟"

قال الآخر:" أعتقد أن هذا ممكن".

ارتفعت ضوضاء فى خارج الغرفة التى كان يجلس فيها الرجلان. صوت عال كان يطلب الإذن بالدخول بقوة.

"لدىّ ما أقوله. خذنى إلى المكان الذى يجلس فيه المفتشان. خذنى إلى رجل

الشرطة".

اندفع رجل يرتدى زى الشرطة فاتحاً الباب ـ

قال:"إنه أحد الطباخين هنا، يريد أن يقابلكم على وجه السرعة. ويقول أنه لديه شيء يجب أن تعرفوه ".

اندفع إلى الغرفة رجل وجل أسمر البشرة مرتدياً غطاء الرأس الذى يرتديه الطباخون ودخل الغرفة. كان أحد مساعدى الطباخين. رجل كوبى وليس من أهالى سانت هونورى الأصليين.

قال:" أريد أن أقول لكم شيئاً. سأقول لكم، لقد مرت من المطبخ، لقد فعلت ذلك، وكان معها سكين. أقول لكم سكين. كان هناك سكين فى يدها، عبرت خلال مطبخى وخرجت من الباب. خارجة إلى الحديقة. لقد رأيتها".

قال دافنترى" الآن اهدأ، اهدأ. من هى التى تتكلم عنها؟"

"سأخبركم بمن أتحدث عنها. أتحدث عن زوجة الرئيس. السيد كندال. أتحدث عنها. كان معها سكين فى يدها وخرجت إلى الظلام. لقد كان هذا الأمر قبل العشاء، ولم تعد مرة أخرى".

الفصل الخامس عشر

استمرار التحقيق

1

هل يمكن أن نتحدث معك قليلاً يا سيد كندال؟".

نظر تيم جانباً مكتبه قائلاً:" بالتأكيد". ثم دفع بعض الأوراق جانباً وأشار لهم بالجلوس. كان وجهه متجهماً وحزيناً. قال:" كيف تجرى الأمور؟ هل حدث أى تقدم؟ أشعر كأن اللعنة قد حلت على هذا المكان يرغب الناس فى الرحيل، كما تعلم، ويسألون عن الرحلات الجوية، كل هذا يحدث عندما صار كل شىء يشير إلى نجاحنا. يا إلهى، لا تعرف ماذا يعنى هذا المكان لى ولمولى. لقد جازفنا بكل شىء من أجل هذا المكان".

قال المحقق:" أعلم أن هذا الأمر صعب جداً عليك، لا تظن أننا غير متعاطفين معك".

"أتمنى لو تم الانتهاء من هذا الأمر سريعاً. تلك الفتاة البائسة فيكتوريا آه! لا يجب علىّ أن أتحدث عنها بهذا الشكل. لقد كانت فيكتوريا فتاة طيبة للغاية. ولكن ولكن يجب أن يكون هناك سبب كاف وبسيط مكيدة من نوع ما، أو علاقة غرامية. ربما يكون زوجها ـ"

"كان زوجها جيم إليس على وفاق تام معها". قال تيم مرة أخرى:" لو أنه من الممكن أن يتم الانتهاء من هذا الأمر بسرعة. أنا آسف. أظن أنكم أردتم التحدث معى عن شىء، أو أن تسألونى عن شىء".

"نعم، إنه عن الليلة الماضية. فطبقاً للتقرير الطبى فإن فيكتوريا قد قتلت فيما بين العاشرة والنصف ومنتصف الليل. وفى مثل هذه الظروف السائدة هنا من الصعب إثبات أماكن تواجد الناس وقت وقوع الجريمة. إن الناس كانوا يتحركون هنا وهناك، يرقصون، يخرجون من حجرة الطعام، ويعودون إليها. إن هذا الأمر صعب للغاية".

"أعتقد ذلك. ولكن هل هذا يعنى أنك تشك فى أن أحد النزلاء هنا هو من قتل فيكتوريا؟".

"حسناً، نحن مضطرون إلى تفحص هذه الاحتمالية يا سيد كندال. ما أريد أن أسألك عنه بالتحديد هو بيان أدلى به أحد الطباخين لديك!"

أوه؟ أياً منهم؟ ماذا قال؟"

"إنه كوبى على ما أعتقد".

"لدينا اثنان كوبيان وواحد من بورتوريكو".

"يقول هذا الرجل، إنريكو، إن زوجتك قد مرت من المطبخ فى طريقها من غرفة الطعام وخرجت إلى الحديقة، وأنها كانت تحمل سكيناً".

حملق فيه تيم.

"مولى، تحمل سكيناً؟ حسناً، وماذا فى ذلك؟ أعنى لماذا أنت لا تعتقد ما الذى تحاول أن تقترحه؟".

"إننى أتحدث عن الوقت الذى سبق دخول الناس إلى غرفة الطعام. أعتقد أنها كانت حوالى الثامنة والنصف لقد كنت أنت شخصياً فى غرفة الطعام تتحدث إلى رئيس النادلين، فرناندو، على ما أعتقد".

رجع تيم بذاكراته إلى الوراء ثم قال:" نعم. نعم أتذكر هذا".

"ودخلت زوجتك من باب الردهة؟".

قال تيم موافقاً إياه:" نعم، لقد فعلت هذا، إنها دائماً ما تخرج لتشرف على ترتيب الطاولات، ففى بعض الأحيان يضع النادلون الأشياء بصورة خاطئة، ينسون بعضاً من سكاكين المائدة، وأشياء مثل هذا. هذا، تقريباً، ما كان يحدث. ربما أنها كانت تعيد ترتيب السكاكين أو شيئا ما. من المحتمل أنها كانت تحمل سكيناً إضافية أو ملعقة أو شيئا مثل هذا فى يدها".

"وأتت من الردهة إلى داخل غرفة الطعام. هل تحدثت إليك؟"

"نعم، لقد تحدثنا قليلاً مع بعضنا".

"ماذا قالت؟ هل تتذكر؟"

"أعتقد أننى سألتها عمن كانت تتحدث إليه. سمعت صوتها هناك".

"ومن قالت أنها كانت تتحدث معه؟"

"جريج دايسون"

"آوه. نعم. هذا ما قاله".

استمر تيم فى حديثه قائلاً" أعتقد أنه كان يغازلها. لقد كان مغرماً بهذه الأمور.

لقد ضايقنى هذا الأمر وقلت "أوقفيه عند حده" وضحكت مولى وقالت أنها قادرة على ذلك تماماً. إن مولى فتاة بارعة جداً فى هذا الأمر. إن وظيفتها ليست سهلة، فكما تعلم، لا يستطيع المرء أن يسىء إلى الضيوف، وأى فتاة جذابة مثل مولى مضطرة إلى أن تجعل مثل تلك الأشياء تمر بروح الدعابة وتتغاضى عنها. ولقد كان من الصعب على جريجورى دايسون أن يبقى يديه بعيدتين عن امرأة حسناء".

"هل كان هناك أية مشاحنة بينهم؟"

"لا أعتقد هذا. كما قلت، أعتقد أنها جعلت الأمر يمر كمزحة كالعادة".

"ألا تستطيع أن تجزم إذا ما كانت تحمل سكيناً فى يدها أم لا؟"

"لا أتذكر ولكنى شبه متأكد أنها لم تكن تحمل واحدة فى الحقيقة أنا متأكد تماماً من أنها لم تكن تحمل واحدة".

"ولكنك قلت الآن..."

"اسمعنى، ما أعنيه هنا هو أنها لو كانت فى غرفة الطعام أو فى المطبخ فإنه من المحتمل جداً أن تكون قد أخذت سكيناً من هنا أو هناك، أو كانت معها واحدة فى يدها. فى الحقيقة أستطيع أن أتذكر جيداً، لقد دخلت إلى غرفة الطعام ولم يكن فى يدها شىء على الإطلاق، لا شىء على الإطلاق. هذا أكيد".

قال ويستون:" فهمت ".

نظر تيم إليه بترقب، ثم قال:

ما الذى ترمى إليه بحق السماء؟ ما الذى قاله هذا السخيف إنريكو أو مانويل أو أياً كان اسمه؟

"قال إن زوجتك جاءت إلى المطبخ وكان يبدو عليها الضيق وكانت تحمل سكيناً فى يدها".

"إنه فقط يبالغ فى الموقف ".

"هل تحدثت مرة أخرى مع زوجتك خلال العشاء أو بعد ذلك؟".

"لا، لا أعتقد أننا تحادثنا فى الحقيقة. فى الواقع لقد كنت مشغولاً للغاية".

" هل كانت زوجتك موجودة فى غرفة الطعام خلال فترة العشاء؟".

"أعتقد آوه نعم، نحن دائماً ما نتحرك بين النزلاء وما إلى ذلك، لنرى كيف تسير الأمور".

"هل تحدثت إليها؟".

"لا، لا أعتقد أننى قمت بهذا... فعادة ما نكون مشغولين للغاية. عادة لا يلحظ أحدنا ما يفعله الآخر بالتأكيد لم يكن لدينا وقت لنتحدث فيه مع بعضنا".

"هل تعنى أنك لا تتذكر أنك قد تحدثت إليها حتى صعدت السلالم بعد ثلاث ساعات، بعد اكتشاف الجثة؟".

"لقد كانت صدمة مروعة بالنسبة لها. لقد أزعجها هذا الأمر بشدة".

"أعلم إنها تجربة غير سعيدة على الإطلاق ما الذى جعلها تسير نحو ممر الشاطىء؟".

" بعد أن يقل ضغط فترة أثناء العشاء، عادة ما تذهب لتنفس عن نفسها. وكما تعلم، فإن الابتعاد عن النزلاء لدقيقة أو اثنين يعطى المرء فسحة للترويح عن نفسه".

"عندما عادت، أعتقد أنك كنت تتحدث إلى السيدة هيلنجدون".

"نعم فى الواقع كان كل الأشخاص الآخرين قد ذهبوا للنوم".

"ماذا كان موضوع محادثتك مع السيدة هيلنجدون؟".

"لم يكن شيئاً محدداً. لماذا تسأل؟ ماذا قالت لك؟".

"حتى الآن لم تقل شيئاً. لم نستجوبها بعد".

"لقد كنا فقط نتحدث عن بعض الأمور. مولى، وإدارة الفندق، ما إلى ذلك".

"ثم صعدت زوجتك الدرج المؤدى إلى قاعة الطعام وقصت عليك ما حدث؟".

"نعم".

"كان هناك دم يغطى يديها؟".

"بالتأكيد كان هناك دم! لقد كانت تتفحص الفتاة، حاولت أن ترفعها، لم تستطيع أن تفهم ما حدث، كانت تريد أن تعرف ما أصابها. بالتأكيد كان هناك دم على يديها! ما الذى ترمى إليه؟ أنت تلمح إلى شىء ما، أليس كذلك؟".

قال دافنترى:"اهدأ من فضلك. أنا أعلم أن كل هذا يمثل ضغطاً كبيراً عليك، ولكن يجب أن نكتشف الحقيقة. أعرف أن زوجتك لم تكن على ما يرام فى الفترة الأخيرة".

"هذا هراء إنها بخير حال لقد ضايقها موت الرائد بلجراف قليلاً. فهى فتاة حساسة بطبيعتها".

"سنضطر إلى أن نطرح عليها بعض الأسئلة عندما تكون قادرة على هذا".

"حسناً، أنت لا تستطيع الآن، ولقد أعطاها الطبيب مهدئاً، وقال إنه لا يجب أن

يزعجها أحد، هل تسمع؟".

قال ويستون:" لن يحدث لها أي نوع من الإزعاج. نحن فقط مضطرون إلى أن نستوضح الحقائق. لن نزعجها حالياً، لكن بمجرد أن يسمح لنا الطبيب، فسيكون من الواجب علينا أن نراها". قال ذلك بصوت هادئ وجاف.

فنظر تيم إليه، وفتح فمه، ولكن لم يقل شيئاً.

2

جلست إيفلين هيلنجدون هادئة ورابطة الجأش كالعادة على الكرسى الذى قادوها إليه. أخذت تتدبر الأسئلة التى كانوا يطرحونها عليها، وكانت تأخذ وقتها قبل الإجابة على كل منها، وأخذت تحدق بعينيها الداكنتين اللتين تشعان بالذكاء إلى ويستون.

قالت:" نعم كنت أتحدث مع السيد كندال فى قاعة الطعام عندما صعدت زوجته الدرج وأخبرتنا عن جريمة القتل".

"ألم يكن زوجك هناك؟".

"لا، كان قد أوى للفراش".

"هل كان لديك أى سبب خاص للتحدث مع السيد كندال؟".

رفعت إيفلين حاجبيها المرسومين بدقة كان هذا بمثابة تأنيب واضح.

قالت ببرود:

"ما هذا السؤال الغريب؟ لا لم يكن هناك سبب خاص لحديثنا".

"هل تحدثتما حول صحة زوجته؟".

أخذت إيفلين وقتها مرة أخرى.

قالت فى النهاية:" أنا فعلاً لا أستطيع أن أتذكر".

"هل أنت متأكدة من هذا؟".

"هل أنا متأكدة من أننى لا أستطيع أن أتذكر؟ يا لتلك الطريقة الغريبة التى تسأل بها يتحدث المرء عن أشياء عديدة للغاية فى أوقات مختلفة".

قال ويستون:" أعتقد أن السيدة كندال لم تكن فى حالة صحية جيدة مؤخراً".

قالت إيفلين:" لقد بدت بحالة جيدة للغاية ربما كانت متعبة قليلاً. بالتأكيد أن إدارة مكان مثل هذا تعنى العديد من المتاعب، وهى ذات خبرة ضئيلة للغاية، لذلك من

الطبيعى جداً أن ترتبك من آن لآخر".

كرر ويستون الكلمة:" ترتبك. هل هذه هى الطريقة التى تصفينها بها؟"

"ربما تكون كلمة عتيقة، ولكنها بجودة الكلمات الغريبة التى نستعملها مع كل شىء ـ" نقول عدوى فيروسية" بدلاً من قول" أزمة كبدية " ونصف الاضطرابات اليومية التى تصادفنا بأنها" اضطراب عصبى" ناجم عن متاعب الحياة اليومية".

جعلت ابتسامتها ويستون يشعر بأنه سخيف إلى حد ما. ظن فى نفسه أن إيفلين هيلنجدون امرأة ذكية. نظر إلى دافنترى، الذى بدا وجهه خالياً من أية تعبيرات، وتساءل رأيه فى ذلك.

قال ويستون:" نشكرك يا سيدة هيلنجدون".

3

"نحن لا نريد أن نثير قلقك يا سيدة كندال، ولكن يجب أن نأخذ أقوالك عن كيفية اكتشافك لتلك الجثة. يقول الدكتور جراهام إنك أصبحت بحالة جيدة بصورة كافية لتتحدثى عن هذا الأمر الآن".

قالت مولى:" آوه نعم، لقد أصبحت بحالة جيدة الآن". ثم ابتسمت بعصبية وقالت:" لقد كان هذا من أثر الصدمة لقد كان الأمر مرعباً للغاية، كما تعلم".

" نعم، فى الواقع كان الموقف مؤلماً للغاية أعتقد أنك كنت ذاهبة للتمشية بعد العشاء".

"نعم غالباً ما أفعل هذا".

لاحظ دافنترى أن نظراتها تغيرت وشبكت أصابع يديها ثم باعدت بينهما.

سألها ويستون قائلاً:" فى أى وقت حدث هذا الأمر يا سيدة كندال؟".

"حسناً، حقيقة أنا لا أعرف فنحن لا نهتم كثيراً بالوقت".

"هل كانت الفرقة الموسيقية مازالت تعزف؟".

"نعم على الأقل أعتقد هذا لا أستطيع التذكر فى الحقيقة".

"وفى أى طريق كنت تسيرين؟".

"أوه، بطول ممر الشاطىء".

"لليسار أم لليمين؟".

"أوه! فى البداية كنت أسير فى اتجاه ثم سرت فى الآخر أنا، أنا فى الحقيقية لم ألحظ".

"لماذا لم تلحظى يا سيدة كندال؟".

غطى العبوس وجهها ثم قالت:

"أعتقد أننى كنت حسناً أفكر فى أشياء".

"هل كنت تفكرين فى شيء بعينه؟".

"لا ليس شيئاً محدداً فقط بعض الأشياء التى كان يجب القيام بها أشياء فى الفندق"، وأخذت تعقد أصابعها ثم تباعد بينها بعصبية مرة أخرى، ثم أردفت: "ثم لاحظت شيئاً أبيض فى مجموعة من شجيرات نبات الخطمى وتساءلت عما يكون ثم توقفت وسحبت هذا الشىء ـ" ابتلعت ريقها بتشنج، ثم قالت:" وكانت هى فيكتوريا مكومة وحاولت أرفع رأسها ووجدت دماء على يدىّ".

نظرت إليهم وأعادت ما قالته بدهشة وكأنها تتذكر شيئاً مستحيلاً:

"دماء على يدى".

"نعمِ نعم إنها تجربة مروعة للغاية لسنا فى حاجة إلى أن تخبرينا أكثر عن هذا الجزء لِكمْ من الوقت، تعتقدين أنك قد سرت عندما وجدتها ـ"

"لا أعرف ليست لدىّ أية فكرة".

"ساعة؟ نصف ساعة؟ أو أكثر من ساعة ـ".

أعادت مولى ما قالته:"لا أعرف ـ".

سألها دافنترى بصوته الهادىء المعتاد:

"هل كنت تحملين سكيناً معك أثناء سيرك؟"

"سكين؟" بدت مولى متفاجئة:" لماذا يجب أن أحمل سكيناً؟"

"أسأل عن هذا فقط، لأن أحد العاملين فى المطبخ ذكر أنك كنت تحملين سكيناً فى يدك عندما خرجت من المطبخ ذاهبة إلى الحديقة".

تجهم وجه مولى.

"ولكنى لم أخرج عبر المطبخ أوه أنت تعنى قبل هذا قبل العشاء أنا لا أعتقد هذا ـ"

"ربما كنت تعيدين ترتيب السكاكين على الطاولات".

"أحياناً أضطر إلى القيام بهذا فهم يضعون الأشياء بصورة خاطئة لا يضعون

سكاكين كافية أو يضعون عدداً أكثر من اللازم. عدد خطأ من الشوك والملاعق وأشياء من هذا القبيل".

"إذن ربما تكونين قد خرجتِ من المطبخ فى تلك الليلة حاملة سكيناً فى يدك؟"

"لا أعتقد أننى فعلت هذا، أنا متأكدة من أننى لم أقم بهذا ـ" ثم أضافت قائلة ـ" تيم كان هناك سيعرف هذا، اسأله".

سألها ويستون قائلاً:

"هل كانت تلك الفتاة فيكتوريا تروق لك، أعنى هل كانت تعمل جيداً؟"

"نعم لقد كانت فتاة لطيفة للغاية ".

"هل حدث أى شجار بينك وبينها؟".

"شجار؟ كلا".

"هل هددتك قبل هذا بأية طريقة؟".

هددتنى؟ ماذا تعنى؟".

" هذا لا يهم، ليس لديك أية فكرة عمن قد يكون قتلها؟ ليس لديك أية فكرة على الإطلاق؟".

أجابت بثقة:" على الإطلاق".

ابتسم قائلاً:" حسناً، نشكرك يا سيدة كندال. لم يكن الأمر شاقا للغاية، أليس كذلك؟".

قالت:" هل هذا كل شىء؟".

"هذا كل شىء فى الوقت الراهن".

وقف دافنترى، وفتح الباب لها، وراقبها وهى تنصرف.

بينما كان دافنترى عائداً إلى مقعده كرر ما قالته مولى قائلاً:"(تيم سيعرف). وتيم قال إنها بالتأكيد لم تكن تحمل سكيناً.

قال ويستون بجدية:

"أعتقد أن هذا ما سيشعر أى زوج أنه يجب أن يقوله".

إن سكين المائدة ليست نوعاً مناسباً لارتكاب جريمة قتل".

"ولكنها كانت سكيناً لتقطيع اللحم يا سيد دافنترى. لقد كان اللحم أحد أصناف فى قائمة الطعام فى هذه الأمسية. عادة ما تكون سكاكين اللحم حادة".

"فى الواقع لا أستطيع أن أصدق أن تلك الفتاة التى كنا نتحدث إليها منذ قليل قاتلة متلبسة بالجريمة يا ويستون".

"ليس من الضرورى أن تصدق هذا الآن. ربما كان الأمر أن السيدة كندال خرجت إلى الحديقة قبل العشاء، حاملة سكيناً أخذتها من على إحدى الطاولات لأنها كانت زائدة عن العدد من الممكن أنها حتى لم تلاحظ أنها تحملها، وأنها وضعتها فى مكان ما أو سقطت منها، ومن الممكن أن شخصاً آخر وجدها واستعملها فأنا أيضاً لا أظن أنها قاتلة".

قال دافنترى وهو يفكر بعمق:"على أية حال، إننى متأكد، للغاية، من أنها لا تخبرنى بكل ما تعرف. إن غموضها بالنسبة لمسألة الوقت غريب أين كانت ماذا كانت تفعل هناك، لا يبدو أن هناك أحدا لاحظها، حتى الآن، فى قاعة الطعام هذا المساء".

"لقد كان الزوج موجوداً هناك كالعادة ولكن لم تكن الزوجة موجودة".

"أتعتقد أنها ذهبت لتقابل شخصاً ما فيكتوريا جونسون على سبيل المثال؟".

"ربما أو ربما أنها رأت الشخص الذى ذهبت فيكتور لمقابلته، أيا ما كان؟".

"هل تظن أنه جريجورى دايسون؟"

"نحن نعلم أنه كان يتحدث مع فيكتوريا قبل ذلك باكراً ربما يكون قد رتب لأن يقابلها لاحقاً لقد كان كل الناس يتحركون بحرية فى القاعة، تذكر الرقص، الشرب، الدخول والخروج من قاعة الطعام".

قال دافنترى بسخرية: ليست هناك حجة غياب أفضل من فرقة الموسيقى الراقصة".

الفصل السادس عشر

الآنسة ماربل تبحث عن مساعدة

لو كان هناك شخص ما يراقب تلك السيدة العجوز الودودة التى وقفت متأملة فى الإيوان المسقوف الموجود خارج بيتها لاعتقد أنه لا شىء لا يشغل بالها سوى التفكير بكيفية تنظيم وقتها هذا اليوم رحلة استكشافية، ربما إلى قلعة التل زيارة إلى جيمس تاون رحلة جميلة بالمركبة والغداء فى بيليكان بوينت، أو مجرد صباح هادىء على الشاطىء ولكن السيدة العجوز الودودة كانت تفكر بترو فى أشياء مختلفة تماماً لقد كانت فى حالة تأهب عسكرى.

"يجب أن يتم القيام بشىء "، قالت الآنسة ماربل ذلك لنفسها.

علاوة على ذلك، كانت مقتنعة أنه لا يجب تضييع أى وقت لقد كانت الحالة طارئة.

ولكن لم يكن هناك من تستطيع أن تقنعه بتلك الحقيقية؟ واعتقدت أنها تستطيع، بمرور الوقت، أن تكتشف الحقيقة بنفسها.

لقد اكتشفت الكثير. ولكنه ليس كافياً ليس كافياً على الإطلاق. وكان الوقت ضيقاً.

أدركت بمرارة، أنه هنا على تلك الجزيرة التى تشبه الجنة لم يكن لديها أى شخص يشاركها أفكارها.

فكرت فى أصدقائها فى إنجلترا بحسرة السير هنرى كليذرنج والذى كان دائماً ما ينصت إليها باهتمام وتركيز وابنه ديرموت. وعلى الرغم من سلطته الرفيعة فى سكوتلانديارد، إلا أنه كان مستعداً لتصديق ما تقوله الآنسة ماربل، وكان يرى دائماً أن هناك شيئاً ما وراء ما تقوله.

ولكن هل يلقى ضابط البوليس هذا ذو الصوت الناعم، وهو أحد أبناء البلدة بالاً لما تقوله سيدة عجوز؟ الدكتور جراهام؟ ولكن لم يكن الدكتور جراهام من ترغب فى اللجوء إليه، فهو فيه لطيف للغاية ولكنه متردد، بالتأكيد ليس من الرجال الذين يأخذون قرارات سريعة أو يتخذون إجراءات سريعة.

صرخت الآنسة ماربل بصوت عال بإحدى المقولات المأثورة، لشعورها بأنها مبعوث للعناية الإلهية قائلة:

من سيذهب بدلاً منى؟

من سأرسله؟

لم تستوعب فوراً الصوت الذى وصل إلى أذنيها بعد دقيقة بكونه إجابة على صلاتها بل إنه أبعد ما يكون عن ذلك لقد كان صوتاً يشبه رجلاً ينادى كلبه.

"مرحباً!".

لم تلق الآنسة ماربل بالاً وهى غارقة فى حيرتها.

بالتالى ارتفع الصوت قائلاً:" مرحباً"، نظرت الآنسة ماربل حولها بحيرة.

قال السيد رافيل:" مرحباً، يا أنتِ".

لم تدرك الآنسة ماربل فى البداية أن السيد رافيل كان يناديها. فلم يستعمل أحداً أبداً هذا الأسلوب معها من قبل لينادِيها. لم يكن هذا بالتأكيد أسلوباً مهذباً لمخاطبة الناس. لم تمتعض الآنسة ماربل منه، لأن الناس نادراً ما تمتعض من أسلوب السيد رافيل المتسلط فى ممارسة أفعاله. لقد كانت له شخصية متفردة، وكان الناس يقبلونه كما هو. نظرت الآنسة ماربل عبر المسافة التى تفصل بين بينها وبينه. كان السيد رافيل جالساً فى الخارج على إيوانه الخاص وأشار إليها.

سألت قائلة:" هل كنت تنادينى؟".

قال السيد رافيل:" بالتأكيد كنت أناديك، من برأيك كنت أنادى قطة؟ تعالى هنا".

نظرت الآنسة ماربل حولها باحثة عن حقيبتها ثم أخذتها، وعبرت المسافة التى تفصل بينهما.

قال لها السيد رافيل موضحاً:" لا أستطيع أن آتى إليك بدون مساعدة أحد، لذا، فأنت مضطرة إلى أن تأتى إلى".

قالت السيدة ماربل:" أوه، نعم أتفهم هذا جيداً".

أشار السيد رافيل إلى كرسى مجاور ثم قال:"اجلسى، أريد أن أتحدث معك. هناك شىء غريب يحدث فى هذه الجزيرة".

اتفقت معه الآنسة ماربل فى الرأى قائلة:" نعم، بالتأكيد"، ثم سحبت الكرسى الذى أشار إليه. وكالعادة سحبت غزلها من حقيبتها.

قال السيد رافيل:" لا تعودى للحياكة مرة أخرى، أنا لا أستطيع تحمل ذلك. أكره

النساء حينما يفعلن ذلك. إن ذلك يزعجنى".

أعادت الآنسة ماربل غزلها إلى حقيبتها. فعلت هذا بمنتهى الصبر، وهى تتعامل معه كمن يتعامل مع مريض مشاكس.

قال السيد رافيل:" هناك العديد من الأقاويل التى تتناثر هنا وهناك، وأراهن أنك فى مقدمة من يتناقلونها، أنت ورجل الدين وأخته".

قالت الآنسة ماربل بحيوية:" ربما تكون تلك الأقاويل شيئاً طبيعياً ناتجاً عن الأجواء المحيطة".

"تلك الفتاة التى طعنت فى الجزيرة، ووجودها بين الشجيرات. يمكن أن يكون هذا الأمر عادياً للغاية. ربما كان هذا الشاب الذى كانت متزوجة منه يغار من رجل آخر أو أنه قد وجد فتاة أخرى وتشاجرا مع بعضهما، إنه نوع من الحب فى الأماكن الاستوائية. هذا النوع من المشاحنات، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل وهى تهز رأسها:" لا".

قال:" حتى السلطات لا تعتقد هذا أيضاً".

أشارت إليه الآنسة ماربل قائلة:" سوف يخبرونك أكثر مما يمكنهم إخباره لى".

قال:" على أية حال، أراهن أنك تعلمين عن الأمر أكثر مما أعلم أنا، فقد سمعت كل الأقاويل بالتأكيد".

أوضحت السيدة ماربل:" بالتأكيد فعلت".

"هل لديك شىء آخر تفعلينه فيما عدا سماع الأقاويل والثرثرة؟".

" غالباً ما تكون تلك الأقاويل مفيدة".

قال السيد رافيل وهو يراقبها بانتباه:" هل تعرفين، لقد أخطأت فى حكمى عليك. لا أخطئ غالباً فى الحكم على الناس. لديك العديد من الأشياء الأخرى أكثر مما اعتقدت. كل تلك الشائعات عن الرائد بلجراف والحكايات التى كان يرويها. أنت تعتقدين أنه قتل، أليس كذلك؟"

قالت الآنسة ماربل:"أخشى أننى أعتقد هذا بالفعل".

قال السيد رافيل:"حسناً، لقد قتل فعلاً".

أخذت الآنسة ماربل نفساً عميقاً. ثم سألت:" هل هذا أمر مؤكد؟".

"نعم، هذا مؤكد بصورة كافية. لقد عرفت هذا من دافنترى. وما أقوله ليس سراً لأنه سيتم إعلان نتائج التشريح. أنت قلت شيئا لـ جراهام، الذى، بدوره، ذهب إلى دافنترى، ودافنترى ذهب للحاكم، وتم إخطار المباحث الجنائية، واتفقوا فيما بينهم على

أن التحقيقات السابقة مشكوك فى صحتها، لذا نبشوا قبر بلجراف العجوز وألقوا نظرة".

"وماذا وجدوا؟" قالتها الآنسة ماربل ثم توقفت عن الحديث.

"وجدوا أنه قد حصل على جرعة مميتة من شىء لا يستطيع إلا الأطباء أن ينطقوا اسمه جيداً، كما أتذكر. إنها كلمة تبدو مثل دى فلور، هيكساجونال، إيثيلكربنزول. هذا ليس الاسم الصحيح. ولكن هذا ما تبدو مثله، لقد قالها طبيب الشرطة بهذه الطريقة لئلا يعرفها أى شخص، على ما أعتقد. ربما كان يحمل هذا العقار اسماً سهلاً ولطيفاً مثل إيفبان أو فيرونال أو شراب إيستون أو شيئاً من هذا القبيل. هذا هو اسمه الرسمى الذى يستعصى على الناس معرفته. على كل حال، لقد فهمت أن كمية محسوبة منه من الممكن أن تؤدى إلى الوفاة، وتبدو أعراضه بالضبط مثل أعراض ارتفاع ضغط الدم وتتفاقم هذه الأعراض مع الإفراط فى تناول المشروبات. فى الواقع، لقد بدا الأمر كله طبيعياً للغاية ولم يتساءل أى شخص عنه للحظة. قالوا فقط:" يا للشاب العجوز البائس"، ودفنوه بسرعة. والآن يتساءلون عما إذا كان مصاباً بضغط الدم من الأساس. هل قال قبل هذا أنه يعانى منه؟".

"لا".

"بالضبط!، رغم ذلك يتعامل كل الناس مع الأمر على أنه حقيقة".

قالت الآنسة ماربل:" من الواضح أنه قال للناس إنه كان يعانى من ارتفاع ضغط الدم".

قال السيد رافيل:" إن الأمر مثل رؤية الأشباح. فأنت لا تقابلين أبداً من رأى الشبح بنفسه. فدائماً ما يكون ابن عم خالته، أو صديقه أو صديق صديقه، ولكن دعك من هذا، لقد اعتقدوا أنه كان يعانى من ارتفاع ضغط الدم، لوجود زجاجة أقراص للتحكم فى ضغط الدم فى غرفته ولكن والآن وصلنا إلى النقطة المنشودة أعتقد أن تلك الفتاة التى قتلت قد نشرت خبر أن الزجاجة التى كانت موجودة هناك وضعها شخص آخر، وأنها حقيقة ملك جريج هذا".

"يعانى السيد دايسون من ارتفاع ضغط الدم. لقد قالت زوجته هذا".

"لذا، وضعت الزجاجة فى غرفة بلجراف للإيحاء بأنه كان يعانى من ضغط الدم المرتفع، وليبدو موته طبيعياً".

قالت الآنسة ماربل:" بالضبط، لقد تم حبك القصة ببراعة فائقة. فهو قد ذكر مرات عديدة للناس أنه يعانى من ارتفاع فى ضغط الدم. ولكن كما تعلم، من السهل أن يختلق شخص ما قصة، إنه أمر سهل للغاية. لقد رأيت هذا مرات عديدة فى حياتى".

قال السيد رافيل:" أراهن على ذلك".

قالت الآنسة ماربل:" إنك فقط تحتاج فقط للثرثرة هنا وهناك. فأنت لا تنقلها من

معلوماتك الشخصية، إنك فقط تقول أن السيدة (ب) قالت إن الكولونيل (ج) قال لها. فعادة ما تكون الوسيط الثانى أو الثالث أو الرابع، ومن الصعب للغاية أن تكتشف من كان المصدر الأصلى. أوه نعم، من الممكن القيام بهذا ببراعة. والأشخاص الذين تخبرهم بذلك يستمرون فى تكرارها للآخرين وك-أنهم توصلوا إليها بأنفسهم".

قال السيد رافيل باهتمام:" إنه شخص بارع".

قالت الآنسة ماربل:" نعم، أعتقد أن أحدهم كان بارعاً جداً".

قال السيد رافيل:" أعتقد أن الفتاة رأت شيئاً ما أو عرفت شيئاً ما وحاولت أن تبتز أحدهم بما تعرفه".

قالت الآنسة ماربل:" ربما لم تقصد الفتاة أن يكون ابتزازاً. ففى هذه الفنادق الكبيرة، تعرف الخادمات غالباً أشياء لا يرغب أصحابها فى نشرها. وبالتالى يقدمون لهن بقشيشا أكثر أو هدية صغيرة من المال. من المحتمل أن الفتاة لم تستوعب فى البداية أهمية ما تعرفه".

قال السيد رافيل بعنف:" والآن استوعبته بعد أن طعنت بسكين فى ظهرها".

"نعم، من الواضح أن شخصاً ما لم يستطع أن يمنعها من الكلام ".

"حسنًا؟ دعينا نسمع ما تعرفينه عن هذا الأمر كله".

نظرت إليه الآنسة ماربل باهتمام، وقالت:

"لماذا تعتقد أننى أعرف أكثر مما تعرفه يا سيد رافيل؟".

قال السيد رافيل:" من المحتمل ألا تعرفى أكثر منى، ولكنى مهتم بالاستماع إلى أفكارك".

قالت الآنسة ماربل:"ولكن لماذا؟".

قال السيد رافيل:" ليس هناك الكثير ليقوم به المرء هنا، إلا الحصول على المال".

بدت الآنسة ماربل مندهشة إلى حد ما، ثم قالت:

"الحصول على المال؟ هنا؟".

قال السيد رافيل:" يمكنك إرسال نصف دستة برقيات مشفرة كل يوم، لو أردت ذلك. هذه هى الطريقة التى أسلى بها نفسى".

سألت الآنسة ماربل وهى مليئة، بنبرة شخص يتحدث لغة أجنبية:

"أتضطلع بالمناقصات؟"

اتفق السيد رافيل معها قائلاً:" هذا النوع من الأشياء هو ما أفعله، أن تضعى مواهبك

فى مواجهة مواهب الآخرين. المشكلة هى أن هذا الشىء لا يضيع الكثير من الوقت، لقد أصبحت مهتماً بهذا النوع من الأشياء. إنه يزيد شغفى. لقد قضى بلجراف وقتاً طويلاً فى التحدث إليك. أعتقد أنه لم يكن يزعج شخصاً آخر غيرك. ماذا قال؟"

قالت الآنسة ماربل:" حكى لى العديد من القصص الجيدة".

"أعرف أنه قام بهذا. اللعنة عليه لقد كانت معظمها مملة. ولم تكونى مضطرة لأن تسمعيها مرة واحدة، فلو ذهبت لأى مكان بالقرب منه فإنك سوف تسمعينها ثلاث أو أربع مرات متتالية".

قالت الآنسة ماربل:" نعم، أعلم، أخشى أن هذا ما يحدث للرجال فى شيخوختهم".

نظر إليها السيد رافيل بحدة شديدة.

ثم قال:" أنا لا أحكى قصصاً. استمرى فى حديثك. لقد بدأ الأمر بواحدة من قصص بلجراف، أليس كذلك؟"

قالت الآنسة ماربل:" قال إنه يعرف قاتلاً". أضافت بصوتها الدافئ:" ليس هناك، حقيقة، شىء مميز بالنسبة لهذا الأمر، لأنه، كما أعتقد، يعرف كل واحد منا قاتلاً ما".

قال السيد رافيل:"لا أفهم ما ترمين إليه".

قالت الآنسة ماربل:"لا أقصد شخصاً بالتحديد، ولكن بالتأكيد، يا سيد رافيل، لو أنك استرجعت ذكرياتك فى عقلك عن الأحداث المختلفة فى حياتك، ألن تجد فيها مناسبة حدث فيها أن قام شخص ما بإشارة عابرة مثل " آه نعم لقد كنت أعرف فلاناً جيداً لقد مات فجأة، ويقولون إن زوجته هى التى أودت بحياته، ولكنى أستطيع أن أقول إن هذه مجرد إشاعات ". لقد سمعتَ أناساً يقولون مثل هذا الكلام، أليس كذلك؟".

"حسناً، أعتقد هذا نعم، شيئاً من هذا القبيل. ولكن ليس لم يكن الأمر جدياً.

قالت الآنسة ماربل:" بالضبط، ولكن الرائد بلجراف كان رجلاً جدياً للغاية.أعتقد أنه كان يستمتع بسرد تلك الحكاية. لقد ذكر أنه يحمل صورة القاتل. لقد كاد أن يرينى إياها ولكن فى الواقع لم يفعل هذا".

"لماذا؟".

"لأنه رأى شيئاً ما. أشك فى أنه قدر رأى شخصاً ما، فقد احمر وجهه بشدة وأعاد الصورة، وغير دفة الحديث إلى موضوع آخر".

"من رأى؟".

"لقد فكرت فى هذا الأمر كثيراً. لقد كنت جالسة خارج بيتى، وكان هو جالسًا أمامى تقريباً، وأياً كان ما رأى، فإنه نظر فوق كتفى الأيمن".

قال السيد رافيل:" لقد رأى شخصاً قادماً عبر الممر، ثم من خلفك على اليمين قادماً من الجدول ومنطقة انتظار السيارات ـ".

"نعم".

"هل كان هناك شخص قادما عبر الممر؟".

"السيد والسيدة دايسون، والكولونيل والسيدة هيلنجدون".

"هل كان هناك أى شخص آخر؟".

"لا أستطيع معرفة هذا. بالتأكيد كان بيتك أيضاً فى مجال بصره..."

قال:" أوه. إذا، فقد انضم إلى المشتبه فيهم دعينا نقل إستر والترز وفتاى جاكسون. أليس هذا صحيحاً؟ كلاهما على ما أعتقد ربما يكون قد خرج من البيت وعاد إلى الداخل دون أن تريه".

قالت الآنسة ماربل:" ربما قد فعلوا هذا، فلم أُدرِْ رأسى فى الحال".

"آل دايسون، آل هلينجدون، إستر، جاكسون. أحدهم قاتل. أو بالتأكيد، أنا شخصياً"، أضاف كلماته الأخيرة بعد أن خطرت الفكرة على باله متأخرة.

ابتسمت الآنسة ماربل ابتسامة باهتة.

قال لها:" ولقد تحدث عن القاتل على أنه رجل؟"

"نعم".

"صحيح. هذا ينحى إيفلين هيلنجدون ولاكى و إستر والترز جانبـــاً. لذا فإن قاتلك، على اعتبار أن ما تقولينه صحيح، هو دايسون أو هيلنجدون أو فتاى جاكسون ذو الكلام المعسول".

قالت الآنسة ماربل:"أو أنت".

تجاهل السيد رافيل هذه النقطة الأخيرة.

قال:"لا تقولى أشياءً لتثيرى غضبى. سأقول لك أول أمر خطر على بالى، والذى لم يخطر على بالك من قبل. لو أن القاتل هو أحد هؤلاء الثلاثة، فلماذا لم يتعرف عليه بلجراف العجوز من قبل؟ انسى هذا الموضوع. لقد ظلوا جالسين وجههم فى وجه بعضهم فى الأسبوعين الأخيرين. هذا لا يبدو صحيحاً".

قالت الآنسة ماربل:" أعتقد أن هذا يبدو صحيحاً".

"حسناً، قولى كيف".

"كما تعلم، فإنه فى قصة الرائد بلجراف لم ير الرجل شخصياً، ولو لمرة واحدة.

لقد كانت تلك قصة قصها له طبيب، وأعطاه الطبيب الصورة كنوع من الفضول. ربما أن الرائد بلجراف قد نظر إلى الصورة بتمعن فى هذا الوقت، ولكن بعد هذا ظلت الصورة فى محفظته كتذكار. ربما كان يخرجها أحياناً ليريها لشخص ما كان يحكى له الحكاية. هناك شىء آخر يا سيد رافيل، نحن لا نعلم منذ متى حدث هذا الأمر. فهو لم يعطنى أية إشارة عن هذا عندما كان يحكى لى الحكاية. أعنى أنه ربما كان يحكى تلك الحكاية للناس لسنوات. خمس سنوات عشر سنوات أو ربما أكثر من هذا؛ فقصص النمور تلك على سبيل المثال ترجع إلى حوالى عشرين عاماً".

قال السيد رافيل:" بالطبع هى كذلك!".

"لذا لا أعتقد، للحظة، أن الرائد بلجراف كان بإمكانه أن يتعرف على الوجه الموجود فى الصورة لو مر الرجل من أمامه مروراً عابراً. ما أعتقد أنه حدث، ما أنا متأكدة من أنه حدث، هو أنه فيما كان يقص هذه الحكاية أخذ يبحث عن الصورة وأخرجها، ثم نظر إليها بتمعن وتعرف على الوجه ثم نظر لأعلى ليرى نفس الوجه، أو وجهاً آخر شديد الشبه، قادماً نحوه من مسافة حوالى عشرة أو اثنى عشر قدماً".

قال السيد رافيل باهتمام:" نعم، نعم، هذا ممكن".

قالت الآنسة ماربل:" ثم بُهت، وأعادها إلى محفظته، وبدأ فى الحديث بصوت عال فى موضوع آخر".

قال السيد رافيل بخبث:" من غير الممكن أن يكون متأكداً".

قالت الآنسة ماربل:" لا، لا يمكن أن يكون متأكدا. ولكن بالتأكيد ربما تفحص الصورة بعد هذا ونظر إلى الرجل وحاول أن يحدد فى عقله ما إذا كان هذا مجرد شبه أو أنه هو الشخص الحقيقى".

فكر السيد رافيل ملياً لدقيقة أو لدقيقتين، ثم هز رأسه قائلاً:

"يوجد خطأ هنا. إن الباعث غير ملائم، غير ملائم على الإطلاق. لقد كان يتحدث إليك بصوت عال، أليس كذلك؟"

قالت الآنسة ماربل:" نعم، بصوت عال للغاية. لقد كان يفعل هذا دائماً".

"هذا صحيح. نعم، لقد كان يصيح. إذن أياً كان الشخص الذى يقترب، فإنه قد سمع ما قاله، أليس كذلك؟".

"أنا متأكدة من أنك كنت ستسمع ما يقوله إذا كنت على بعد مناسب".

هز السيد رافيل رأسه مرة أخرى. وقال:" إن ذلك خيالى ومستبعد للغاية، ويمكن أن يُضحك أى شخص من هذه القصة. فها هو مغفل عجوز يحكى قصة عن قصة أخرى حكاها لهَ شخص آخر، ويجعل شخصاً آخر يرى صورة ما، وكل هذا يدور حول جريمة

قتل حدثت منذ سنوات مضت! أوعلى أى حال، منذ عام أو عامين. كيف يمكن أن يُقلِق هذا الرجل المتهم؟ لا يوجد دليل، فقط بعض الإشاعات. قصة قالها شخص لآخر ثم نقلَها لنا. كان المتهم يعترف بوجود تشابه بينه وبين من فى الصورة، وقد كان من الممكن أن يقول ضاحكاً: "أوه نعم، أنا بالفعل أشبه هذا الشخص!"ولن يعير أى شخص اهتمام لما يقوله الرائد بلجراف. لا تقولى لى هذا، لأننى لن أصدقه. لا، إن المتهم، إن كان رجلاً، ليس عنده شىء ليخاف منه أى شىء مهما كان إنه نوع من الاتهامات التى يمكن أن يتخلص منها بالضحك. ما الذى يدفعه إلى أن يقدم على قتل الرائد بلجراف العجوز؟ إن هذا غير صحيح على الإطلاق، ويجب أن تعلمى هذا".

قالت الآنسة ماربل:" أعلم هذا، وأتفق معك للغاية. قلقة للغاية لدرجة أننى لم أستطع أن أنام الليلة الماضية".

حملق بها السيد رافيل. ثم قال بهدوء:" قولى لى ما يدور فى رأسك".

قالت الآنسة ماربل بتردد:" من الممكن أن أكون مخطئة كلية".

قال السيد رافيل بفظاظته المعهودة:" من المحتمل أن تكونى كذلك، ولكن على كل حال دعينا نعرف ما فكرت فيه فى الساعات المتأخرة من الليل".

"من الممكن أن يكون هناك دافع قوى لو ـ"

"لو ماذا؟"

"لو كان سيحدث قريباً جداً حادثة قتل أخرى".

حملق بها السيد رافيل. حاول أن يرفع نفسه قليلاً على كرسيه.

قال:"وضحى لى هذا".

تكلمت الآنسة ماربل بسرعة، أو بالأحرى بدون ترابط وتوردت وجنتاها وهى تقول:" لا أعرف كيف أشرح لك، ولكن على اعتبار أنه كان هناك مخطط للقتل. لو تتذكر، لقد كانت تلك الحكاية التى رواها لى الرائد بلجراف عن رجل ماتت زوجته فى ظروف غامضة. ثم، بعد فترة حدثت جريمة بنفس الملابسات بالضبط. رجل يحمل اسماً آخر ماتت زوجته تقريباً بنفس الطريقة، والطبيب الذى كان يروى القصة تعرف على الرجل وأدرك أنه هو نفس الشخص، مع أنه قد غير اسمه. حسناً، إن الأمر يبدو وكأن هذا القاتل من نوع القتلة الذين يعتادون على طريقة واحدة للقتل؟ أليس كذلك؟"

" أتعنين مثل سميث فى قصة "عرائس فى حوض الاستحمام"، مثل هذا النوع. نعم أعتقد هذا".

قالت الآنسة ماربل:"على حسب ما فهمت مما سمعته وقرأته، فإن الرجل الذى يفعل

مثل هذا الأمر المؤذى ويهرب بفعلته فى المرة الأولى تزداد ثقته، ويتجرأ على القيام بالمزيد، فهو يعتقد أن الأمر سهل، يعتقد أنه بارع. وبالتالى يكررها. وفى النهاية كما تقول مثل سميث وجرائم قتله يصبح الأمر عادة، كل مرة فى مكان مختلف، وكل مرة يغير الرجل اسمه، ولكن الجرائم تتشابه كثيراً. هكذا يبدو إلىّ الأمر، على الرغم أنه من الممكن أن أكون مخطئة للغاية ـ"

قال السيد رافيل بمكر:" ولكنك لا تعتقدين أنك مخطئة، أليس كذلك؟".

استمرت الآنسة ماربل فى حديثها بدون الإجابة عليه:" هذا إذا كان الأمر كما نقول، وإذا كان هذا الشخص لديه أسباب لإتمام القتل هنا، للتخلص من زوجة أخرى، على سبيل المثال، وإذا كانت هذه هى الجريمة الثالثة أو الرابعة، إذن ستكون قصة الرائد بلجراف قد أحدثت فارقاً؛ لأن القاتل لم يتحمل أن تحوم حوله الشبهات من خلال قصة الرائد بلجراف. لو تتذكر، تلك كانت نفس الطريقة التى تم بها القبض على سميث. جذبت ملابسات الجريمة انتباه شخص ما قارنها بتقرير صحفى لقضية أخرى. إذن أنت تعلم أنه إذا كان قد فكر هذا الشخص الشرير فى جريمة وخطط لها وكان على وشك أن يقوم بها، فلن يتحمل أن يترك الرائد بلجراف يتحدث عن تلك الجريمة ويجعل الناس يرون الصورة".

توقفت عن الحديث ونظرت إلى السيد رافيل باهتمام ثم قالت:

"لذا، كما تعلم، اضطر أن يقوم بشىء بأسرع ما يمكن".

تكلم السيد رافيل فى النهاية قائلا:" فى الواقع، فى نفس الليلة، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل:"نعم".

قال السيد رافيل:"إنه عمل سريع، ولكن يمكن القيام به. يضع الأقراص فى غرفة بلجراف، ينشر إشاعة ضغط الدم بين الناس مع إضافة بضعة أقراص من عقارنا ذلك إلى مشروبه، أليس كذلك؟".

"نعم ولكن انتهى كل هذا لا داعى لأن نقلق منه. ما يجب أن تفكر فيه هو المستقبل. فالآن قد مات الرائد بلجراف وتم تدمير الصورة، وسيستكمل هذا الرجل جريمته كما كان مخططاً".

أصدر السيد رافيل صفيراً.

ثم قال:" لقد توصلت إلى كل خيوط اللغز، أليس كذلك؟".

أومأت الآنسة ماربل وقالت بصوت جامد للغاية، بصوت صارم أقرب ما يكون إلى الديكتاتورية:"وعلينا أن نوقفه، عليك أن توقفه يا سيد رافيل".

قال السيد رافيل مندهشاً:"أنا؟ لماذا؟".

قالت الآنسة ماربل بهدوء:"لأنك غنى ومهم، سوف يهتم الناس بما تقول أو تقترح. لن يستمعوا إلىّ للحظة. سيقولون إننى مجرد سيدة عجوز تتوهم أشياء".

قال السيد رافيل:"سيصبحون أكثر غباءً إذا استمعوا إليك. من الواجب علىّ أن أقول إنه على الرغم من أنه لا أحد يعتقد أنك تحملين عقلاً داخل رأسك ليستمعوا إلى حديثك المعتاد، إلا أنك فى الواقع تمتلكين عقلاً منطقياً. القليل جداً من النساء لديهن عقل منطقى". ثم حرك نفسه بصورة غير مريحة على كرسيه. ثم قال:" أين إستر أو جاكسون بحق الجحيم؟ أريد أن أعتدل على الكرسى. لا، لا تستطيعين القيام بهذا. لست قوية بصورة كافية. لا أعرف ماذا حل بهم ليتركونى بمفردى هكذا".

قالت الآنسة ماربل:"سأذهب لأحضرهم لك".

"لا، لا تذهبى. ستبقين هنا ستنهين هذا الأمر. أىٌّ منهم المجرم؟ جريج الفظيع؟ أم إدوارد هيلنجدون الهادئ، أم فتاى جاكسون؟ إنه واحد من هؤلاء الثلاثة، أليس كذلك؟".

الفصل السابع عشر

السيد رافيل يتولى زمام الأمور

قالت الآنسة ماربل:"لا أعلم".

"ماذا تعنين؟ ما الذى كنت تتحدثين عنه فى العشرين دقيقة الأخيرة؟"

"لقد بدا لى أننى ربما كنت مخطئة".

حملق بها السيد رافيل ثم قال بازدراء:"يا لك من امرأة ساذجة! لقد بدوت متأكدة للغاية من نفسك".

قالت الآنسة ماربل:" أوه، أنا متأكدة بشأن جريمة القتل. ولكنى لست متأكدة بشأن القاتل. كما تعلم لقد وجدت أنه كان لدى الرائد بلجراف الكثير من القصص لقد قلت لى بنفسك إنه روى لك قصة عن امرأة تُدْعى لوكريزيا بورجيا".

"لقد قام بهذا فعلاً. ولكن نوعية تلك القصة كانت مختلفة تماماً".

"أعلم هذا. وقالت السيدة والترز إنه قص عليها حكاية عن شخص مات مختنقاً فى فرن غاز ـ".

قال لها:" لكن القصة التى قالها لك ـ"

سمحت الآنسة ماربل لنفسها أن تقاطع الحديث وهو شىء نادراً ما كان يحدث للسيد رافيل فتحدثت بجدية شديدة وعدم ترابط بسيط.

قالت:" ألا تستطيع أن ترى من الصعب للغاية أن نكون متأكدين. الفكرة هى أن المرء منا فى الكثير من الأحيان لا ينصت. اسأل السيدة والترز لقد قالت نفس الشىء أنت تستمع فى البداية ثم يتحول انتباهك ويهيم عقلك بعيداً، وتجد أنه فاتَكَ بعض مما قيل، إننى أتسائل عما لو كان من الممكن أن تكون هناك فجوة فجوة صغيرة للغاية بين القصة التى قالها لى عن ذاك الرجل وبين اللحظة التى أخرج فيها محفظته وقال ـ" أترغبين فى رؤية صورة قاتل".

قال السيد رافيل:"ولكنك اعتقدت أنها كانت صورة الرجل الذى كان يتحدث عنه؟"

" اعتقدت ذلك نعم. لم يبد لى أبداً أنها لم تكن كذلك. ولكن الآن كيف أتأكد؟"

نظر إليها السيد رافيل بعمق...

ثم قال:" إن مشكلتك هى أنك يقظة الضمير. خطأ فظيع اعقدى عزمك ولا تترددى، إنك لم تترددى فى البداية، وإذا أردت أن تعرفى رأيى، فإننى سأقول لك إنه أثناء حديثك مع أخت رجل الدين تلك والباقين، فإن هناك أمرا ما سبب لك التشويش والحيرة".

قالت:"ربما يكون كلامك صحيحاً".

"حسناً، دعينا من ذلك للحظة. دعينا نعد إلى ما بدأت به، وذلك لأن حكم المرء يكون صائباً تسع مرات من بين عشرة أو هذا ما اكتشفته على أى حال. والآن لدينا ثلاثة مشتبه فيهم، دعينا نفحص كل واحد منهم وندرسه بإمعان. هل تفضلين البدء بأحد منهم على وجه الخصوص؟".

قالت الآنسة ماربل:" فى الحقيقة، إن الثلاثة لا يبدون كمجرمين على الإطلاق".

قال السيد رافيل:" دعينا ندرس جريج فى البداية، لا أطيق هذا الفتى. ولكن هذا لا يجعل منه قاتلاً. ولكن مازالت هناك نقطة أو نقطتان ضده. إنه يملك حبوب الضغط تلك. وفى متناول يده استعمالها بمنتهى البساطة".

اعترضت الآنسة ماربل قائلة:" هذا يبدو واضحاً للغاية، أليس كذلك؟"

قال السيد رافيل:" لا أعلم إن كان الأمر يبدو هكذا. فرغم كل شىء كان الهدف الأساسى هو القيام بشىء بسرعة، وكانت لديه الأقراص. لم يأخذ وقتاً طويلاً فى البحث عن أقراص يمتلكها شخص آخر. دعينا نقل إنه جريج. حسناً. لو أراد أن يبعد زوجته العزيزة لاكى من طريقه (أقول إنه معه الحق فى ذلك، فى الواقع أنا متعاطف معه). ولكننى لا أرى، حقيقة، دافعاً وراء هذا. فهو غنى. فقد ورث مالاً عن زوجته الأولى، وحصل من هذا الميراث على مبالغ هائلة. وبهذا الشكل؛ من الذى يبدو مؤهلاً لأن يكون قاتلاً للزوجات. ولكن هذا الأمر انتهى. لقد تخلص من هذا كله دون عواقب. ولكن لاكى كانت إحدى أقرباء زوجته الفقراء. وهى لا تمتلك المال، لذا فإذا أراد التخلص منها فإن هذا سيكون من أجل أن يتزوج امرأة أخرى. هل سمعت أى ثرثرة عن هذا الأمر؟"

هزت الآنسة ماربل رأسها وقالت:

"لا، لم أسمع شيئاً ولكنه يتعامل مع كل النساء بأسلوب مهذب للغاية".

"حسناً، هذا شىء آخر، طريقة تقليدية لتبرير هذا الأمر. حسناً، إنه زير نساء، يغازل النساء ويحوم حولهن. هذا ليس كافياً لاتهامه! نريد أكثر من هذا. دعينا نر إدوارد هيلنجدون. وهو شخص مغمور لا نعلم عنه أى شىء".

عرضت الآنسة ماربل رأيها قائلة:" إنه ليس رجلاً سعيداً على ما أعتقد".

نظر السيد رافيل إليها مفكراً، ثم قال:

"هل تعتقدين أن القاتل يجب أن يكون رجلاً سعيداً؟"

سعلت الآنسة ماربل، ثم قالت:

"حسناً، من منطلق ما سمعته عن القتلة فى حياتى، فإن هذا يكون حالهم".

"أعتقد أن خبرتك ليست كافية".

كانت الآنسة ماربل ستقول له إنه كان مخطئاً فى هذا الافتراض، ولكنها امتنعت عن ذلك؛ لأن الرجال لا يحبون أن يعترض أحد على آرائهم.

قال السيد رافيل:" أنا عن نفسى أرجح أنه هيلنجدون. أعتقد أن هناك شيئاً غريباً يحدث بينه وبين زوجته. ألم تلاحظى هذا أبداً؟"

قالت الآنسة ماربل:" نعم، لقد لاحظت هذا بالتأكيد، فتعاملهما معاً يبدو مثالياً بين الناس، ولكن هذا شىء متوقع".

قال السيد رافيل:" من المحتمل أنك تعرفين أكثر عن هذا النوع من الناس أكثر مما أعلم. حسناً، كل شىء يبدو على ما يرام ولكن هناك احتمالية أن يكون إدوارد هيلنجدون يفكر فى التخلص من إيفلين هيلنجدون على طريقة الرجل النبيل. ألا تتفقين معى؟".

قالت الآنسة ماربل:" لو أن الأمر كذلك، فلا بد من وجود امرأة أخرى".

هزت الآنسة ماربل رأسها بعدم رضا ثم قالت:

"لا أستطيع التوقف عن الإحساس حقيقة بأن الأمر ليس سهلاً لهذه الدرجة".

"حسناً من سننظر فى أمره بعد ذلك، جاكسون؟ أرجوك أخرجينى من هذا الأمر".

"ولماذا أخرجك من هذا الموضوع يا سيد رافيل؟".

"لأنك إذا أردت مناقشة احتمالات كونى قاتلا فسوف تكونين مضطرة إلى أن تناقشيها مع شخص آخر. والتحدث معى فى هذا الأمر سيكون مضيعة للوقت. وعلى كل حال؛ هل ترين أننى أليق بهذا الدور؟ فأنا عديم النفع، يضعوننى على السرير مثل الدمية، يلبسوننى، يدفعون كرسىّ المتحرك، يتبادلون الأدوار مع بعضهم البعض ليصحبونى للتمشية. لكل ذلك، فما هى احتمالات أن أذهب وأقتل شخصا ما؟"

قالت الآنسة ماربل بقوة:" هى ذات الاحتمالات لدى أى شخص آخر".

"وكيف اكتشفت ذلك؟".

قالت:"حسناً، أعتقد أنك تتفق معى فى أنك تمتلك عقلاً ذكياً، أليس كذلك؟"

صاح السيد رافيل قائلاً:" بالتأكيد أمتلك عقلاً ذكياً. وأتمتع بأكبر قدر من الأفكار الذكية التى تفوق ما لدى أى شخص آخر فى هذا المكان".

استكملت الآنسة ماربل حديثها قائلة:" وكونك تمتلك قدرات عقلية هائلة هو ما يمكنك من التغلب على مصاعبك الجسدية لتصير قاتلاً".

قال لها:"ولكن هذا الأمر يتطلب كثيراً من الجهد".

قالت الآنسة ماربل:" نعم. سيتطلب الأمر مزيداً من الجهد. ولكن أعتقد يا سيد رافيل أنك سوف تستمتع بهذا".

حملق فيها السيد رافيل لفترة طويلة ثم ضحك فجأة. ثم قال: "يا لكِ من امرأة جريئة! لست المرأة العجوز الرقيقة التى ظننتك إياها، أليس كذلك؟ إذنَ، تعتقدين حقاً أننى قاتل؟".

قال الآنسة ماربل:" لا، لا أعتقد هذا".

"ولماذا؟".

"حسناً، إننى أعتقد أنك لن تقدم على هذا الفعل وهذا لأنك بالفعل تمتلك مواهب عقليه كبيرة. فبهذا الذكاء يمكنك أن تحصل على معظم الأشياء التى تريدها بدون الالتجاء إلى القتل. إن القتل غباء".

قال:" وعلى أى حال، من هذا الذى أريد أن أقتله؟".

قالت الآنسة ماربل:"سيكون هذا السؤال مهماً للغاية، ولكنى لم أحصل حتى الآن على شرف التحدث معك بصورة كافية لاستنباط نظرية حول هذا الأمر".

اتسعت ابتسامة السيد رافيل.

ثم قال:" إن الحديث معك ربما يكون خطيراً".

قالت الآنسة ماربل:" إن المحادثات دائماً ما تكون خطيرة، إذا كان عندك شىء تخفيه".

"ربما يكون كلامكِ صحيحاً. دعينا نتحدث عن جاكسون. ما رأيك فى جاكسون؟"

"من الصعب أن أقول رأيى، فلم أحظ فى الحقيقة بأية فرصة للحديث معه".

"إذن فأنت لم تكوّنى أية وجهة نظر عن الموضوع؟"

قالت الآنسة ماربل متأملة:" إنه يذكرنى قليلاً بشاب يعمل لدى كاتب المدينة

والذى يقع مكتبه بالقرب من بيتى. هذا الفتى يدعى جوناس بارى".

سأل السيد رافيل قائلاً:" وماذا؟" ثم توقف.

قالت الآنسة ماربل:" لم يكن المرء يشعر إزاءه بالراحة التامة".

"وأنا لا أجد جاكسون مريحاً كذلك. ولكنه يناسبنى جداً. إنه ممتاز فى أداء عمله، ولا يمانع فى أن يسبه أحد. يعرف أننى أدفع له الكثير، وبالتالى يتحمل هذه الأمور. لم أستخدمه فى مهمة تحتاج للثقة، ولكنى لست مضطراً إلى أن أثق فيه. ربما يكون ماضيه خالياً من الخطايا، أو ربما أنه ليس كذلك. لقد تحققت من ماضيه ووجدته خالياً من أى شبهات، ولكننى مع ذلك آخذ حذرى. ولحسن الحظ، أننى لست بالرجل الذى يحتفظ بأسرار مريبة، لذلك فأنا لست عرضة للابتزاز".

قالت الآنسة ماربل باهتمام:" لا تحتفظ بأسرار؟ بالتأكيد يا سيد رافيل لديك أسرار عملك، أليس كذلك؟".

"نعم، ولكنها ليست فى الأماكن التى يمكن أن يقع نظر جاكسون عليها. يمكن للمرء أن يقول إن جاكسون شخص له نزوات، ولكنى فى الحقيقة لا أراه فى صورة القاتل. أستطيع أن أقول إن هذا لم يكن أسلوبه على الإطلاق".

توقف عن الكلام لدقيقة، ثم قال فجأة:" هل تعرفين، إذا عاد المرء بذاكرته إلى الوراء وفكر ملياً فى كل هذه الأمور الغريبة، الرائد بلجراف وقصصه التى تدعو للسخرية، فسوف يجد أنه قد فهم الموضوع بشكل خاطىء. فأنا الشخص الذى كان يجب أن يقتل".

نظرت الآنسة ماربل إليه بدهشة.

وضح السيد رافيل ما ذكره قائلاً:" دعينا نضع الأمور فى نصابها. من الذى يكون الضحية فى قصص القتل؟رجال كبار فى السن معهم الكثير من الأموال".

قالت الآنسة ماربل:" والعديد من الناس لديهم سبب جيد لإزاحته من الطريق ليحصلوا على هذا المال. أليس هذا أيضاً؟".

قال السيد رافيل:" حسناً. أستطيع أن أذكر لكِ أربعة أو خمسة رجال لن ينخرطوا فى البكاء لو قرءوا نعيى فى جريدة التايمز، ولكنهم غير مستعدين ليبذل الجهد لكى يتسببوا فى موتى. فلماذا، وأنا أنتظر الموت كل يوم؟ فى الحقيقة، إن الدهشة تملأ الجميع لأننى مازلت على قيد الحياة، إن الأطباء أيضاً مندهشون".

قالت الآنسة ماربل:" بالتأكيد، لديك رغبة عظيمة فى الحياة".

قال السيد رافيل:" أظن أنك تعتقدين أن هذا غريب".

هزت الآنسة ماربل رأسها نفيا، ثم قالت:

"لا، لا، أظن أن هذا طبيعى للغاية. تستحق الحياة أن نحياها، تصبح أكثر جاذبية عندما تكون قريباً من أن تخسرها. ربما لا يجب أن يكون الأمر هكذا، ولكنه كذلك. عندما تكون شاباً وقوياً ومفعماً بالصحة وتمتد الحياة أمام ناظريك، فى هذا الوقت لا تكون الحياة مهمة على الإطلاق. إن الشباب هم من يقدمون على الانتحار بسهولة، بسبب اليأس من الحب، وفى بعض الأحيان بسبب مجرد القلق والحيرة. ولكن كبار السن هم من يعرفون قيمة الحياة ومدى متعتها".

قال السيد رافيل بسخرية:" يا للعجب. انظرى من يقول هذا، زوج من النعاج الشائخة".

قالت الآنسة ماربل:" ولكن، أليس ما قلته صحيحاً؟".

قال السيد رافيل:"، نعم، إنه صحيح للغاية. ولكن ألا تعتقدين أن كلامى صحيح عندما أقول إنه كان من الواجب أن أكون أنا الضحية؟".

قالت الآنسة ماربل:" إن هذا يعتمد على من لديه دافع كاف ليجعله يستفيد من موتك".

قال السيد رافيل:" فى الحقيقة، لا أحد. فبغض النظر عن المنافسين فى سوق العمل، والذين هم على ثقة تامة من اقتراب أجلى، فإننى لست مغفلاً للدرجة التى تجعلنى أترك كمية كبيرة من المال ليتم توزيعها على أقربائى. فلن يحصلون إلا على الفتات من ثروتى، وذلك بعد أن تأخذ الدولة نصيبها من الأموال. أوه، لا تفكرى فى هذا، لقد استعددت لذلك منذ سنوات مضت. التسويات وصناديق الاستثمار وما إلى ذلك".

"ألن يستفيد جاكسون من موتك على سبيل المثال؟".

قال السيد رافيل بسعادة:" لن يحصل على بنس واحد. فأنا أدفع له ضعف المرتب الذى يمكن أن يتقاضاه من أى شخص أخر. هذا لأنه يجب أن يتحمل مزاجى السيىء، وهو يعلم جيداً أنه سيكون الخاسر عندما أموت".

"والسيدة والترز؟"

"نفس الأمر ينسحب على إستر، إنها فتاة جيدة. سكرتيرة من الدرجة الأولى، وذكية وهادئة الطباع، تتفهم طريقتى ولا تحرك ساكناً إذا تماديت فى إزعاجها، ولا تهتز لها شعرة إذا أسأت إليها. تتصرف مثل مربية مسئولة عن طفل حانق صعب المراس. تضايقنى قليلاً فى بعض الأحيان، ولكل من لا يفعل هذا؟ ليس هناك شىء مميز فيها. إنها امرأة شابة عادية فى العديد من الجوانب، ولكنى لا أستطيع أن أحصل على شخص ما يناسبنى أكثر منها. لقد عانت من العديد من المشكلات فى حياتها. تزوجت رجلاً سىء الخلق. أستطيع أن أقول إنها لا تستطيع تقييم الرجال تقييماً سليماً. بعض النساء لا يستطعن الحكم على الرجال بشكل سليم. يقعن فى حب أى شخص يقول لهن قصة مأساوية عن حياته. ودائماً ما يعتقدن أن كل ما يحتاجه الرجل هو امرأة حنونة

متفهمة. والمرأة منهن تظن أنه بمجرد أن تتزوج برجل من هذا النوع فإنه سوف يكد ويجتهد ويسعى من أجل إسعادها! ولكن، بالتأكيد، هذا النوع من الرجال لا يفعل ذلك أبداً. على كل حال، لحسن الحظ فإن زوجها ذا الطباع السيئة هذا توفى ذات ليلة بعدما تناول الكثير من المشروبات، ومن فرط سكره دهسته حافلة. لدى إستر طفلة تعولها، لذلك عادت لمهنة السكرتارية، ولقد أمضت خمس سنوات معى، ووضحت لها من البداية ألا تنتظر أى شىء منى فى حالة وفاتى. لقد دفعت لها مبلغاً كبيراً من المال منذ البداية، ويزيد راتبها بمقدار الربع كل عام. وعلى الرغم من كون هؤلاء الناس متحضرين و أمناء، إلا أن المرء لا يجب أن يثق فى أحد هذا هو السبب وراء إخبارى لها بأنها لا يجب أن تأمل فى الحصول على شىء عند وفاتى. وفى كل سنة أعيشها ستحصل على مبلغ أكبر من المال. إذا أودعت أغلب هذا المال جانباً فى كل عام وهذا ما أعتقد أنها تفعله ستصبح حالتها متيسرة للغاية عند موتى. لقد جعلت من نفسى مسئولاً عن مصروفات ابنتها المدرسية، ولقد خصصت مبلغاً من المال للفتاة ستحصل عليه عند بلوغها السن القانونية، وبالتالى فإن السيدة إستر والترز تشعر براحة كبيرة حيال هذا الوضع. أما وفاتى، فسوف تسبب لها خسائر مادية هائلة". ثم نظر بحدة للآنسة ماربل وأردف:" إنها تستوعب هذا كله. إنها شديدة الإدراك لهذا الأمر".

سألت الآنسة ماربل قائلة:" هل هى على علاقة بـ جاكسون؟".

نظر إليها السيد رافيل نظرة خاطفة.

ثم قال:" هل لا حظت شيئاً؟ نعم، أعتقد أن جاكسون يحاول التودد إليها، وهو يراقبها أينما ذهبت، وخاصة مؤخراً. إنه شاب وسيم بالتأكيد، ولكنه لم يستطع أن ينجح فى هذا الشأن، وهذا لوجود فرق طبقى بينهما. إنها من طبقة أعلى منه. ليس أعلى كثيراً. فلو كانت من طبقة أعلى منه قليلاً فما كان سيعنى الأمر شيئاً، ولكن الطبقة الدنيا المتوسطة يكون أصحابها محددين للغاية. لقد كانت أمها تعمل مدرسة، ووالدها كان موظفاً فى بنك. لا، لن تجعل من نفسها أضحوكة بسبب جاكسون. أستطيع أن أقول إنه يحاول الحصول على بيضتها الذهبية، ولكن لن يحصل عليها".

قالت الآنسة ماربل:" صه، إنها قادمة الآن!".

نظر الاثنان إلى إستر والترز وهى قادمة بطول ممر الفندق باتجاههم.

قال السيد رافيل:" إنها فتاة جميلة كما تعلمين، ولكنها ليست فاتنة. لا أعلم لماذا، رغم أنها تمتلك كل مقومات الجمال".

تنهدت الآنسة ماربل تنهيدة ستطلقها أية امرأة على الرغم من كبر سنها على ما يطلق عليه الفرص الضائعة. ما ينقص إستر والتزر له العديد من المسميات التى جاءت على أسماع الآنسة ماربل:"ليست جذابة بما فيه الكفاية"،" ليست مثيرة"، "لا يوجد فى عينيها ما يجذب المرء إليها". ورغم أنها تمتلك شعراً أشقر وعيوناً عسلية وبشرة جيدة

وجسداً متناسقاً وابتسامة مشرقة، إلا أنها تفتقد الشىء الذى يجعل أى رجل يلتفت إليها عندما تمر بجانبه فى أى مكان.

قالت الآنسة ماربل خافضة صوتها:" يجب أن تتزوج مرة أخرى".

قال السيد رافيل:" بالتأكيد يجب أن تقوم بهذا. ستكون زوجة جيدة".

انضمت إليهم إستر والترز، وقال السيد رافيل بصوت متكلف:

"أخيراً أنت هنا الآن! ما الذى أخرك؟".

قالت إستر:" يبدو أن الجميع يبعثون ببرقيات هذا الصباح. ويحاول الناس أن يغادروا الفندق".

"يريدون أن يغادروا؟ هل هذا بسبب جريمة القتل تلك؟"

"أعتقد هذا. إن تيم كندال المسكين قلق لدرجة الموت".

"أفترض أنه كذلك. يجب أن أقول إن هذين الشابين حظهما عاثر".

"أعلم هذا. أظن أن إدارة هذا المكان يعد مشروعاً ضخما بالنسبة لهما. لقد كانا مهتمين بتحقيق النجاح فى هذا المشروع. لقد كانا يبليان بلاءً حسناً، أيضاً".

اتفق معها السيد رافيل قائلاً:" كانا يقومان بعملهما على أكمل وجه. إنه يعمل بجد متناه. وهى لطيفة للغاية وجذابة أيضاً. كلاهما يعمل مثل الزنوج، على الرغم من أن استخدام مصطلح مثل هذا يعد شيئاً غريباً هنا، ورغم أن الزنوج لا يعملون حتى الموت على الإطلاق، هذا على حسب ما أرى. كنت أرى فتى يتسلق شجرة جوز الهند ليحصل على إفطاره، ثم يذهب لينام لبقية اليوم. حياة جميلة". ثم أضاف قائلاً:" لقد كنا نناقش مسألة القتل هنا".

أجفلت إستر والترز، ثم أدارت رأسها تجاه الآنسة ماربل.

قال السيد رافيل بصراحة:" لقد كنت مخطئاً بالنسبة لما قلته عنها، لم تكن أبداً واحدة من تلك النساء العجائز اللاتى يهوين الثرثرة. ولا يفعلن شيئاً سوى الحياكة والثرثرة. ولكن تلك المرأة تمتلك شيئاً ما. لديها عينان وأذنان، وهى تستعملهما جيداً".

نظرت إستر والتزر للآنسة ماربل نظرة اعتذار، ولكن الآنسة ماربل لم تبد متضايقة.

وضحت إستر قائلة:" أنت تعلمين، بالطبع، أن هذه مجاملة".

قالت الآنسة ماربل:" أتفهم هذا تماماً. أتفهم أيضاً أن السيد رافيل شخص مميز، أو يعتقد أنه كذلك".

سأل السيد رافيل:" ماذا تعنين بقولك مميز؟".

قالت الآنسة ماربل:" أن تصبح فظاً إذا أردت أن تكون كذلك".

قال السيد رافيل مندهشاً:" هل أنا فظ؟ أنا آسف إن كنت قد أسأت إليك".

قالت الآنسة ماربل:" إنك لم تُسىء إلىّ، لقد سمحت لك بتخطى كل الحدود فى الكلام".

"لا تكونى سخيفة. إستر، أحضرى كرسياً وضعيه هنا. ربما يمكنك المساعدة".

سارت إستر بضع خطوات إلى شرفة المنزل وأحضرت كرسياً خفيفاً مصنوعاً من القش.

قال السيد رافيل:" سنستمر فى مناقشتنا. لقد بدأنا المناقشة بالراحل بلجراف العجوز وقصصه الخالدة".

تنهدت إستر قائلة:" يا لهذا المسكين. أستطيع أن أقول إننى كنت دوماً أهرب منه أينما استطعت".

قال السيد رافيل،" كانت الآنسة ماربل أكثر منك صبراً. قولى لى يا إستر، هل ذكر لك قصة عن قاتل من قبل؟".

قالت إستر:"نعم. مرات عديدة".

"ماذا كانت بالتحديد؟ دعينا نستمع إلى ما تتذكرينه".

توقفت إستر عن الحديث لبرهة لتفكر، ثم قالت:"حسناً" ثم قالت معتذرة:" إن المشكلة هى أننى لم أكن أنصت بحرص فى الحقيقة. كما تعلم، فقد كانت مثل تلك القصة المروعة عن الأسد الذى واجهه فى روديسيا بلا نهاية. لذا تعودت على عدم الإنصات إلى شىء.

"حسناً، أخبرينا بما تتذكرينه".

"أعتقد أن الأمر نشأ من جريمة قتل كانت قد نشرت فى الصحف. قال الرائد بلجراف أنه قد مر بتجربة لم يمر بها كل الناس. لقد قابل قاتلا فى الحقيقة وجهاً لوجه".

قال السيد رافيل متعجباً:" قابله؟ هل استخدم فعلاً كلمة" قابلت"؟".

بدت إستر مضطربة.

ثم قالت بشك:" أعتقد ذلك، أو ربما قال يمكننى أن أريك قاتلا".

"حسناً، قال أياً منهما؟ هناك اختلاف بينهما".

"أنا لست متأكدة فعلاً... أنه قال إنه سيرينى صورة شخص ما".

"هذا أفضل".

"ثم تحدث كثيراً عن لوكريزيا بورجيا".

"لا تهتمى بأمر لوكريزيا بورجيا. نعلم كل شىء عنها".

قالت إستر:" لقد تحدث عن من يقومون بتسميم الآخرين، وأن لوكريزيا كانت جميلة للغاية وشعرها أحمر. قال إنه ربما يكون هناك العديد من النساء اللاتى يقتلن بالسم حولنا فى العالم أكثر مما يعلم أى شخص".

قالت الآنسة ماربل:" أخشى أن هذا صحيح".

"وتحدث عن كون السم سلاحاً أنثوياً".

قال السيد رافيل:" يبدو وكأنه ابتعد عن الموضوع قليلاً".

"حسناً، بالتأكيد كان يبتعد كثيراً عن موضوعات قصصه. وكان دوماً ما يتعود المرء أن يتوقف عن الإنصات ويردد عبارات من قبيل:" نعم" أو " أهذا حقيقى؟" أو "هذا لا يصدق".

"ماذا عن تلك الصورة التى كان سيريك إياها؟"

"لا أتذكر. ربما كان شيئاً ما رآه فى الصحيفة ـــ"

"لم يُرِك الصورة فعلاً؟"

هزت رأسها ثم قالت:"صورة؟ لا أنا متأكدة من هذا. قال إنها كانت امرأة جميلة من الصعب أن يراها المرء قاتلة".

"إنها؟".

قالت الآنسة ماربل متعجبة:" ها أنت ذى، تتحدثين عن أمور مربكة للغاية".

قال السيد رافيل:" هل كان يتحدث عن امرأة؟".

"نعم".

"هل كانت الصورة لامرأة؟"

"نعم".

"هذا لا يمكن!"

قالت إستر مصممة:" ولكن هذا ما كان. لقد قال "إنها هنا فى الجزيرة. سوف أريكِ إياها ثم سأخبرك عن القصة بأسرها".

تلفظ السيد رافيل بكلمات نابية. ولم يُجَمِل ما قاله فى حق الرائد بلجراف الراحل، ثم قال:" الحقيقة المحتملة هى أن أياً من كَلماته لم تكن تحمل فى طياتها ذرة من الحقيقة!".

تمتمت الآنسة ماربل:" لقد بدأت أحتار".

قال السيد رافيل:" ها نحن أولاء. بدأ هذا العجوز بالحديث معك عن قصص الصيد، وقتل الخنازير واصطياد النمور واصطياد الأفيال، والهروب من الأسود. من الممكن أن تكون واحدة أو اثنتان منهما قد حدثتا فى الواقع، ولكن أغلب هذه القصص كان خيالياً، والباقى منها حدث لشخص آخر! ثم انتقل فى حديثه إلى موضوع القتل، وذكر قصة عن جريمة قتل ليغطى قصة أخرى عن جريمة قتل. وعلاوة على ذلك كان يحكى كل شىء وكأن هذه الجرائم قد حدثت له. أعتقد أن معظم ما كان يقول كان مجرد خليط مما كان يقرأه فى الجرائد أو يشاهده فى التلفاز".

استدار تجاه إستر متهماً إياها قائلاً:" لقد اعترفت بأنك لم تكونى تنصتين بحرص. ربما قد أخطأت فى فهم ما كان يقوله".

قالت إستر بتصميم:" أنا متأكدة من أنه كان يتحدث عن امرأة، لأننى تساءلت بالتأكيد عمن كانت تلك المرأة".

سألتها الآنسة ماربل قائلة:" من كانت هى فى اعتقادك؟"

توردت وجنتى إستر وبدت محرجة إلى حداً ما ثم قالت:

"أوه، لم أعنى لم أحب أن ـ".

لم تصر الآنسة ماربل على ما قالته. اعتقدت ماربل أن وجود السيد رافيل يمنع إستر والتزر من الإفصاح عن افتراضاتها حول هذا الأمر ولكن يمكنها أن تعرف هذا كله فى محادثة دافئة بين امرأتين. وكان هناك بالتأكيد احتمال أن تكون إستر والترز كاذبة. بالتأكيد، لم تقل الآنسة ماربل هذا صراحة. لقد سجلت هذا الاحتمال ضمن احتمالاتها، ولكنها لم تنح بشدة للاعتقاد فى صحته، لا لسبب إلا لأنها لم تصدق أن إستر كاذبة على الرغم من أن المرء لا يعلم أبداً، والسبب الآخر لم تستطع أن ترى هدفاً محدداً لتلك الكذبة.

استدار السيد رافيل محدثاً الآنسة ماربل:" ولكنك تقولين تقولين أنه حكى لك قصة عن قاتل ما، ثم قال أنه يحمل صورته التى كان وشك أن يُرِيَكِ إياها".

"أعتقد ذلك، نعم".

"تعتقدين ذلك؟ لقد كنت متأكدة بصورة كافية فى البداية!".

أجابت الآنسة ماربل بشجاعة:" من الصعب للغاية أن تعيد محادثة وأن تكون دقيقاً

للغاية فيما قاله الطرف الأخر. دائماً ما يتجه المرء ناحية معنى الكلام. ثم تقوم بعد هذا بوضع الكلام على ألسنتهم. لقد حكى لى الرائد بلجراف القصة، نعم، قال لى أن الرجل الذى قص عليه تلك الحكاية طبيب، وأنه أراه صورة القاتل، ولكن لأكون أمينة فى كلامى يجب أن أعترف بأن ما قاله لى فى الحقيقة كان" هل ترغبين فى رؤية صورة قاتل؟" ومن الطبيعى أننى اعتقدت أنها كانت نفس الصورة التى كان يتحدث عنها، وأنها كانت صورة نفس القاتل. ولكن يجب أن أعترف أن هذا محتمل، نعم، هو احتمال بعيد، ولكنه مازال احتمالاً وذلك بالربط بين الأفكار فى عقله والتى قفزت من صورة قد رآها فى الماضى، وبين صورة التقطها مؤخراً لشخص هنا كان يعتقد أنه قاتل".

قال السيد رافيل بازدراء وسخط:" يا للنساء! كلكن متشابهات، كلكن بلا استثناء! لا تتسمن بالدقة أبداً. لستن متأكدات دائماً من الأمر. والآن،" أضاف قائلاً بحنق:" إلى أين يؤدى بنا هذا، إلى إيفلين هيلنجدن أم لاكى زوجة جريج؟كل شيء مشوش".

وهنا تناهى إلى مسامعهم صوت سعال ينم عن التنبيه والاعتذار، كان آرثر جاكسون يقف عند مرفق السيد رافيل. لقد جاء بهدوء تام لدرجة أنه لم يلحظه أحد.

قال جاكسون:" لقد حان ميعاد جلسة التدليك يا سيدى".

تحرك السيد رافيل بانفعال مفاجئ.

"ماذا تعنى بالتسلل هكذا، وإفزاعى بهذا الشكل؟لم أسمعك أبداً".

"أنا آسف للغاية يا سيدى".

"لا أعتقد أننى سآخذ جلسة التدليك، تلك، اليوم. إنها لا تفيدنى بأى شىء".

ملأ وجه جاكسون ابتهاج تمالكه باحتراف ثم قال: "لا يجب أن تقول هذا يا سيدى، سوف تلحظ الفارق إذا ما توقفت عن تلك الجلسات".

ثم أدار جاكسون الكرسى برشاقة.

وقفت الآنسة ماربل، وابتسمت لإستر، ثم ذهبت إلى الشاطئ.

الفصل الثامن عشر

بدون موافقة رجال الدين

1

كان الشاطئ شبه خال هذا الصباح. وكان جريج يسبح بأسلوبه المزعج المعتاد، وكانت لاكى مستلقية على وجهها على الشاطئ. ووضعت الزيت على ظهرها المتلون بلون الشمس لحمايته وارتمى شعرها الأصفر على كتفيها. لم يكن آل هيلنجدون هناك، وكانت سنيورا دى كاسبيرو مستلقية على ظهرها وتتحدث بالأسبانية بسعادة مطلقة إياها من أعماق قلبها يحيطها مجموعة من السادة المهذبين يجلسون فى حضرتها. كان بعض الأطفال الفرنسيين والإيطاليين يلعبون على الشاطئ ويضحكون. كان رجل الدين والآنسة بريسكوت يجلسان على كراسى الشاطىء يشاهدان الموقف. كان رجل الدين مرتدياً قبعته مغطيا بها عينيه، وكان يبدو شبه نائم. وكان هناك كرسى خال بجانب الآنسة بريسكوت فتقدمت الآنسة ماربل ناحيته وجلست عليه.

ثم قالت بتنهيدة عميقة:"أوه، يا إلهى".

قالت الآنسة بريسكوت:"أعلم هذا".

لقد كان هذا تعليقهن على تلك الوفاة العنيفة.

قالت الآنسة ماربل:"هذه الفتاة المسكينة".

قال رجل الدين:"إنه لأمر محزن للغاية، إنه لشىء يرثى له".

قالت الآنسة بريسكوت:" لقد فكرت أنا وجيريمى فى الحقيقة لمرة أو مرتين فى الرحيل. ولكننا تراجعنا عن الفكرة بعد ذلك. لن يكون هذا الأمر عادلاً لآل كندال كما شعرت. فرغم كل شىء، هذا ليس خطأهم فمن الممكن أن يحدث هذا فى أى مكان".

قال جيريمى برزانة:" فى خضم الحياة يوجد الموت".

قالت الآنسة بريسكوت:" من المهم جداً أن يستفيدا من هذا المكان ويحرصا على نجاحه، لقد وضعا فيه كل مدخراتهما".

قالت الآنسة ماربل:" إنها فتاة لطيفة للغاية، ولكنها لا تبدو على ما يرام مؤخراً".

اتفقت الآنسة بريسكوت معها قائلة:" لقد أصبحت عصبية للغاية. من المؤكد أن عائلتها ـ"

ثم هزت رأسها.

قال جيريمى بمعاتبة لطيفة:" فى الحقيقة أعتقد يا جوان أن هناك بعض الأشياء ـ".

قالت الآنسة بريسكوت:" كل الناس يعرفون كل شىء عنها. تعيش عائلتها فى الجزء الذى نعيش فيه من العالم. لها عمة كبيرة فى السن غريبة للغاية وأحد أعمامها سبق له خلع ملابسه كلها فى إحدى محطات قطار الأنفاق أعتقد أنه كان فى جرين بارك".

قال جيريمى رجل الدين:" جوان، هذا شىء لا يجب ذكره مرة أخرى".

قالت الآنسة ماربل وهى تهز رأسها:" إنه أمر محزن للغاية، على الرغم من أننى أعتقد أنه شكل عادى للجنون. أتذكر عندما كنت أعمل فى فرقة الإسعاف الأمريكية، عندما أصيب رجل دين كبير ومحترم للغاية بنفس الاضطراب. اتصلوا بزوجته هاتفياً فأتت فى الحال وصحبته إلى المنزل فى سيارة أجرة ملفوفاً فى بطانية".

قالت الآنسة بريسكوت:

"من المؤكد أن أقرباء مولى من الدرجة الأولى بحالة جيدة. صحيح أنها لم تتوافق مع والدتها أبداً، ولكن مع ذلك هناك فتيات قليلات ممن هن على وفاق مع أمهاتهن هذه الأيام".

قالت الآنسة ماربل، وهى تهز رأسها:" شىء مؤسف، لأنه فى الواقع، تحتاج الفتاة الشابة لمعرفة أمها والاستفادة من خبرتها بالعالم".

قال الآنسة بريسكوت بحماس:" بالضبط. إن مولى كما تعلمين كانت على علاقة بشخص ما شخص غير مناسب على الإطلاق حسبما فهمت".

قالت الآنسة ماربل:" هذا يحدث فى كثير من الأحيان".

"وبالطبع لم توافق عائلتها. لم تخبرهم عن هذا الأمر. لقد عرفوا هذا الأمر من شخص غريب. ومن المؤكد أن أمها قالت إنها يجب أن تحضره لزيارتهم ليتمكنوا من التعرف عليه بشكل أفضل. وأعتقد أن الفتاة لم توافِق على القيام بهذا. لقد قالت إن هذا أمر محرج ومهين بالنسبة له. من المخزى أن يُؤتَى به ليقابل عائلتها ويتم تفحصه، وكأنه، كما قالت، حصان".

تنهدت الآنسة ماربل. ثم تمتمت قائلة:"يحتاج المرء إلى كثير من الكياسة عند

التعامل مع الشباب".

"على كل حال، هذا ما حدث! لقد منعوها من أن تراه".

قالت الآنسة ماربل:" ولكنك لا تستطيع فعل هذا فى هذه الأيام. فالفتيات يعملن ويقابلن الناس، سواء منعتهن أم لا".

استمرت الآنسة بريسكوت فى حديثها قائلة:" ولكن بعد هذا، لحسن الحظ أنها قابلت تيم كندال، وبدأ الرجل الآخر يتلاشى من حياتها. لا أستطيع أن أصف لك مدى ارتياح العائلة بعد ذلك".

قالت الآنسة ماربل:" أتمنى أن يكونوا قد أظهروا لها هذا الأمر بوضوح، فغالباً ما يبعد هذا الأمر الفتيات عن تكوين علاقات مناسبة".

"نعم، بالتأكيد".

تمتمت الآنسة ماربل قائلة:" لقد تذكرت نفسى فى الماضى "ثم عادت بذاكرتها إلى الماضى. تذكرت شاباً كانت قد قابلته فى إحدى الحفلات. بدا الشاب لطيفاً للغاية وكان يبدو مرحاً فى نفس الوقت، كان بوهيمياً إلى حد ما. وعلى غير المتوقع، لاقى ترحيباً حاراً من والدها. فقد كان مناسباً ومقبولاً، ولكن بعد أن جاء لزيارتهم فى المنزل أكثر من مرة، اكتشفت الآنسة ماربل أنه ممل، ممل للغاية.

بدا أن رجل الدين قد انخرط فى سبات عميق هادئ، وتحولت الآنسة ماربل مؤقتاً للموضوع الذى كانت شغوفة باستكماله.

تمتمت قائلة: "بالتأكيد، تعرفين الكثير من هذا المكان. لقد جئت إلى هذا المكان لسنوات عديدة، أليس كذلك؟"

"نعم فلقد أتينا فى السنة الماضية وسنتين قبل ذلك. نحب سانت هونورى بدرجة كبيرة. فدائماً ما تجدين هنا أناساً ودودين. ولا تجدين هؤلاء الأشخاص المتكلفين فاحشى الثراء".

"إذن، أعتقد أنك تعرفين آل هيلنجدون وآل دايسون جيداً؟".

"نعم، أعرفهم جيداً".

سعلت الآنسة ماربل وخفضت صوتها قليلاً. ثم قالت:"لقد حكى لى الرائد بلجراف قصة مثيرة للغاية".

قالت الآنسة بريسكوت:" كان عنده مخزون كبير من الحكايات، أليس كذلك؟ بالتأكيد، فقد سافر لأماكن كثيرة أفريقيا والهند، أعتقد حتى أنه سافر للصين".

قالت الآنسة ماربل:" نعم بالتأكيد. ولكنى لا أعنى تلك القصص. هذه القصة

كانت تحكى عن واحد من هؤلاء الناس الذين ذكرتهم منذ قليل".

قالت الآنسة بريسكوت:" فهمت!". حمل صوتها معنى عند قولها لتلك الكلمة.

"نعم، الآن أتسأل عن ـ" سمحت الآنسة ماربل لعينيها أن تتحركا بلطف ناظرة تجاه الشاطىء، حيثما كانت تتمدد لاكى لتعطى بشرتها الفرصة لكى تكتسب اللون الذهبى. علقت الآنسة ماربل قائلة:" إن تلك المرأة ذات البشرة الذهبية جميلة للغاية. إن لون شعرها يشبه لون شعر مولى كندال، أليس كذلك؟"

قالت الآنسة بريسكوت:" الفرق الوحيد بينهما هو أن لون شعر مولى طبيعى أما لاكى فقد حصلت على هذا اللون من داخل زجاجة!".

اعترض رجل الدين بعد أن استيقظ مرة أخرى على غير المتوقع قائلاً:" بالله عليك يا جوان. ألا تعتقدين أن ما تقولينه هو كلام قاس، لا يجب قوله؟".

قال الآنسة بريسكوت بحدة: " هذه ليست قسوة، إنها مجرد حقيقة".

قال رجل الدين:" إن هذا يبدو لطيفاً جداً بالنسبة لى".

"بالتأكيد. هذا هو السبب الذى جعلها تقوم بهذا. ولكنى أؤكد لك يا عزيزى جيريمى، أن هذا لا يخدع أى امرأة للحظة. أليس كذلك". وجهت كلامها إلى الآنسة ماربل

قالت الآنسة ماربل:" حسناً، أخشى أننى بالتأكيد لست على نفس القدر الذى تحظين به من الخبرة فى هذا الأمر ولكنى للأسف نعم يجب أن أقول إن هذا ليس لوناً طبيعياً بالتأكيد. إن اللون الأصلى يظهر فى الجذور كل خمسة أو ستة أيام ـ". ثم نظرت إلى الآنسة بريسكوت وأومأت كلاهما للأخرى فى اتفاق أنثوى هادئ.

استغرق جيريمى مرة أخرى فى النوم.

تمتمت الآنسة ماربل قائلة:" حكى لى الرائد بلجراف قصة غريبة للغاية، حكى عن حسناً لا أستطيع أن أتذكر بالتحديد. فأنا أصبح صماء فى بعض الأحيان. لقد بدا وكأنه يقول أو يشير إلى شئ ما"، ثم توقفت عن الحديث.

قالت الآنسة بريسكوت:" أعلم ما تقصدينه. لقد كانت هناك العديد من الأحاديث المتناثرة فى وقت ـ"

"هل تقصدين فى هذا الوقت الذى ـ"

"عندما ماتت السيدة دايسون الأولى. لقد كان موتها غير متوقع على الإطلاق. فى الواقع، اعتقد كل الناس أنها كانت مصابة بأمراض وهمية. لذا فعندما حدثت الأزمة وماتت على غير المتوقع، فبالتأكيد تحدث الناس كثيراً".

"لم تكن هناك أية مشكلة فى هذا الوقت؟"

"كان الطبيب محتاراً فى أمرها. لقد كان هذا الطبيب لا يزال شاباً ولم تكن لديه خبرة كافية. لقد كان من هذا النوع من الأطباء الذى يعطى المضادات الحيوية لكل مريض. كما تعلمين، هذا النوع من الناس الذين لا يكترثون بفحص المريض بدقة، أو يزعجون أنفسهم بشأنه. إن مثل هؤلاء الأطباء يقومون فقط بإعطاء المريض نوعا من الأقراص من زجاجة معهم، وإذا لم يتحسن حالهم، يجربون نوعاً آخر من الأقراص. نعم، أعتقد أنه كان محتاراً، ولكن كان يبدو أنها كانت تعانى من متاعب فى المعدة قبل ذلك. على الأقل قال زوجها هذا، ولم يكن هناك أى سبب يدعو للاعتقاد بوجود شىء خاطىء".

"ولكنك اعتقدت شخصياً ـ".

"حسناً، حاولت دوماً أن أبقى عقلى متفتحاً، ولكن المرء يتساءل فى بعض الأحيان قائلاً:"والأشياء المختلفة التى قالها الناس ـ"

وقف جيريمى. وبدا وكأنه يحارب قائلاً:" جوان، لا أحب لا أحب فعلاً أن أستمع إلى هذه الثرثرة السيئة بين الحين والآخر. لقد عارضنا دائماً هذا النوع من الحديث. لا تنظرى بعينيكِ إلى السوء ولا تستمعى إليه ولا تقولى شيئاً سيئاً والأهم من ذلك، ألا تظنى ظن السوء. يجب أن يكون هذا شعار كل البشر".

جلست المرأتان صامتتان. فقد قام جيريمى بتعنيفهما. وتمشياً مع تربيتهما، فقد أذعنتا لنقد الرجل، ولكنهما، داخلياً، كانتا تشعران بالإحباط والإزعاج وعدم الندم. نظرت الآنسة بريسكوت بغضب لأخيها، وأخرجت الآنسة ماربل غزلها ونظرت إليه. وهنا لحسن طالعهما حدث أمر مفاجئ.

صاح صوت صغير:"أبتاه" كانت إحدى الأطفال الفرنسيين الذين كانوا يلعبون على حافة الشاطىء. اقتربت من كرسى جيريمى دون أن يلحظ أحد.

وقالت بصوت يشبه صوت آلة الفلوت:"أبتاه".

"آه، نعم يا عزيزتى؟ هل هناك مشكلة يا صغيرتى؟"

وضحت الطفلة ما حدث. كان هناك صراع حول من سيأخذ العوامة ليسبح بها فى المرة التالية، وأيضاً بعض الأشياء عن السلوك الذى يجب اتباعه عند شاطىء البحر. كان بريسكوت، رجل الدين، مغرماً للغاية بالأطفال، خاصة الفتيات الصغيرات. كان يسعد دائماً بأن يقوم بدور الحكم فى نزاعاتهم. قام من تلقاء نفسه الآن، وسار مع الطفلة حتى وصلا إلى شاطىء البحر. تنهدت كل من الآنسة ماربل والآنسة بريسكوت تنهيدة عميقة واستدارتا بلهفة لتكملا حديثهما.

2

قالت الآنسة بريسكوت:

"إن جيريمى بالتأكيد يعارض النميمة، ولكن لا يمكن للمرء أن يتجاهل ما يقوله الآخرون. وكما أقول كان هناك الكثير من الكلام المتناثر فى هذا الوقت".

استحثتها الآنسة ماربل قائلة:"ماذا حدث؟".

"تلك الفتاة الشابة التى كانت تدعى حينها جريتوركس على ما أعتقد لا أستطيع التذكر الآن، ابنة عم السيدة دايسون كانت تعتنى بها وتعطى لها الأدوية وأشياء من هذا القبيل". سادت لحظة من الصمت. انخفض صوت الآنسة بريسكوت وهى تقول:" وبالتأكيد على ما أعتقد كانت هناك أشياء تحدث بين السيد دايسون والآنسة جريتوركس. لاحظ ذلك العديد من الناس. أعنى أشياء مثل تلك التى يمكن ملاحظتها بسرعة فى مكان كهذا. ثم كانت هناك قصة غريبة عن بعض الأشياء التى أحضرها لها إدوارد هيلنجدون من الصيدلية".

"هل لإدوارد هيلنجدون دخل بالموضوع؟"

"نعم، لقد كان معجباً بها للغاية. لاحظ الناس ذلك. وقد قامت لاكى الآنسة جريتوركس بالتلاعب. ويعترف جريجورى دايسون وإدوارد هيلنجدون، يجب على المرء أن يعترف، أنها كانت دوماً كانت امرأة جذابة".

ردت الآنسة ماربل قائلة:" مع أنها لم تعد شابة كما كانت".

"بالضبط، ولكنها دائماً ما كانت تتجمل وتنزين وتظهر فى أبهى شكل. بالتأكيد، لم تكن تتمتع بنفس الرونق عندما كانت مجرد تلك القريبة الفقيرة. لقد بدت دوماً مخلصة جداً للمريضة. ولكن، لقد رأيت كيف كانت".

"ما قصة الصيدلى تلك كيف عرفها الناس؟".

"حسناً، لم يحدث الأمر فى جيمس تاون، أعتقد أن هذا الأمر حدث عندما كانوا فى مارتينيك. أعتقد أن الفرنسيين متساهلون أكثر منا فى الشئون المتعلقة بالأدوية والعقاقير تحدث هذا الصيدلى مع شخص ما، وبدأت القصة فى الانتشار أنت تعلمين كيف تحدث تلك الأشياء".

كانت الآنسة ماربل على علم بذلك، ولم يكن هنا من هو أفضل منها فى هذه الأمور

"قال شيئاً ما عن أن الكولونيل هيلنجدون. كان يسأل عن شىء ولم يبد أنه يعرف ما الذى يسأل عنه. كانت معه ورقة مكتوب عليها اسم الدواء. كما أقول، على كل حال

كان هناك كلام".

عبس وجه الآنسة ماربل وبدت عليها الحيرة، ثم قالت:" ولكنى لا أعلم لماذا قام الكولونيل هيلنجدون ـ".

"أعتقد أنها استخدمته كأداة للقيام بما تريد. على كل حال، تزوج جريجورى دايسون مرة أخرى بعد وقت قصير للغاية. على ما أعتقد، تزوج بعد شهر تقريباً".

نظرتا إلى بعضهما البعض.

سألت الآنسة ماربل:" ولكن، ألم تكن هناك شبهة حقيقية؟".

"لا، لقد كان مجرد كلام. بالتأكيد، ربما كان خالياً من أى حقيقة".

"ولكن الرائد بلجراف اعتقد أن هناك شيئاً ما فى هذا الكلام".

"هل قال لك كذلك؟".

اعترفت الآنسة ماربل قائلة:" فى الحقيقة، لم أكن أنصت إليه بإمعان. لقد تساءلت فقط عما إذا كان قد قال نفس الشىء لك؟".

قالت الآنسة بريسكوت:" لقد أشار إليها فى إحدى المرات".

"حقاً؟ هل أشار إليها؟".

"نعم. فى الواقع، اعتقدت، فى أول الأمر، أن السيدة هيلنجدون هى التى كان يشير إليها. ضحك ضحكة مكتومة ثم قال:" انظرى إلى تلك المرأة هناك. أعتقد أن هذه المرأة ارتكبت جريمة القتل وهربت من العقاب". صدمت بالتأكيد. ثم قلت:"إنك تمزح بالتأكيد يا سيد بلجراف" فقال لى:نعم، نعم يا سيدتى العزيزة، دعينا نقل إن هذه مزحة. كان آل هلينجدون وآل دايسون جالسين على طاولة بالقرب منا، وكنت خائفة من أن يسمعوا ما نقول، فضحك ضحكة ساخرة ثم قال:" لا أهتم بأن أذهب إلى حفلة للشرب وأجد شخصاً ما يمزج لى خليطاً من العصائر. يشبه هذا الأمر كثيراً تناول العشاء مع آل بورجيا".

قالت الآنسة ماربل:" هذا شىء مشوق للغاية. هل ذكر أى شىء عن صورة؟".

"لا أتذكر... هل كانت مقطوعة من جريدة؟"

أغلقت الآنسة ماربل فمها وهى على وشك أن تتحدث. وهنا ظللهما خيال شخص ما للحظات، ثم توقفت إيفلين هيلنجدون بجانبهما.

ثم قالت:"صباح الخير".

قالت الآنسة بريسكوت وهى تنظر لأعلى بسعادة: "كنت أتساءل أين ذهبت".

"لقد ذهبت إلى جيمس تاون للتسوق".

"أوه، هكذا".

نظرت الآنسة بريسكوت حولها، بغموض، ثم قالت إيفلين هيلنجدون:

"لم آخذ إدوارد معى. فالرجال يكرهون التسوق".

"هل وجدت شيئاً ذا أهمية؟"

"لم أقم بهذا النوع من التسوق. لقد كنت بحاجة، فقط إلى أن أذهب إلى الصيدلى".

وبابتسامة وإيماءة صغيرة استمرت فى طريقها باتجاه الشاطئ.

قالت الآنسة بريسكوت:"إن آل هيلنجدون أناس طيبون بالفعل، مع أن إيفلين ليست من النوع الذى يسهل التكهن بطبيعتهم، أليست كذلك؟ أعنى، دائماً ما تكون مشرقة وما شابه ذلك، ولكن يبدو أن هذا ما يراه الناس فقط".

اتفقت معها الآنسة ماربل وهى تفكر بعمق.

قالت الآنسة بريسكوت:"لا يعرف أحد أبداً ما تفكر فيه".

قالت الآنسة ماربل:"ربما يكون هذا شيئاً يجب وضعه فى الحسبان".

"اعذرينى، لم أفهم ما تقصدين".

"لا شىء فى الحقيقة، كل ما هنالك هو أننى دائماً ما أشعر بأنه ربما تكون أفكارها مرتبكة".

قالت الآنسة بريسكوت وقد بدت عليها الحيرة:" آه أفهم ما تقصدين". استمرت فى حديثها مع تغيير طفيف فى موضع النقاش: "أعتقد أنهم يمتلكون مكاناً جذاباً للغاية فى هامبشاير، وقد أنجبا صبياً أو أعتقد أنهما صبيان قد ذهبا أو ذهب أحدهما إلى وينشستر".

"هل تعرفين هامبشاير جيداً؟".

لا. بالكاد أعرفها. أعتقد أن بيتهم فى مكان ما بالقرب من آلتون".

توقفت الآنسة ماربل عن الحديث ثم قالت:" فهمت. وأين يقطن آل دايسون؟".

قالت الآنسة بريسكوت:" فى كاليفورنيا. عندما يكونون فى وطنهم، فهم كثيرو الترحال".

"يعرف المرء القليل فى الحقيقة عن الأشخاص الذين يقابلهم عندما يكون مسافراً. أعنى كيف أقول هذا يعرف المرء فقط منا ماذا اختار الآخرون أن يذكروه لك عن

أنفسهم. على سبيل المثال، أنت لست متأكدة تماماً من أن آل دايسون يعيشون فى كاليفورنيا".

بدت الحيرة على الآنسة بريسكوت، ثم قالت:" أنا واثقة أن السيد دايسون ذكر ذلك".

"نعم، نعم، بالضبط. هذا ما أقصده. وربما يكون هذا هو الحال نفسه مع آل هيلنجدون. أعنى عندما تقولين إنهم يعيشون فى هامبشاير فإنك تكررين فعلاً ما قالوه لك، أليس كذلك؟"

بدت الآنسة بريسكوت منزعجة إلى حد ما، ثم قالت:" هل تعنين أنهم لا يعيشون فى هامبشاير؟".

قالت الآنسة ماربل معتذرة بسرعة:"لا،لا، ليس للحظة واحدة، كنت استعملهم كمثال لما يعلمه المرء أو لا يعلمه عن الناس". ثم أضافت قائلة:" لقد قلت لك إننى أقطن فى سانت مارى ميد، وهو مكان لم تسمعى عنه بالتأكيد. ولكنك لا تعرفين عنه شيئاً بنفسك، أليس كذلك؟

امتنعت الآنسة بريسكوت عن أن تقول أنها ليست مهتمة بالمكان الذى عاشت فيه الآنسة ماربل. إنه مكان ما فى الريف بجنوب إنجلترا، هذا هو كل ما تعرفه. اتفقت مع ما قالته الآنسة ماربل بسرعة قائلة:"أوه، أفهم ما تقصدينه، وأعلم أن المرء قد لا يكون حريصاً للغاية عندما يكون خارج البلاد".

قالت الآنسة ماربل:" لم يكن هذا ما قصدته بالضبط".

دارت بعض الأفكار الغريبة فى رأس الآنسة ماربل كانت تسأل نفسها: هل هى متأكدة فعلاً أن بريسكوت رجل الدين، والآنسة بريسكوت، شقيقته، هما فعلاً من يدعيان أنهما كذلك؟ لقد قالا هذا، ولم يكن هناك أى دليل لمعارضتهما به. إن الأمر سهل فـعلاً؛ أن ترتدى الملابس المناسبة للشخصية، أو يتحدثا بالكلام الذى يتماشى معها. لو كان هناك دافع...

لقد كانت الآنسة ماربل على دراية كاملة برجال الدين فى الجزء الذى تعيش فيه من العالم، ولكن آل بريسكوت أتوا من الشمال من دورهام، أليس هذا اسمها؟ لم يكن لديها أى شك من أنهم هم آل بريسكوت، لكن عاد عقلها إلى نفس الأمر يصدق المرء ما يقوله الناس له.

ربما يجب أن يكون المرء متيقظاً لهذا. ربما... ثم هزت رأسها وهى تفكر بعمق.

الفصل التاسع عشر

استخدامات الحذاء

عاد رجل الدين بريسكوت من حافة الشاطىء لاهثاً (فعادة ما يكون اللعب مع الأطفال مرهقاً).

ثم عاد هو وأخته إلى الفندق لأنهما وجدا الجو على الشاطئ حاراً للغاية.

قالت سنيورا دى كاسبيرو بامتعاض وهما يغادران: "ولكن كيف يكون الشاطىء حاراً للغاية؟ هذا هراء "ولكن انظرى إلى ما ترتديه إن رقبتها وذراعيها مغطيان بالكامل. ربما يكون هذا هو السبب فى شعورها بالحرارة. إن بشرتها بشعة، تبدو كالدجاجة التى اقتلعوا ريشها!"

أخذت الآنسة ماربل نفساً عميقاً. كان هذا أنسب وقت للدخول فى محادثة مع سنيورا دى كاسبيرو ولكن، لسوء الحظ، لم تعرف ما الذى يجب أن تقوله. لم يبد أن هناك م-ج-الاً مشتركاً للحوار بينهما.

سألتها فقالت:" هل عندك أطفال يا سنيورا؟"

قالت سنيورا دى كاسبيرو مقبلة أطراف أصابعها: "عندى ثلاثة ملائكة".

لم تكن الآنسة ماربل متأكدة من أن هذا القول يعنى أن أطفال سنيورا دى كاسبيرو فى الجنة، أم أن هذا يشير إلى شخصياتهم.

علق أحد الرجال الحاضرين بالأسبانية، ومالت سنيورا دى كاسبيرو برأسها للخلف، وضحكت ضحكة شجية بصوت عال.

سألت سنيورا دى كاسبيرو الآنسة ماربل قائلة:"هل فهمت ما قال؟"

قالت الآنسة ماربل بنبرة اعتذار:"لا أعتقد هذا".

"هذا أفضل. إنه رجل شرير".

تبع ذلك حوار سريع ومرح باللغة الأسبانية بين سنيورا دى كاسبيرو وأحد الرجال.

ثم عادت مرة أخرى للحديث بالإنجليزية بشكل جاد قائلة:" إنه أمر مشين حقاً،

فالشرطة تمنعنا من مغادرة الجزيرة. لقد ثرت وصرخت وانفعلت، ولكن كان كل ما يفعلونه هو الرفض. وأنت تعلمين بالطبع ما نتيجة ذلك سوف نتعرض جميعاً للقتل".

حاول حارسها الخاص أن يهدئها.

"ولكن، نعم أقول لك إن سوء الحظ ينتشر هنا. لقد علمت هذا من أول وهلة هذا الرائد العجوز، هذا الشخص القبيح ذو العين الشريرة أتذكرين هذا؟ لقد كان أحول العينين إن هذا طالع سئ! كنت أتلو صلواتى فى كل مرة ينظر فيها ناحيتى". قالت هذا كنوع من التوضيح، ثم أردفت:"ولكن بسبب أنه مصاب بالحول فإننى لم أكن أعرف إن كان ينظر تجاهى أم لا ـ".

قالت الآنسة ماربل:" لقد كانت له عين زجاجية، بسبب حادث أصيب به عندما كان شاباً على ما أعتقد. لم يكن هذا خطأه".

"أقول لك إنه يجلب الحظ السيىء أقول إن هذا كان بسبب عين الشر التى لديه".

انطلقت يدها مرة أخرى بالإيماءة اللاتينية المعروفة الأصبع الأول والأصبع الصغير منتصبان التصاق الأصبعان الأوسطان بعضهما مع قبضهما لأسفل قالت بسعادة: "على كل حال، إنه ميت الآن، ولست مضطرة إلى أن أنظر إليه مرة أخرى. لا أحب أن أنظر إلى الأشياء القبيحة".

اعتقدت الآنسة ماربل أن هذا كان عدم احترام لذكرى الرائد بلجراف.

خرج جريجورى دايسون من المياه فى نهاية الشاطى. واستلقت لاكى على الرمال. وكانت إيفلين هيلنجدون تنظر إلى لاكى، وقد جعل تعبير وجهها السيدة ماربل ترتعش لسبب ما.

فكرت قائلة: " كيف أشعر بالبرد فى هذه الشمس الحارقة؟ ماذا كانت تلك الجملة القديمة:" أوزة تسير على قبرك ـ".

ثم وقفت على قدميها وعادت ببطء إلى بيتها. ومرت فى طريقها على السيد رافيل وإستر والترز وهما ذاهبان إلى الشاطئ. غمز إليها السيد رافيل بعينه ولكن لم ترد له الآنسة ماربل النظرة، وبدا عليها الاستنكار.

دخلت إلى غرفتها وتمددت على سريرها. شعرت بأنها كبيرة فى السن ومتعبة وقلقة.

لقد كانت متأكدة للغاية من أنه لم يكن هناك وقت يمكن إضاعته لا يوجد وقت ليضيع... كان الوقت يمضى...أوشكت الشمس على المغيب الشمس يجب أن ينظر المرء دائماً إلى الشمس عن طريق نظارات شمسية أين كانت تلك النظارة الشمسية التى أعطاها لها شخص ما؟...

لا، لم تكن فى حاجة إليها على الإطلاق. فقد جاء ظل غطى على الشمس كلها. ظل. ظل إيفلين هيلنجدون لا، ليست إيفلين هيلنجدون الظل (ماذا يطلق عليه؟ ظل وادى الموت نعم هذا هو ما يطلق عليه قالت إنها يجب ماذا قالت؟ يجب أن تتلو صلواتها لتبعد عنها هذه العين الشريرة عين الرائد بلجراف الشريرة.

فتحت جفناها وأغلقتهما أكثر من مرة لقد كانت نائمة. ولكن كان هناك ظل شخص ما ينظر إليها من النافذة.

تحرك الظل وعرفت الآنسة ماربل من كان هذا الشخص لقد كان جاكسون.

قالت الآنسة ماربل لنفسها:" هذه وقاحة أن يحدق شخصاً ما هكذا"، ثم أضافت معترضة:" بالضبط مثل جوناس بارى".

لم تكن المقارنة فى صالح جاكسون.

ثم تساءلت لماذا كان جاكسون يحدق بنظره إلى ما داخل غرفة نومها. هل لكى يرى إن كانت هناك أم لا؟ أم لكى يتأكد أنها هناك، ولكنها نائمة.

نهضت من الفراش ودخلت الحمام ونظرت بحرص من النافذة.

كان آرثر جاكسون واقفاً بجانب الكوخ المجاور لفراش السيد رافيل. رأته ينظر حوله بسرعة، ثم ينسل إلى الداخل بسرعة. اعتقدت الآنسة ماربل أن هذا مثير للاهتمام. لماذا يجب عليه أن ينظر حوله بهذه الطريقة الماكرة؟ دخوله لكوخ السيد رافيل أمر طبيعى وعادى جداً، حيث إن له غرفة فى مؤخرة الكوخ. دائماً ما كان يدخل ويخرج من الكوخ كلما كانت لديه مهمة ليقضيها. أجابت الآنسة ماربل على سؤالها، هناك سبب واحد، أراد أن يتأكد من أنه لا يوجد شخص يراه فى تلك اللحظة بالذات لأنه كان هناك شيئاً ما يريد أن يقوم به هناك".

كان كل الناس على الشاطئ فى تلك اللحظة بالتأكيد، ما عدا هؤلاء الذين ذهبوا فى رحلات استكشافية، وجاكسون نفسه سيكون على الشاطئ بعد حوالى عشرين دقيقة لكى يؤدى واجبه فى مساعدة السيد رافيل فى الغطس. هذا الوقت كان مناسباً للغاية لو كان يريد أن يفعل شيئاً لا يرغب أن يراه أحد وهو يقوم به. لقد تأكد من أن الآنسة ماربل غارقة فى النوم على سريرها، لقد تأكد من أنه ليس هناك شخص يراقب تحركاته. حسناً، يجب أن تبذل ما فى وسعها لكى تراقب تحركاته.

خلعت الآنسة ماربل صندلها الأنيق واستبدلته بحذاء خفيف وهى جالسة على السرير ثم هزت رأسها، وخلعت الحذاء، وانكبت على حقيبتها وأخرجت فردتى حذاء تخلخل كعب إحداهما مؤخراً بسبب اشتباكه بحافة الباب. كان الكعب على وشك أن ينكسر، وعملت الآنسة ماربل على زيادة خلخلته من مكانه بمبرد أظافر، ثم خرجت بحذر شديد من بابها وهى ترتدى جوربها فقط، سارت بكل حرص مثل الصياد الذى يخرج لصيد الغزلان، ثم حامت حول بيت السيد رافيل. حامت بحرص حول جانب البيت. وارتدت

إحدى فردتى الحذاء الذى كانت تحمله فى يدها ولوت كعب الفردة الأخرى، جثت على ركبتيها وظلت منبطحة تحت النافذة. فإذا ما سمع جاكسون أى شىء، وإذا أتى للنافذة ليرى ما يحدث فسوف تتظاهر بأنها سقطت نتيجة لانكسار كعب حذائها. ولكن كان من الواضح أن جاكسون لم يسمع شيئاً.

رفعت الآنسة ماربل رأسها ببطء شديد للغاية. كانت نوافذ البيت منخفضة. وكانت هى تختبئ وراء أحد فروع النباتات المتسلقة وهى تنظر إلى الداخل...

كان جاكسون جاثيًا على ركبتيه وأمامه حقيبة. كانت الحقيبة موضوعه أمامه ومفتوحة عن آخرها وقد استطاعت الآنسة ماربل أن ترى أن الحقيبة فيها العديد من الجيوب المليئة بأنواع مختلفة من الورق. كان جاكسون ينظر فى الأوراق، وكان يخرج بعض المستندات من مظاريفها بين الحين والآخر. لم تبق الآنسة ماربل فى مكان مراقبتها هذا لفترة طويلة، فكل ما أرادته هو أن تعرف ما كان يفعله جاكسون؛ وقد علمت الآن. لقد كان جاكسون يتطفل. وسواء كان يبحث عن شىء محدد أم أنه كان يشبع فطرته الطبيعية، فإنها لم يكن لديها القدرة على أن تحكم على هذا. ولكن هذا أكد لها اعتقادها بأن آرثر جاكسون متشابه فى أشياء كثيرة مع جوناس بارى أكثر من مجرد الشبه فى الشكل.

كانت مشكلتها الآن هى أن تنسحب، فأحنت ظهرها مرة أخرى بحرص شديد وزحفت بطول حوض الزهور حتى ابتعدت عن النافذة. ثم عادت إلى بيتها وخلعت الحذاء بحرص والكعب الذى خلعته منه. نظرت إليها بتأثر، فهى أداة جيدة يمكنها استخدامها فى يوم آخر لو احتاجت إلى ذلك. ارتدت صندلها مرة أخرى، ثم ذهبت إلى الشاطىء مرة أخرى وهى تفكر بعمق.

تحركت الآنسة ماربل ناحية كرسى إستر والترز الشاغر بعدما ذهبت للسباحة.

كان جريج ولاكى يضحكان ويتحدثان إلى سنيورا دى كاسبيرو محدثين ضوضاء عالية.

تحدثت الآنسة ماربل بهدوء شديد، تقريباً وكأنها تحدث نفسها، دون النظر إلى السيد رافيل.

"هل تعلم أن جاكسون شخص متطفل؟".

قال السيد رافيل:" هذا لا يدهشنى، هل أمسكت به وهو يقوم بذلك؟".

"حاولت أن أراقبه من خلال النافذة. كان يفتح إحدى حقائبك وكان ينظر فى أوراقك".

"لقد استطاع بالتأكيد أن يحصل على مفتاحها. يا له من فتى واسع الحيلة. ولكنه لن يحصل على مراده، لن يحصل على شىء مفيد بهذه الطريقة".

قالت الآنسة ماربل وهى تنظر تجاه الفندق:" إنه قادم الآن".

قال السيد رافيل:" إنه وقت الغطس السخيف".

ثم تكلم مرة أخرى بصوت منخفض للغاية قائلاً:

"أما بالنسبة لك فلا تكونى مغامرة. لا نريد أن نحضر جنازتك فى المرة القادمة. تذكرى بأنه يوجد فى الجوار شخص كثير الشك".

الفصل العشرون

إنذار فى الليل

1

أسدل الليل أستاره وأضيئت أنوار قاعة الطعام وشرع الناس فى تناول عشائهم وتحدثوا وضحكوا، إلا أن حديثهم كان منخفضاً فى الصوت، وأقل سعادة مما كان عليه الأمر منذ يومين، ثم بدأت فرقة الموسيقى فى العزف.

انتهى الرقص فى وقت مبكر. تثاءب الناس ذهبوا للنوم، وأطفئت الأنوار، وساد الظلام والسكينة، نام فندق جولدن بالم بالكامل...

"إيفلين. إيفلين!"، كان الهمس حاداً وملحًا

تقلبت إيفلين هيلنجدون على وسادتها.

"إيفلين، استيقظى من فضلك".

قامت إيفلين هيلنجدون فجأة. كان تيم كندال واقفاً عند مدخل الباب. حملقت به وهى مندهشة.

"إيفلين، هل يمكنك أن تأتى معى من فضلك؟ إن مولى مريضة. لا أعرف ما بها. أعتقد أنها تناولت شيئاً ما".

كانت إيفلين سريعة وحاسمة فقالت:

"حسناً يا تيم سأحضر. ارجع إليها، وسأنضم إليك فى لحظات".

اختفى تيم كندال، وانسلت إيفلين من على السرير، ارتدت ثوبًا ونظرت إلى السرير الآخر.

يبدو أن زوجها لم يستيقظ. كان ممدداً هناك وكان يتنفس بهدوء. ترددت إيفلين للحظة، ثم قررت ألا تزعجه. خرجت من الباب وسارت مسرعة إلى المبنى الأساسى، ثم ذهبت إلى كوخ آل كندال فى الأسفل فوجدت تيم عند مدخل الباب.

كانت مولى مستلقية فى الفراش. كانت عيناها مغلقتين، ومن الواضح أن تنفسها لم يكن طبيعياً. انحنت إيفلين تجاهها، ورفعت أحد جفنيها، تحسست نبضها ثم نظرت إلى المنضدة المجاورة للسرير كانت عليها زجاجة فارغة. بجانبها كان يوجد شريط أقراص فارغ. فالتقطتهما

قال تيم:" إن هذه أقراص منومة، ولكن تلك الزجاجة كانت ممتلئة لمنتصفها بالأمس أو أول أمس. أعتقد أنها تناولتها كلها".

قالت إيفلين:" اذهب وأحضر دكتور جراهام، وفى طريقك إليه أيقظهم وقل لهم أن يقوموا بعمل قهوة ثقيلة. ثقيلة للغاية. أسرع".

أسرع تيم مغادراً. ففوجئ بوجود إدوارد هيلنجدون خارج الباب.

قال له" آسف يا إدوارد".

سأل هيلنجدون

"ما الذى يحدث هنا؟ ما الذى يحدث؟". "إنها مولى. إن إيفلين معها يجب أن أحضر الطبيب. أعتقد أنه كان يجب أن أذهب إليه أولاً ولكن لم أكن متأكدا مما يجب فعله، واعتقدت أن إيفلين ستعلم. كانت مولى سترفض هذا الأمر، لو أننى أحضرت الطبيب دون سبب قهرى".

ذهب راكضًا ونظر إدوارد هيلنجدون إليه للحظة ثم سار داخلاً إلى غرفة النوم.

قال:" ما الذى يحدث؟ هل الأمر خطير؟".

"ها أنت ذا يا إدوارد. كنت أتساءل عما إذا كنت قد استيقظت. لقد تناولت تلك الفتاة الساذجة بعض الأقراص".

"هل حالتها سيئة؟".

"لا يستطيع المرء أن يقول دون أن يعرف الكمية التى تناولتها. لا أعتقد أن الأمر جد خطير. لقد أرسلت فى طلب القهوة. سنحاول أن نجعلها تشرب بعضاً منها ـ"

"ولكن لماذا قامت بهذا الشىء؟ أنت لا تعتقدين ـ"، ثم توقف عن الحديث.

قالت إيفلين:"ماذا، ما الذى لا أعتقد؟".

"أنت لا تعتقدين أن هذا بسبب التحقيق والشرطة، وكل هذا الأمر؟".

"بالتأكيد هذا محتمل. يمكن أن يكون هذا النوع من الأشياء مزعج للغاية لشخص متوتر أو عصبى".

"مولى لم تبد أبداً من النوع المتوتر".

قالت إيفلين:" لا يستطيع المرء أن يجزم بهذا حقيقة. أحياناً ما يفقد الأشخاص الهادئون أعصابهم".

"نعم، أتذكر..."، ثم توقف مرة أخرى.

قالت إيفلين:" الحقيقة هى أن المرء لا يعرف حقيقة أى شيء عن أى شخص". ثم أضافت قائلة:"حتى أقرب الناس إليك...".

" أليس هذا بعيداً عن الواقع يا إيفلين إنك تبالغين للغاية".

"لا أعتقد ذلك. فعندما تفكر فى الناس، فإنك تفكر فى الصورة التى رسمتها لهم بنفسك".

قال إدوارد هيلنجدون بهدوء:" أعرفك جيداً".

"أنت تعتقد ذلك".

قال:" لا، أنا متأكد من ذلك، وأنت متأكدة منى".

نظرت إيفلين إليه، ثم استدارت نحو السرير. ثم أمسكت مولى من كتفيها وهزتها.

"يجب أن نفعل شيئاً، ولكن أعتقد أنه من الأفضل الانتظار لحين وصول الدكتور جراهام أوه، أعتقد أننى أسمعهم قادمين".

2

رجع دكتور جراهام للخلف مجففاً جبهته بمنديل وتنهد تنهيدة ارتياح ثم قال: "ستستعيد وعيها الآن".

سأل تيم بقلق:" هل تعتقد أنها ستكون بخير يا سيدى؟".

"نعم، نعم. لقد وصلنا إليها فى الوقت المناسب. على كل حال، لم تأخذ كمية كبيرة يمكن أن تودى بحياتها. يومان وستكون بخير، ولكنها ستمر بيوم سيىء أو يومين فى البداية". ثم رفع الزجاجة الفارغة وقال:"على أى حال، من الذى أعطاها هذه الأشياء؟".

قال تيم:" طبيب فى نيويورك. لم تكن تنام جيداً".

"حسنـــاً. أعرف أننا نحن الأطباء نشير على المرضى أن يأخذوا مثل هذا الأشياء بحرية فى تلك الأيام، لا ينصح أحدهم الشابة التى لا تستطيع النوم فى هذه الأيام أن تحصى الأغنام، أو أن تأكل قطعة حلوى، أو أن تقوم بكتابة سطور قليلة ثم تذهب إلى الفراش مرة أخرى. إن الناس يطلبون العلاجات الفورية فى تلك الأيام. فى بعض

الأحيان أعتقد أنه من المؤسف أن نعطى لهم مثل هذه الأقراص. يجب أن يتعلموا التأقلم مع صعوبات الحياة. إن الأمر يشبه أن نعطى الطفل شيئاً يلهيه. ولكنك لا تستطيع أن تقوم بهذا طول حياتك". ثم ضحك ضحكة خافتة وقال:"أراهن، لو أنك سألت الآنسة ماربل عما يمكن أن تفعله إذا لم تستطع أن تنام، فستقول لك إنها تقوم بإحصاء الأغنام فى الحديقة".

استدار ناحية السرير حيث كانت مولى تتحرك. كانت عيناها مفتوحتين الآن. نظرت إليهم دون أى اهتمام أو تركيز. أخذ دكتور جراهام يدها ثم قال:

"لا عليك يا عزيزتى، ماذا الذى فعلته بنفسك؟".

نظرت بطرف عينيها، ولكنها لم ترد.

أمسك تيم يدها الأخرى قائلاً:" لماذا فعلتِ هذا يا مولى، أخبرينى، لماذا؟".

لم تحرك عينيها. ولو كانت حركتهما لكانت ستركزهما على إيفلين هيلنجدون.. لقد كان هناك سؤال غير واضح داخلها، ولكن كان من الصعب أن يقوله أحد. تحدثت إيفلين وكأن السؤال قد تم طرحه.

قالت:"أتى تيم وأحضرنى إلى هنا".

تحركت عيناها ناحية تيم، ثم تحولت إلى دكتور جراهام.

قال الدكتور جراهام:" ستصبحين بخير الآن. ولكن لا تكررى هذا ثانية".

قال تيم بهدوء:" لم تقصد أن تفعل هذا، أنا متأكد من أنها لم تقصد أن تفعل هذا. لقد أرادت فقط أن تحصل على قسط جيد من الراحة فى تلك الليلة. ربما لم تؤثر الأقراص فى أول الأمر فأخذت الكثير منها، هل هذا ما حدث يا مولى؟".

حركت رأسها بثقل تعبر عن النفى

قال تيم:" أتعنين أنك قصدت أن تأخذيها؟".

تحدثت مولى بعد ذلك. وقالت:"نعم".

"ولكن لماذا يا مولى، لماذا؟".

أغمضت عينيها وهى تقول:" خائفة". بالكاد سمعوا الكلمة.

"خائفة؟ من ماذا؟"

ولكنها أغلقت عينيها.

قال دكتور جراهام:"من الأفضل أن نتركها تستريح".

تحدث تيم بتهور قائلاً:

"خائفة من ماذا؟ من الشرطة؟ لأنهم كانوا يستجوبونك، ويطرحون عليك أسئلة؟ أنا لست مستغرباً من هذا الأمر. يمكن أن يشعر أى شخص بالخوف. ولكن هذه هى طريقتهم، هذا كل ما فى الأمر. لا أحد يظن للحظة واحدة ـ"، ثم توقف عن الحديث فجأة.

أومأ له دكتور جراهام بإشارة تلمح له بالتوقف.

قالت مولى: أريد أن أخلد للنوم".

قال الدكتور جراهام:"هذا أفضل شىء لك".

ثم توجه ناحية الباب وتبعه الآخرون.

قال جراهام:"سوف تنام بعمق".

سأل تيم قائلاً:"هل هناك شىء يجب أن أفعله؟". كان يتحدث بأسلوب الشخص القلق والمتوتر كالعادة.

قالت إيفلين بلطف:"سوف أبقى إذا أردت".

قال تيم:"لا. ليس هناك داع لذلك".

عادت إيفلين تجاه الباب ثم قالت:" هل أبقى معك يا مولى؟".

فتحت مولى عينيها مرة أخرى. ثم قالت،" لا"، ثم قالت بعد صمت قصير:"أريد تيم فقط."

رجع تيم وجلس بجانب الفراش.

قال:" أنا هنا يا مولى"، ثم أمسك بيدها." هيا اخلدى للنوم. لن أتركك".

تنهدت ثم أغلقت عينيها.

وقف الطبيب خارج البيت ووقف معه آل هيلنجدون.

سألت إيفلين:" هل أنت متأكد من أنه ليس هناك شىء آخر يمكننى فعله؟".

"لا أعتقد ذلك، شكراً لك يا سيدة هيلنجدون. ستصبـح أفضل مع زوجها الآن. ولكن ربما فى الغد سيكون مشغولاً بأعمال الفندق أعتقد أنه ربما يجب أن يصاحبها أحدهم".

حك جراهام جبهته بتوتر ثم قال:

"لا يعرف المرء أبداً ما قد يحدث فى تلك الحالات. فى الواقع، من غير المحتمل أن يحدث ذلك مرة أخرى، فكما رأيتم بأنفسكم، فإن علاج هذا الأمر مؤلم للغاية. ولكن، بالتأكيد، لا يكون المرء متأكداً أبداً مما قد يحدث، فربما يكون لديها كمية أكبر من

هذه الأقراص مخبأة فى مكان ما".

قال هيلنجدون:" لم أفكر أبداً فى أن تُقدم فتاة مثل مولى على الانتحار".

قال جراهام بطريقة جافة:" لا يكون الناس الذين يتحدثون عن الانتحار هم الذين يقدمون عليه بالفعل، فهم يجذبون إليهم الأنظار ويبالغون، وبهذا يزيحون عن كاهلم الكثير مما يؤلمهم، وبالتالى تبتعد الفكرة عن رؤوسهم".

قالت إيفلين مترددة:" دائماً ما بدت مولى فتاة سعيدة. أعتقد أننى يجب أن أخبرك يا دكتور جراهام بشىء ما"، ثم حدثته عن مقابلتها مع مولى على الشاطىء فى الليلة التى قتلت فيها فيكتوريا. تجهم وجه جراهام للغاية عندما أنهت حديثها.

"أشكرك بشدة لأنك أخبرتنى بهذا يا سيدة هيلنجدون. هناك إشارات واضحة للغاية لوجود مشكلة متأصلة. نعم. سأتحدث قليلاً مع زوجها فى الصباح".

3

"أريد أن أتحدث إليك بخصوص زوجتك".

كانا جالسين فى مكتب تيم. وقد حلت إيفلين هيلنجدون محل تيم فى الاعتناء بمولى، وجلست بجوار فراشها ووعدت لاكى بأن تأتى، وقالت" إنها سوف تتناوب مجالستها مع إيفلين بعد هذا. عرضت الآنسة ماربل أيضاً خدماتها. وتمزق تيم المسكين بين التزامات الفندق وبين حالة زوجته.

قال تيم: لا أستطيع أن أفهم هذا، لا أستطيع أن أفهم مولى. لقد تغيرت. تغيرت تماماً".

"لقد سمعت أنها كانت تعانى من أحلام سيئة، أليس كذلك؟"

"نعم، نعم، لقد اشتكت من ذلك كثيراً".

"منذ متى؟".

"آه، لا أعرف حوالى أعتقد ربما منذ شهر ربما أكثر. إنها نحن، اعتقدنا أنها فقط مجرد حسناً، مجرد كوابيس، كما تعلم".

" نعم، نعم، أفهم هذا تماماً. ولكن الدلالة الأكثر خطورة فى الحقيقة أنها بدت وكأنها خائفة من شخص ما، هل اشتكت من هذا إليك؟".

"حسناً، نعم. قالت مرة أو مرتين إن هناك أناساً يتتبعونها".

"يتجسسون عليها؟".

"نعم، لقد استخدمت هذا المصطلح ذات مرة. قالت إنهم أعداؤها، وقد تبعوها إلى هنا".

"هل كان لها أعداء يا سيد كندال؟".

"لا، بالتأكيد لم يكن لها أعداء".

"ألم يحدث لها أى شىء فى إنجلترا، أى شىء تعرفه عنها قبل زواجكما؟".

"لا، لا شىء من هذا القبيل. فقط، لم تكن علاقتها جيدة بوالدتها، هذا كل ما فى الأمر. لقد كانت والدتها امرأة غريبة الأطوار، من الصعب أن تعيش معها، لكن..."

"هل هناك أية دلالات على وجود اضطرابات عقلية فى عائلتها؟".

فتح تيم فمه بسرعة، ثم أغلقه مرة أخرى. ثم دفع قلم حبر على المكتب أمامه.

قال الطبيب:

"يجب أن أؤكد أنه من الأفضل لك أن تخبرنى يا تيم عما إذا كان هناك شىء من هذا القبيل".

"حسناً، نعم أعتقد أن هناك نوعًا من هذا الاضطراب. الأمر ليس خطيراً، أعتقد أن لها عمة أو قريبة كانت مصابة بالعته. ولكن هذا لا يعنى شيئاً. أعنى يمكن أن تجد هذا فى أية عائلة".

"نعم، نعم، هذا صحيح للغاية. لا أحاول أن أزعجك أو أى شىء من هذا القبيل، ولكن ربما يشير هذا إلى احتمال حسناً، أن تنهار أو أن تتخيل أشياء إذا حدثت لها أية ضغوط".

قال تيم:" لا أعرف فى الحقيقة هذا الأمر بالتأكيد، بالإضافة إلى أن الناس لا يسردون لك تاريخ عائلتهم، أليس كذلك؟".

"لا، لا. هذا صحيح تمامًا. ألم يكن لديها صديقة قبل هذا ألم تكن مخطوبة قبل هذا، أى شخص قد حاول تهديدها من قبل بسبب الغيرة أو ما إلى ذلك؟"

"لا أعلم. لا أعتقد ذلك. لقد كانت مولى مخطوبة لرجل ما قبل أن أتقدم لها. عارض والداها هذا الأمر بشدة، وعلى ما أعتقد أنها تعلقت بالشاب أكثر بسبب المعارضة والتحدى أكثر من أى شىء آخر". ثم ارتسمت على وجهه نصف ابتسامة فجأة وأردف:" أنت تعلم الحال عندما يكون المرء شاباً. لو أثار الناس الكثير من الجلبة حول شخص ما فهذا سيجعلك تتمسك أكثر بهذا الشخص، أياً من كان".

ابتسم دكتور جراهام أيضاً، وقال:"نعم، يرى المرء هذا كثيراً. لا يجب أن يعترض المرء على أصدقاء أبنائه غير المرغوب فيهم. فهم عادة ما يبتعدون عنهم بصورة

طبيعية. هذا الرجل، أياً من كان، ألم يهدد مولى بأى شكل من الأشكال؟"

"لا، أنا متأكد من أنه لم يفعل. كانت ستخبرنى لو حدث هذا. لقد قالت بنفسها إنها فقط كانت مولعة به لأنها كانت فى فترة المراهقة، بالذات، بسبب سمعته السيئة".

"نعم، نعم. حسناً، هذا لا يبدو خطيراً. الآن هناك شيء آخر. من الواضح أن زوجتك كانت تعانى مما وصفته بفترات فقدان الذاكرة. فترات قصيرة من الوقت لا تستطيع خلالها أن تتذكر أفعالها. هل تعلم شيء عن هذا يا تيم؟".

قال تيم ببطء:" لا. لم أعرف شيئاً عن هذا. لم تقل لى هذا أبداً. لقد لاحظت هذا، وقد أكدت أنت لى ذلك الآن، إنها تبدو ساهمة للغاية فى بعض الأحيان، و....."، ثم توقف عن الحديث مفكراً": نعم، هذا. يوضح الموقف. لم أستطع أن أفهم كيف كانت تبدو كأنها تنسى أبسط الأشياء، أو تبدو فى بعض الأحيان كأنها لا تعرف فى أى وقت من اليوم نحن الآن. اعتقدت أنها فقط كانت شاردة الذهن".

"هذا هو ما حدث بالضبط يا تيم. أنصحك بشدة بأن تأخذ زوجتك وتعرضها على طبيب متخصص".

احمر وجه تيم من الغضب ثم قال:

"أتعنى طبيبا متخصصا فى الأمراض النفسية؟.

"أرجوك لا تنزعج من الألقاب. طبيب عصبى أو طبيب نفسى، أو أى شخص متخصص فيما يطلق عليه العامة الانهيار العصبى. هناك طبيب جيد فى كينجستون. وهناك أطباء جيدون فى نيويورك بالتأكيد. هناك شيء يسبب هذه المخاوف العصبية عند زوجتك. ربما يكون شيئاً بالكاد تعرف سببه. اعرضها على طبيب يا تيم. اعرضها على طبيب فى أسرع وقت ممكن".

ربت بيده على كتف الشاب ثم وقف وقال:

"ليس هناك شيء لتقلق منه الآن. لدى زوجتك أصدقاء جيدون، وسنستمر جميعاً فى مراقبتها".

"ألن تفعل هذا هل تعتقد أنها ستحاول القيام بهذا مرة أخرى؟".

قال الدكتور جراهام:" من المستبعد للغاية أن تقوم بهذا".

قال تيم:" ولكنك لست متأكداً".

قال الدكتور جراهام:" لا يمكن للمرء أن يكون متأكداً أبداً، تلك واحدة من أوائل الأشياء التى تعلمتها فى مهنتى". ربت بيده على كتف تيم مرة أخرى ثم قال: "لا تكثر من مخاوفك".

قال تيم بعد أن خرج الطبيب من الباب:" من السهل أن تقول هذا. لا تقلق! حقاً! مم يظننى قد خلقت؟".

الفصل الحادي والعشرون

جاكسون وأدوات التجميل

قالت إيفلين هيلنجدون:" أمتأكدة أنك لا تمانعين يا آنسة ماربل؟".

قالت الآنسة ماربل:"لا بالتأكيد لا أمانع يا عزيزتى، أنا سعيدة للغاية بأننى أستطيع أن أكون ذات فائدة بأية حال، فالمرء وهو فى سنى هذه يشعر كما تعلمين، بأنه غير مفيد على الإطلاق، خاصة عندما أكون فى مكان مثل هذا، لا أفعل فيه شيئاً سوى التسلية. لا يوجد أى واجبات من أى نوع. يسعدنى أن أجلس مع مولى، اذهبى أنت إلى رحلتك الاستكشافية. أنت ذاهبة إلى بليكان بونيت، أليس كذلك؟".

قالت إيفلين:" نعم. أنا وإدوارد نعشق هذا المكان. أنا لا أسأم أبداً من رؤية الطيور تغوص فى المياه لالتقاط الأسماك، إن تيم مع مولى الآن، ولكن عنده الكثير ليقوم به ولا يبدو أنه راغب فى أن يترك مولى بمفردها".

قالت الآنسة ماربل:" إنه محق فى ذلك، ما كنت لأتركها لو كنت مكانه، لا يعرف المرء أبداً ما قد يحدث، أليس كذلك؟ خاصة عندما يحاول أى شخص أن يقوم بشىء مثل هذا، حسناً، اذهبى أنت يا عزيزتى".

ذهبت إيفلين مسرعة لتنضم إلى مجموعة صغيرة من أشخاص كانت تنتظرها: زوجها وآل دايسون وثلاثة أو أربعة أشخاص آخرين تفقدت الآنسة ماربل أدوات حياكتها، ووجدت أنه لا شىء ينقصها، وسارت باتجاه بيت آل كندال.

عندما كانت فى طريقها إلى الإيوان الخارجى سمعت صوت تيم من خلال الشرفة الموارية.

كان يقول: " لو تخبرينى فقط لماذا قمت بهذا يا مولى. ما الذى دفعك لهذا؟ هل كان السبب شيئاً فعلته لك؟ لابد وأن هناك سبباً ما، لو تقولين لى فقط".

توقفت الآنسة ماربل، سكت الاثنان فى الداخل قليلاً قبل أن تتحدث مولى، كان صوتها رتيباً ويظهر به الإجهاد.

قالت:" لا أعلم يا تيم، فى الواقع لا أعلم، أعتقد أن هناك شيئًا ما سيطر علىّ".

نقرت الآنسة ماربل على النافذة ثم استكملت سيرها.

"آه، ها أنت ذى يا آنسة ماربل، لكم كان هذا لطيفاً منك".

قالت الآنسة ماربل:" لا عليك، يسعدنى للغاية أن أقدم أية مساعدة، هل أجلس هناك على هذا الكرسى؟ تبدين أفضل يا مولى، أنا سعيدة للغاية بهذا".

قالت مولى: "أنا بخير، بخير تماماً ولكن أوه، أشعر فقط بالنعاس".

قالت الآنسة ماربل:" لن أتحدث، استلقى أنت فى هدوء وارتاحى، وسأنشغل بالحياكة".

نظر لها تيم كندال بامتنان ثم خرج، استقرت الآنسة ماربل فى مقعدها.

كانت مولى مستلقية على جانبها الأيسر، كانت تنظر بضعف وإجهاد إلى الآنسة ماربل، ثم قالت بصوت هامس:

"هذا لطف كبير منك يا آنسة ماربل، أعتقد أننى سأخلد للنوم".

استدارت قليلاً على وسادتها وأغلقت عينيها، وأصبح تنفسها أكثر انتظاماً إلا أنه كان لا يزال غير طبيعى، خبرة الآنسة ماربل فى التمريض جعلتها تقوم بصورة شبه أوتوماتيكية بفرد الملاءة وطيها تحت المرتبة من جانبها من السرير، فيما كانت تقوم بذلك اصطدمت يدها بشى صلب ومستطيل تحت المرتبة، أمسكت بهذا الشىء وسحبته ثم تفاجأت مما كان، لقد كان كتاباً، ألقت الآنسة ماربل نظرة سريعة على الفتاة فى السرير، وقد كانت ساكنة تماماً، من الواضح أنها كانت نائمة، فتحت الآنسة ماربل الكتاب، فوجدت أنه كتاب حديث الإصدار يدور حول الأمراض العصبية، وكان الكتاب قد فتح فى يد الآنسة ماربل بصورة طبيعية على صفحة معينة وصفت فيها علامات مرض جنون الاضطهاد ومرض الفصام والأعراض المصاحبة له.

لم يكن الكتاب متخصصاً بدرجة كبيرة، ولكنه كان من الكتب التى يمكن لأى شخص عادى أن يفهمها. تجهم وجه الآنسة ماربل للغاية وهى تقرأ، أغلقت الكتاب بعد دقيقة أو اثنتين وجلست تفكر، بعد ذلك انحنت للأمام ووضعت الكتاب حيثما وجدته تحت المرتبة.

هزت رأسها فى حيرة، وقامت من على كرسيها بدون إصدار أى صوت وسارت خطوات قليلة تجاه النافذة. ثم أدارت رأسها بحدة تجاه الخلف، كانت عينا مولى مفتوحتين ولكنها أغلقتهما مرة أخرى عندما استدارت الآنسة ماربل، لدقيقة أو اثنتين لم تكن الآنسة ماربل متأكدة مما إذا كانت قد تخيلت تلك النظرة الخافتة، هل كانت مولى تتظاهر بالنوم؟ يبدو نومها طبيعياً بصورة كافية، ربما أحست بأن الآنسة ماربل ستبدأ فى الثرثرة لو أحست أنها لا تزال مستيقظة. نعم، يمكن أن يكون هذا هو كل ما فى الأمر.

هل كانت تقرأ فى نظرة مولى نوعاً من الخبث؟ قالت الآنسة ماربل لنفسها: "من

العسير علىّ أن أتيقن من الأمر من العسير فعلاً".

قررت أن تتحدث مع دكتور جراهام حينما تسنح فرصة لذلك، ثم عادت إلى كرسيها بجانب السرير بعد نحو خمس دقائق أيقنت الآنسة ماربل أن مولى كانت نائمة فعلاً؛ فلا يستطيع شخص مستيقظ أن يظل ممدداً وساكناً لهذه الفترة، وأن يتنفس بهذا الهدوء، قامت الآنسة ماربل من على كرسيها مرة أخرى، وكانت ترتدى حذاءها الخفيف هذا اليوم، لم يكن جذاباً للغاية، ولكنه كان مناسباً لهذه الظروف ومريحاً للقدم.

تحركت بهدوء داخل غرفة النوم وتوقفت عند كل واحدة من النافذتين اللتين تؤديان إلى اتجاهين مختلفين.

بدا الفندق هادئاً كأنما هو مهجور، عادت الآنسة ماربل ووقفت لفترة قصيرة وهى مترددة قبل أن تعود إلى مقعدها، وذلك عندما سمعت صوتاً خافتاً فى الخارج، شيئاً مثل صوت احتكاك الحذاء بالإيوان، ترددت للحظة ثم ذهبت إلى النافذة، وفتحتها قليلاً، ثم تقدمت للخارج وأدارت رأسها للخلف ناحية الغرفة وهى تتحدث قائلة:

" سأذهب لفترة قصيرة يا عزيزتى، سأعود إلى بيتى لأرى أين وضعت قطعة القماش تلك، أنا متأكدة من أننى قد أحضرتها معى، ستكونين بخير حتى أعود، أليس كذلك؟ ثم أدارت رأسها للخلف قالت لنفسها:" صغيرتى المسكينة نائمة، هذا شىء جيد".

سارت بهدوء بحذاء الإيوان، ونزلت على السلالم واتجهت لأقصى اليمين إلى الممر هناك، مرت الآنسة ماربل بين شجيرات الخزامى على الجانبين، قد يستغرب من يراقب الآنسة ماربل وهى تنحرف فجأة لتمر من حوض الزهور، وتسير حول البيت لتصل إلى الجزء الخلفى منه، وقد ودخلت مرة أخرى عن طريق الباب الثانى هناك، الذى يؤدى مباشرة إلى غرفة صغيرة يستعملها تيم أحياناً كحجرة مكتب غير رسمية، وانتقلت منها إلى غرفة الجلوس.

كانت هناك ستائر ضخمة نصف منسدلة وضعت لإبقاء الغرفة باردة، انسلت الآنسة ماربل وراء إحداها، ثم انتظرت، كانت تستطيع من خلال النافذة الموجودة هنا أن ترى أى شخص يقترب من غرفة نوم مولى، مرت دقائق قليلة، أربع أو خمس، قبل أن تتمكن من رؤية أى شىء.

صعد جاكسون بزيه الأبيض وجسده الرشيق الدرج المؤدى إلى الإيوان، توقف للحظة عند الشرفة هناك، وبدا أنه نقر نقرة صغيرة على الباب الزجاجى الذى كان مفتوحاً جزئياً، لم تسمع الآنسة ماربل أية إجابة، نظر جاكسون حوله خلسة ومن ثم انسل داخل الباب المفتوح. تحركت الآنسة ماربل ناحية الباب المؤدى للحمام المشترك، ارتفع حاجبا الآنسة ماربل من الدهشة، توقفت للحظة أو اثنتين، ثم سارت إلى الممر ثم إلى الحمام من الباب الآخر.

استدار جاكسون بعد أن تفحص الرف الموجود فوق الحوض، لقد بدا مذعوراً، وهو ما كان أمراً عادياً.

قال:" أوه إننى لم....".

قالت الآنسة ماربل بدهشة بالغة:" سيد جاكسون".

قال جاكسون:" اعتقدت أنك ستكونين فى مكان ما هنا".

سألت الآنسة ماربل: "هل تريد شيئاً ما؟".

قال جاكسون:" فى الواقع، لقد كنت فقط أبحث عن مرطب الوجه الخاص بالسيدة كندال".

أقرت الآنسة ماربل فى نفسها بذكائه، حيث كان بالفعل واقفاً وفى يده علبة كريم الوجه ولقد كان ماهراً للغاية فى ذكره لتلك الحقيقة فى الحال.

قال وهو يتشمم العلبة بأنفه:" رائحة جميلة، إن هذا النوع جيد للغاية، بالنسبة لباقى المستحضرات، لا تناسب النوعيات الرخيصة أى بشرة، تسبب مثل هذه النوعيات طفح جلدياً فى بعض الأحيان، مثلها فى ذلك مثل مستحضرات تجميل الوجه الأخرى فى بعض الأحيان".

قالت الآنسة ماربل:" من الواضح أنك على دراية كبيرة بهذا الموضوع".

قال جاكسون: "لقد عملت فى مجال الأدوية لفترة. يتعلم المرء الكثير هناك عن مستحضرات التجميل، فقط ضعى أى مادة فى مرطبان له شكل رائع، غلفيه بغلاف غالٍ، بشكل جميل وثمين وستندهشين مما قد يفعله هذا بالنساء".

توقفت الآنسة ماربل عن الحديث عن عمد بعد أن قالت:" هل هذا ما؟".

أقر جاكسون قائلاً:" فى الواقع لا، لم آت إلى هنا لأتحدث عن مستحضرات التجميل".

قالت الآنسة ماربل لنفسها:" ليس لديك وقت كافٍ لتفكر فى كذبه، دعنا نر ما ستختلقه".

قال جاكسون:" فى الواقع أقرضت السيدة والترز أحمر الشفاه الخاص بها إلى السيدة كندال أمس، ولقد أتيت لأستعيده، قرعت على الباب الزجاجى ثم رأيت السيدة مولى غارقة فى نوم عميق، لذا اعتقدت أنه لا بأس فى أن أدخل إلى الحمام وأبحث عن أحمر الشفاه بنفسى".

قالت الآنسة ماربل:" فهمت. وهل وجدته؟".

هزّ جاكسون رأسه ثم قال بهدوء:" ربما يكون فى واحدة من حقائبها. لن أقوم

بتفتيشها، وعلى أى حال لم تلح السيدة والترز على هذا الأمر، لقد قالت هذا بصورة عابرة فقط"، ثم استمر فى بحثه بين المستحضرات الموجودة فى الحمام ثم قال:" ليس لديها الكثير من الأشياء، أليس كذلك؟ إنها لا تحتاج إليها فى عمرها هذا. فلديها بشرة طبيعية جيدة".

قالت الآنسة ماربل بسعادة:" لأنك تنظر إلى النساء بنظرة مختلفة عن معظم الرجال":

"نعم، أعتقد أن الوظائف المختلفة تغير وجهة نظر المرء".

"ألديك معلومات كبيرة عن الأدوية؟".

" نعم، لدى معرفة كبيرة بها من خلال العمل، لو سألتنى فإن هناك العديد منها تلك الأيام، الكثير من المهدئات وأقراص التقوية والعقارات السحرية وكل ما شابه هذا، ليس منها ضرر إذا أخذتها بناء على وصفة الطبيب، ولكنّ هناك عدداً هائلاً منها يمكنك الحصول عليه بدون وصفة طبية. وقد يمكن أن يحمل بعضها نوعاً من الخطر".

قالت الآنسة ماربل:" أعتقد هذا، نعم أعتقد هذا".

"فكما تعرفين، يكون لتلك العقاقير تأثير بالغ على السلوك مثل الكثير من هيستريا الشباب التى نراها بين الحين والآخر، إن أسباب هذه الهيستريا ليست طبيعية. لقد كان الأطفال يتعاطون مثل تلك الأشياء، ليس هناك شىء جديد فى هذا المجال، إنها معروفة منذ زمن بعيد. تحدث الكثير من الأشياء الغريبة هناك فى الشرق، ولكنى لم أذهب إلى هناك أبداً، ستندهشين من بعض الأشياء التى تعطيها النساء لأزواجهن، فعلى سبيل المثال، فى الهند قديماً، عندما كانت تتزوج امرأة شابة من رجل عجوز، لم تكن تستطيع التخلص منه، وذلك لأنها إن فعلت ذلك فسوف يتم إحراقها مع جثته، أو إذا لم يتم إحراقها فستعامل على أنها منبوذة من العائلة، لم يكن هناك أية فائدة أن تصبح المرأة أرملة فى تلك الأيام. ولكن ما كانت تفعله مثل تلك الزوجة هو أنها تبقى زوجها العجوز تحت تأثير المخدرات، وتجعل منه إنساناً نصف معتوه، تعطيه بعض العقاقير التى تسبب له الهلوسة، وتؤدى به إلى الجنون". ثم هزّ رأسه وأردف: "نعم، العديد من الأعمال الشريرة".

استمر فى حديثه قائلاً:" والساحرات أيضاً، هناك العديد من الأشياء المثيرة التى نعرفها عن الساحرات، لماذا يعترفن دائماً، لماذا يعترفن بتلك السرعة أنهن ساحرات؟ وأنهن طرن على عصى مكانسهن الطويلة فى يوم الساحرات؟".

قالت الآنسة ماربل:" ما كان يدفعهن إلى ذلك هو التعذيب".

قال جاكسون:" ليس دائماً، بالطبع للتعذيب دخل كبير فى هذا الأمر، ولكنهن كن يلقين بمثل هذه الاعترافات قبل أن يبدأ التعذيب، ولكنهن لم يكن يذكرنه كنوع من التفاخر أيضاً، ولكن كل ما فى الأمر هو أنهن كن يدلكن أجسامهن بدهانات مصنوعة

من بعض الأعشاب مثل عشبة البيلادونا السامة والأتروبين، والتى عندما يدهن بها الجسم تجعل الإنسان يدخل فى هلاوس ويشعر بأنه يطير وهؤلاء الساحرات كن يعتقدن أن كل ما يحدث حقيقى.

وانظرى إلى الحشاشين فى العصور الوسطى فى سوريا أو لبنان أو مكان من هذا القبيل، كانوا يطعمون الناس القنب الهندى والذى كان يجعلهم يدخلون فى هلاوس يرون فيها الجنة والحور العين والحياة المخلدة، وكانوا يخبرونهم بأن هذا ما سيحصلون عليه بعد الموت، ولكن لكى يستطيعون الحصول عليه كان عليهم أن يؤدوا طقوساً من القتل، أنا لا أخدعك بهذه الأشياء، ولكن هذا ما كان يحدث بالفعل".

قالت الآنسة ماربل:" ما كان يحدث حقيقة أن الناس كانوا ساذجين للغاية".

"نعم، أعتقد أنه يمكنك أن تقولى هذا".

قالت الآنسة ماربل:" إن الناس يصدقون ما يقال لهم". ثم أضافت قائلة:" نعم بالطبع، نميل جميعنا إلى القيام بهذا"، ثم أردفت بذكاء:" من الذى أخبرك بتلك القصص عن الهند وتخدير الأزواج"، ثم قالت بسرعة قبل أن يستطيع أن يرد:" هل كان الرائد بلجراف؟".

بدا جاكسون متفاجئاً إلى حد كبير وقال:" حسناً نعم فى الحقيقة كان الرائد بلجراف هو الذى أخبرنى بالعديد من تلك القصص، بالتأكيد أغلب تلك القصص حدثت قبل أن يولد، ولكن يبدو أنه كان يعلم كل شىء عنها".

"لقد سيطر على الرائد بلجراف الشعور بأنه يعرف الكثير عن كل شيء، ولكنه غالباً ما كان غير دقيق فيما يقوله للناس"، ثم هزت رأسها مفكرة وقالت:" كان لدى الرائد بلجراف العديد من الموضوعات التى يجب حسمها".

صدر صوت خافت من حجرة النوم المجاورة، أدارت الآنسة ماربل رأسها بحدة وخرجت مسرعة من الحمام إلى غرفة النوم، كانت لاكى دايسون واقفة داخل الحجرة وقالت: " أنا! لم أعتقد أنك هنا يا آنسة ماربل".

"لقد دخلت الحمام منذ دقائق". قالت الآنسة ماربل هذه الجملة بوقار وتحفظ.

ابتسم جاكسون ابتسامة عريضة وهو واقف فى الحمام. كان دومـــاً ما يسخر من هذا التحفظ.

قالت لاكى: "لقد كنت أتساءل عما إذا كنت تريدينى أن أجلس مع مولى قليلاً"، ثم نظرت ناحية السرير وقالت:" إنها نائمة، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل:" أعتقد هذا، ولكنها بأحسن حال، اذهبى أنت واستمتعى بوقتك يا عزيزتى، أعتقد أنك كنت ذاهبة معهم فى تلك الرحلة الاستكشافية؟".

قالت لاكى:" كنت ذاهبة معهم، ولكن داهمنى صداع مؤلم، وقررت فى اللحظة الأخيرة ألا أذهب. لذا اعتقدت أنه علىّ أن أساعد فى شىء ما".

قالت الآنسة ماربل:"إن هذا لطف منك للغاية"، ثم جلست مرة أخرى بجانب السرير واستمرت فى حياكتها قائلة:"ولكننى سعيدة بوجودى هنا للغاية".

ترددت لاكى لدقيقة أو دقيقتين ثم استدارت، ومن ثم خرجت، انتظرت الآنسة ماربل قليلاً ثم عادت على أطراف أصابعها إلى الحمام، ولكن جاكسون كان قد غادر، من الباب الآخر بالتأكيد، أخذت الآنسة ماربل علبة مرطب الوجه التى كان يمسكها جاكسون ووضعتها فى جيبها.

الفصل الثاني والعشرون

رجل فى حياتها؟

لم يكن إجراء محادثة قصيرة مع دكتور جراهام بشكل عابر بالشىء السهل كما تمنت الآنسة ماربل، لقد كانت قلقة من الاقتراب منه مباشرة لأنها لم تكن تريد إعطاء الأسئلة التى كانت على وشك أن تسأله إياها حجماً أكبر من حجمها.

عاد تيم ليراعى مولى، وقد قررت الآنسة ماربل أنها يجب أن تحل محله وقت تقديم العشاء لأنهم يحتاجون إليه فى قاعة الطعام، أكد لها أن السيدة دايسون كانت راغبة فى أن تقوم هى بهذا، أو حتى السيدة هيلنجدون، ولكن الآنسة ماربل أصرت على أن كلتيهما امرأتان شابتان يجب عليهما الاستمتاع بوقتهما وأنها هى نفسها تفضل أن تتناول وجبة خفيفة باكراً وهذا الوضع يناسب جميع الأفراد، شكرها تيم بحرارة مرة أخرى، وأثناء سيرها حول الفندق بلا هدى وفى الممر الذى يربط بين الأكواخ المختلفة، التى كان كوخ الدكتور جراهام من بينها، حاولت الآنسة ماربل أن تخطط لما سوف تقوم به بعد هذا.

كان رأس الآنسة ماربل يمتلىء بالأفكار المتضاربة والمشوشة، وإن كان هناك شىء لم تكن تحبه الآنسة ماربل فكان هو تشوش وتضارب الأفكار، لقد بدأ الأمر كله واضحاً بصورة كافية. الرائد بلجراف وقدرته الهائلة على سرد القصص، ثرثرته التى جعلت أحدهم يسمعه بالصدفة وكانت النتيجة الطبيعية موته فى خلال أربع وعشرين ساعة، اعتقدت الآنسة ماربل أنه لم يكن هناك شىء صعب فى هذا.

ولكن بعد ذلك، كان عليها أن تعترف، أصبح كل شىء صعباً. فأصابع الاتهام تشير إلى اتجاهات مختلفة، وفجأة تجد أنك لم تصدق كلمة مما قيل لك، وأنه لا يمكن الوثوق بأحد، وأن العديد من الأشخاص الذين تحدثت معهم هنا متشابهون مع أشخاص بعينهم فى سانت مارى ميد، لكن إلى أين يؤدى كل هذا؟

كان تفكيرها مركزاً بصورة كبيرة على الضحية، هناك شخص ما سيُقتَل وكان لديها إحساس متزايد بأنه عليها أن تعلم من سيكون هذا الشخص، كان هناك شىء ما. شىء سمعته؟ لاحظته؟ رأته؟

شىء قاله لها شخص له علاقة بالقضية، هل هى جوان بريسكوت؟ قالت جوان

بريسكوت العديد من الأشياء عن العديد من الأشخاص، فضيحة؟ نميمة؟ ما الذى قالته جوان بريسكوت بالضبط؟

جريجورى دايسون، لاكى دار تفكير الآنسة ماربل حول لاكى لقد كانت الآنسة ماربل مقتنعة نتيجة لشكوكها الطبيعية، أنه كان لها علاقة بموت زوجة جريجورى الأولى، كل الدلائل تشير إلى هذا، هل من الممكن أن يكون جريجورى دايسون هو الضحية المقدر عليها الموت والتى ينصب عليها كل خوفها؟ وذلك لأن لاكى تريد أن تجرب حظها مع زوج آخر، ولهذا السبب لم ترد أن تحصل على الحرية فقط، ولكن أرادت أيضاً أن تحصل على ميراث كبير سوف تحصل عليه باعتبارها أرملة جريجورى دايسون؟

قالت الآنسة ماربل لنفسها:"ولكن فى الواقع كل هذا مجرد تخمين، لقد أصبحت غبية، أعلم أننى أصبحت غبية، يجب أن تكون الحقيقة واضحة تماماً، إذا استطاع المرء فقط أن يزيح الغمام، الكثير من التشوش، هذا هو الأمر".

قال السيد رافيل:" هل تتحدثين إلى نفسك؟".

قفزت الآنسة ماربل من مكانها، لم تلحظه وهو يقترب، كانت تسنده إستر والترز وكان يسير ببطء متجهاً إلى قاعة الطعام.

"لم ألحظك فعلاً يا سيد رافيل".

"شفتاك كانتا تتحركان، ما الذى يجعلك فى مثل هذه الحالة؟ يبدو أن هناك أمراً ملحاً يشغلك".

قالت الآنسة ماربل:" إن الأمر هكذا فعلاً، إننى فقط لا أستطيع أن أعرف ما الذى يجب أن يكون واضحاً وضوحاً تاماً".

" أنا سعيد أن يكون الأمر بتلك السهولة حسناً، لو أردت أية مساعدة، اعتمدى علىّ".

أدار رأسه عندما كان جاكسون يقترب منهم عبر الممر.

"ها أنت ذا يا جاكسون. أين كنت أيها الشيطان؟ إنك دائماً لا تكون قريباً عندما أحتاج إليك".

"أنا آسف يا سيد رافيل".

ثم وضع كتفه تحت كتف السيد رافيل ببراعة وقال:

"هل نتجه إلى قاعة الطعام يا سيدى؟".

قال السيد رافيل:" يمكنك أن تأخذنى إلى الملهى. حسناً يا إستر يمكنك أن تذهبى وترتدى ملابس السهرة قابلينى فى قاعة الطعام خلال نصف ساعة".

ذهب هو وجاكسون مع بعضهما، فى حين ألقت السيدة والترز بنفسها على كرسى بجانب الآنسة ماربل، وحكت ذراعها برفق، ثم قالت:

"إن وزنه خفيف للغاية، ولكنى أشعر بأن ذراعى متصلبة قليلاً، لم أرك فى ظهيرة اليوم على الإطلاق يا آنسة ماربل".

قالت الآنسة ماربل موضحة:" لقد كنت جالسة مع مولى كندال، لقد تحسنت كثيراً".

قالت إستر والترز:" إذا سألتنى عن رأيى سأقول إنها لم تصب بأى أذى على الإطلاق".

رفعت الآنسة ماربل حاجبيها فقد كانت لهجة إستر والترز جافة بشكل واضح.

"أتعنين أن محاولة الانتحار تلك...".

قالت إستر والترز:"أعتقد أنه لم يكن هناك أى محاولة انتحار، لا أعتقد للحظة أنها أخذت جرعة زائدة وأعتقد أن دكتور جراهام يعلم هذا جيداً".

قالت الآنسة ماربل:" لقد أثرت اهتمامى للغاية بهذا الكلام".

" لأننى تقريباً متأكدة أن هذا هو ما حدث، إن هذا الأمر يحدث كثيراً للغاية، على ما أعتقد أن هذه طريقة لجذب الانتباه".

قالت الآنسة ماربل:"تريد أن ترى مدى حب زوجها لها؟".

اتفقت معها إستر والترز وقالت:" شىء من هذا القبيل، إلا أننى لا أعتقد أن هذا كان الدافع وراء هذا الموقف بالتحديد، فما تقولينه هو ما تفعله امرأة زوجها غير مهتم بها وهى مولعة به للغاية".

"ألا تعتقدين أن مولى كندال مولعة بزوجها؟".

قالت إستر والترز:" حسناً، هل تعتقدين أنت ذلك؟".

قالت الآنسة ماربل:" أعتقد ذلك، أفترض هذا على الأقل". ثم توقفت للحظة قبل أن تضيف قائلة:" ربما أكون مخطئة".

كانت إستر تبتسم بسخرية.

"لقد سمعت شيئاً عنها، عن الموضوع بأكمله".

"من الآنسة بريسكوت؟".

قالت إستر:" من شخص أو اثنين، هناك رجل له دخل فى الموضوع، شخص كانت مولعة به ولكن أهلها كانوا معترضين عليه للغاية".

قالت الآنسة ماربل:" نعم، لقد سمعت عن هذا الأمر".

ثم تزوجت تيم بعد ذلك، ربما كانت مولعة به بصورة أو بأخرى، ولكن الرجل الآخر لم يتوقف عن ملاحقتها تساءلت كثيراً عما إذا كان قد تبعها إلى هنا بالفعل".

" حقًا. ولكن من هو؟".

قالت إستر:" ليس لدى أية فكرة عمن يكون لكنى أعتقد أنهما حذران للغاية".

" هل تعتقدين أنها مازالت مهتمة بهذا الرجل الآخر؟".

هزت إستر كتفيها ثم قالت:" أستطيع أن أقول إنه شخص سيئ. ولكن هذا النوع من الرجال يعرف كيف يسرق قلب المرأة ويسيطر عليها تماماً".

"ألم تسمعى أى شىء عن هذا الرجل أى نوع من الرجال هو ماذا فعل أى شىء مثل هذا؟".

هزت إستر رأسها قائلة:" لا، لدى الناس العديد من التخمينات، ولكن لا يمكنك الاعتماد على هذا النوع من الأقاويل، ربما يكون متزوجًا. قد يكون هذا هو السبب وراء رفض أهلها له، أو ربما يكون رجلاً سيئًا. ربما يكون شخصاً سكيراً. ربما يكون متهمًا بجريمة ما لا أعرف. ولكنها لا تزال تهتم به، هذا ما أنا متأكدة منه بشدة".

قالت الآنسة ماربل باندفاع:" هل رأيت شيئاً ما، هل سمعت شيئاً ما؟".

قالت إستر بصوت حاد وعنيف:" أعرف ما أتحدث عنه".

بدأت الآنسة ماربل فى الحديث مرة أخرى قائلة: "حوادث القتل تلك ـ".

قالت إستر،" ألا تنسين حوادث القتل أبدًا؟ لقد جعلت السيد رافيل فى حيرة بشأنها. ألا تستطيعين فقط أن تتركى الأمر كما هو؟ لن تكتشفى المزيد أبداً، أنا متأكدة من هذا".

نظرت إليها الآنسة ماربل، ثم قالت:

"أنت تعتقدين أنكِ تعرفين شيئاً، أليس كذلك؟".

"نعم، أعتقد أننى أعرف شيئاً. أنا متأكدة للغاية".

قالت الآنسة ماربل:" أليس عليكِ أن تقولى ما تعرفينه أو أن تفعلى شيئاً بشأنه؟".

"لماذا يجب علىّ أن أقوم بهذا؟ ما الذى سيفيد فيه هذا الأمر؟ لا أستطيع أن أثبت شيئاً، ما الذى سيحدث على أى حال؟ يهرب العديد من الأشخاص من العقاب فى هذه الأيام بسهولة، ويُبرَر هذا بعدم كفاية الأدلة، وأشياء من هذا القبيل، سيقضى سنوات قليلة فى السجن ثم سيخرج مرة أخرى، فى أتم صحة".

لنفترض أنك إذا لم تقولى ما تعرفينه، فإن ذلك سيؤدى إلى مقتل شخص آخر أى وجود ضحية أخرى".

هزت إستر رأسها بثقة، ثم قالت:" هذا لن يحدث".

"لا يمكنك التأكد من هذا".

تجهم وجهها ثم قالت:" أنا متأكدة، وعلى أى حال أنا لا أعرف من "، ثم أضافت قائلة بكلمات غير مترابطة:" على كل حال، ربما أنه ليس إذا كنت فعلاً مضطربة عقلياً، أوه لا أعرف، على كل حال فإن أفضل شىء سيحدث هو أن تهرب مع هذا الشخص أياً كان، ثم سنستطيع جميعنا أن ننسى الأمر".

نظرت إلى ساعتها، وبدا على وجهها الانزعاج ثم نهضت قائلة:

"يجب أن أذهب وأبدل ملابسى".

ظلت الآنسة ماربل جالسة وهى تنظر إلى إستر، فكرت فى أن "الضمائر" عادة ما تكون محيرة وأن النساء أمثال إستر يستخدمونها بطرق عشوائية، هل كانت إستر والترز مقتنعة لسبب أو لآخر بأن المسئول عن حوادث قتل الرائد بلجراف وفيكتوريا هو امرأة؟ لقد بدا الأمر كذلك، فكرت الآنسة ماربل ملياً.

"أوه، الآنسة ماربل جالسة هنا بمفردها ولا تمسك حتى بأعمال الحياكة خاصتها؟".

لقد كان هذا هو دكتور جراهام الذى طالما بحثت عنه ولم تنجح فى الوصول إليه، كان مستعداً للجلوس معها برغبته لدقائق قليلة للحديث، لن يبقى طويلاً، كما اعتقدت الآنسة ماربل، لأنه كان يريد أن يذهب ليبدل ملابسه للعشاء، وكان عادة ما يتناول وجبة العشاء مبكراً للغاية. وضحت له أنها كانت جالسة بصحبة مولى كندال فى الظهيرة.

قالت الآنسة ماربل:" بالتأكيد لا يصدق المرء أنها قد تعافت بتلك السرعة".

قال دكتور جراهام:"حسناً هذا لا يثير الدهشة للغاية. فهى لم تأخذ جرعة زائدة".

قالت الآنسة ماربل:" لقد علمت أنها أخذت نصف زجاجة أقراص كاملة".

ابتسم الدكتور جراهام بلطف،

ثم قال:" لا، لا أعتقد أنها تناولت هذه الكمية، يمكن أن أقول إنها كانت على وشك أن تتناولها، ثم ألقت بنصفها بعيداً فى اللحظات الأخيرة؛ فعندما يرغب أحد الأشخاص فى الانتحار، فإنه لا يكون صادقاً تماماً فى تلك الرغبة، ولذلك لا يقوم بتناول كمية كبيرة دفعة واحدة، ولا يعد ذلك خداعاً مقصوداً، فما يحرك المرء وقتها هو عقله الباطن، وذلك حتى يحميه من نفسه".

قال الآنسة ماربل:"أو قد يكون ذلك مقصوداً، أعنى، الرغبة فى أن يبدو الأمر وكأنه..."،ثم توقفت الآنسة ماربل عن الحديث.

قال الدكتور جراهام:" هذا محتمل هل حدث شجار بينها وبين تيم؟".

"لا يحدث بينهما شجارات فهما مغرمان ببعضهما البعض، ولكن أعتقد أنه ربما يحدث بينهما شجار بين الحين والآخر، لا أعتقد أنها تعانى من شىء ما الآن. يمكنها الآن أن تغادر الفراش وتتحرك أينما شاءت، ولكن من الأفضل أن تظل فى مكانها للراحة ليوم أو يومين ـ".

نهض من على المقعد، وأومأ بود واتجه ناحية الفندق بينما جلست الآنسة ماربل فى مكانها لفترة أطول.

دارت العديد من الأفكار فى رأسها الكتاب الموجود تحت مرتبة فراش مولى الطريقة التى تظاهرت بها بالنوم.

أشياء قالتها جوان بريسكوت وإستر والترز بعد ذلك...

ثم عادت إلى بداية الأمر إلى الرائد بلجراف،

شىء ما تصارع داخل رأسها. شىء بخصوص الرائد بلجراف،

لو أنها فقط استطاعت أن تتذكر هذا الشىء.

الفصل الثالث والعشرون

اليوم الأخير

1

قالت الآنسة ماربل لنفسها:" أشعر بأنه اليوم الأخير".

ثم نهضت مرة أخرى من على كرسيها وهى مضطربة ق-لي-لاً لقد غفت، وهو أمر صعب التصديق لأن الفرقة الموسيقية كانت لا تزال تعزف ومن ذا الذى يستطيع النوم مع وجود الفرقة الموسيقية حسنًا، اعتقدت الآنسة ماربل أن هذا يعكس مدى تعودها على هذا المكان! ما الذى كانت تقوله؟ بعض الكلمات التى أخطأت فيها، اليوم الأخير؟ اليوم الأول، هذا ما يجب أن يكون. لم يكن اليوم الأول، ومن الطبيعى أنه لم يكن اليوم الأخير أيضًا.

وقفت منتصبة مرة أخرى. فى الواقع كانت متعبة للغاية، كل هذا القلق، هذا الشعور بأن المرء يعانى عجزاً بشكل أو بآخر... تذكرت مرة أخرى بضيق تلك النظرة الخبيثة الغريبة التى نظرت بها مولى إليها من تحت جفنيها نصف المغلقين، ما الذى كان يدور فى رأس تلك الفتاة؟ فكرت الآنسة ماربل كيف بدا كل شىء مختلفاً فى البداية، تيم كندال ومولى، هذان الزوجان السعيدان، آل هيلنجدون، لطيفان للغاية، وعلى قدر كبير من الذوق والكياسة جريج دايسون المرح الصاخب، ولاكى زوجته المرحة ذات الصوت الحاد والتى تتحدث كثيراً، وتحب نفسها وتحب الحياة بشدة، أربعة أشخاص يتعايشون مع بعضهم البعض فى أحسن حال، بريسكوت رجل الدين المرح ذو القلب الحنون، وجوان بريسكوت التى تخيم عليها مسحة من المرارة، ولكنها امرأة لطيفة جداً، والنساء اللطيفات يفضلن الثرثرة والنميمة ويحببن أن يعرفن كل ما يدور حولهن، ويعرفن كل شىء، وليس هناك أى ضرر من مثل هؤلاء النسوة، صحيح أن ألسنتهن لاذعة، إلا أنهن يتسمن بالدفء والحنان عندما تحل مصيبة بأحد الأشخاص، السيد رافيل، شخصية مميزة، رجل ذو شخصية قوية، رجل لا يمكن نسيانه، ولكن الآنسة ماربل اعتقدت أنها تعرف شيئًا آخر عن السيد رافيل.

لقد يئس الأطباء من حالته، هكذا قال، ولكنها اعتقدت هذه المرة أنهم كانوا أكثر يقيناً من أمر وفاته. عرف السيد رافيل أن أيامه معدودة.

ولكن بعد أن تأكد من هذه الحقيقة، هل هناك أى إجراء يمكن أن يقوم به؟

فكرت الآنسة ماربل كثيراً فى هذا السؤال.

ظنت الآنسة ماربل أنه يجب عليه أن يقوم بشىء ما.

ما الذى قاله بالضبط؟ لقد كان صوته عالياً للغاية، وواثقاً للغاية. كانت الآنسة ماربل ماهرة للغاية فى معرفة الأصوات، لقد أنصتت للكثيرين فى حياتها.

لقد أخبرها السيد رافيل بشىء غير حقيقى.

نظرت الآنسة ماربل حولها، نسيم الليل، عطر الزهور الهادئ، الطاولات بأضوائها الخافتة، النساء اللاتى يرتدين الملابس الملونة، ايفلين فى ردائها الأزرق الداكن وبنقوشه البيضاء ولاكى فى ردائها الأبيض، وشعرها الذهبى اللامع، تبدو السعادة على جميع الناس الليلة. حتى تيم كندال كان يبتسم، مر من جانب طاولتها وقال: "أنا عاجز عن شكرك لكل ما فعلته، لقد عادت مولى إلى طبيعتها مرة أخرى، قال الطبيب أن بإمكانها أن تغادر فراشها فى الغد".

ابتسمت الآنسة ماربل وقالت إن هذه أخبار جيدة. وجدت صعوبة فى أن تبتسم، كانت متعبة بالتأكيد...

وقفت ثم سارت ببطء باتجاه كوخها، كانت تفضل أن تستمر فى التفكير، فى محاولة التذكر، محاولة وضع حقائق وكلمات ونظرات مختلفة فى مكانها، ولكنها لم تكن قادرة على فعل هذا، ثار عليها عقلها المرهق. قال:"نامى! يجب أن تخلدى للنوم!".

خلعت الآنسة ماربل ملابسها، ذهبت إلى الفراش، قرأت سطوراً قليلة من قصة "توماس أكيمبيس" التى كانت تتركها بجانب سريرها، ثم أطفأت النور، ثم دعت ربها فى الظلام، لا يستطيع المرء أن يفعل كل شىء بنفسه. يجب أن يجد المرء مساعدة، تمتمت قائلة بأمل:" أتمنى ألا يحدث شىء الليلة".

2

استيقظت الآنسة ماربل فجأة وجلست فى السرير، كان قلبها يدق بعنف، أضاءت النور ونظرت إلى الساعة الصغيرة الموجودة بجانب السرير، الساعة الثانية صباحاً، الساعة الثانية صباحاً وهناك جلبة بالخارج، نزلت من على السرير، وارتدت رداء النوم وارتدت نعليها وغطت رأسها بغطاء صوفى وخرجت لتستطلع لأمر، كان هناك أناس يتحركون حاملين مصابيح وكشافات. رأت جيريمى بريسكوت وذهبت إليه.

قالت:"ما الذى يحدث؟".

"أوه آنسة ماربل؟ إنها السيدة كندال، استيقظ زوجها، ولم يجدها بجانبه على السرير، إننا نبحث عنها".

ثم ذهب مسرعًا. سارت الآنسة ماربل وراءه ببطء، أين ذهبت مولى؟ لماذا؟ هل خططت لهذا عن عمد، خططت لأن تهرب حينما قلت الحراسة عليها وبينما كان زوجها غارقًا فى النوم؟ اعتقدت الآنسة ماربل أن هذا كان محتملاً. ولكن لماذا؟ ماذا كان السبب؟ هل كان هناك، كما أشارت إستر والترز، رجل آخر؟ لو كان الأمر كذلك، فمن هو هذا الرجل؟ أم هناك سبب أكثر شرًا؟

سارت الآنسة ماربل تنظر حولها، وتنظر تحت الشجيرات. ثم سمعت فجأة نداء خافتًا:

"هنا.... من هذا الاتجاه....".

جاءت الصرخة من مسافة قريبة وراء محيط الفندق. اعتقدت الآنسة ماربل أن هذا الصوت يجب أن يكون صادراً من جدول المياه الصغير الذى يصب فى البحر. ذهبت إلى هذا الاتجاه بأسرع ما يمكن.

لم يكن هناك العديد من الباحثين فى الواقع كما بدا لها فى أول الأمر، بالتأكيد إن معظم الناس مازالوا فى منازلهم، رأت مكاناً على ضفة الجدول، حيث كان يقف بعض الناس، شق شخص ما طريقه من جانبها وكاد يسقطها أرضًا، وجرى فى هذا الاتجاه، كان تيم كندال. بعد دقيقة أو اثنتين سمعت صوته يصرخ قائلاً:

"مولى! يا إلهى، مولى!".

انضمت الآنسة ماربل إلى المجموعة بعد دقيقة أو دقيقتين، تكونت المجموعة من أحد الكوبيين وإيفلين هيلنجدون وفتاتان من السكان الأصليين، تفرقوا ليدعوا تيم يمر، وصلت الآنسة ماربل بينما كان تيم يجثو على ركبتيه ليرى ما حدث.

سقط على ركبته ببطء قائلاً:" مولى...." رأت الآنسة ماربل جسد الفتاة بوضوح، مستلقية فى الجدول، ووجهها قابعًا تحت المياه، وشعرها الذهبى منسدلاً على شالها الأخضر الفاتح المطرز الذى يغطى كتفيها، بدا هذا المشهد وكأنه مأخوذ من مسرحية هاملت وكأن مولى هى الفقيدة أوفيليا بين أوراق الشجر وتيارات المياه بالجدول...

عندما مد تيم يده ليلمسها، تقدمت الآنسة ماربل بفطرتها السليمة وهدوئها وتحدثت معه بقوة ورزانة قائلة:

"لا تحركها يا سيد كندال، لا يجب أن يتم تحريكها".

نظر إليها تيم بوجه يملؤه الذهول قائلاً:

"ولكن يجب على إنها مولى، يجب على أن ـــ".

وضعت إيفلين هيلنجدون يدها على كتفه.

ثم قالت:" لقد ماتت يا تيم. لم أحركها ولكننى تحسست نبضها".

قال تيم غير مصدق ما قيل:" ماتت؟ ماتت؟ هل تعنين أنها أغرقت نفسها؟".

أخشى أن هذا هو ما حدث، فهذا ما يبدو بالفعل".

"ولكن لماذا؟"، صرخ الشاب صرخة عالية:" لماذا؟ لقد كانت سعيدة للغاية هذا الصباح، وكانت تتحدث عما سنفعله غداً، لماذا جاءت فكرة الموت المروعة تلك على بالها مرة أخرى؟ لماذا خرجت من البيت دون أن تخبرنى كما فعلت وانطلقت فى ظلام الليل هذا، وأتت إلى هنا وأغرقت نفسها؟ ما الذى جعلها تيأس من حياتها هكذا أية معاناة حلت بها جعلتها تقوم بذلك لماذا لم تخبرنى عن أى شيء؟".

قالت إيفلين بشفقة:" لا أعرف يا عزيزى، لا أعرف".

قالت الآنسة ماربل:

"من الأفضل أن يحضر أحد الدكتور جراهام، ويجب أن يتصل أحد بالشرطة".

ضحك تيم ضحكة مريرة وقال: " الشرطة؟ ما الذى سيفعلونه؟".

قالت الآنسة ماربل:

"يجب أن يتم إعلام الشرطة فى حالات الانتحار".

وقف تيم على قدميه ببطء.

قال بصوت متهدج:" سأحضر جراهام، ربما حتى الآن يستطيع أن يفعل أى شىء".

جر قدميه ذاهباً تجاه الفندق.

وقفت كل من إيفلين هيلنجدون والآنسة ماربل بجانب بعضهما البعض تنظران إلى الفتاة الميتة.

هزت إيفلين رأسها:" لقد فات الأوان، إنها باردة تماماً، يبدو أنها قد ماتت منذ حوالى ساعة ربما أكثر من ذلك، إنها لمأساة. لقد بدا هذان الاثنان سعيدين دوماً. أعتقد أنها كانت دائماً تعانى من اضطرابات".

قالت الآنسة ماربل:" لا، لا أعتقد أنها كانت تعانى من اضطرابات نفسية".

نظرت إليها إيفلين باستغراب ثم قالت:" ماذا تعنين بقولك هذا؟".

كان القمر مغطى بسحابة، ولكنه ظهر الآن فى الفضاء الفسيح، ألقى بضوئه الفضى المشع على شعر مولى المنثور...

أصدرت الآنسة ماربل صيحة مفاجئة، مالت إلى الأسفل محدقة، ثم فردت ذراعها ولمست الرأس الذهبية تحدثت إلى إيفلين هيلنجدون، وبدا صوتها مختلفًا تمامًا.

قالت:" أعتقد أنه من الأفضل أن نتأكد".

حملقت إيفلين هيلنجدون بها فى دهشة.

"ولكنك قلت بنفسك لتيم إننا لا يجب أن نلمس أى شىء؟".

" أعلم ولكن القمر لم يكن ظاهراً، لم أر ـــ".

أشارت بأصبعها، ثم لمست الشعر الأشقر بلطف شديد وفرقته حتى أظهرت جذوره...

صاحت إيفلين بحدة قائلة:

" لاكى!".

ثم بعد دقيقة كررت ما قالته:

" هذه ليست مولى... إنها لاكى".

أومأت الآنسة ماربل قائلة:" إن شعرهما كان بنفس اللون تقريباً، ولكن شعر لاكى بالتأكيد كانت جذوره داكنة لأنه مصبوغ".

قالت إيفلين:"ولكنها ترتدى شال مولى!".

قالت الآنسة ماربل:" كان يعجبها بشدة، لقد سمعتها تقول إنها ستذهب لشراء واحد مثله، من الواضح أنها قامت بذلك".

"هذا هو السبب الذى جعلنا ننخدع...".

توقفت إيفلين عن الحديث عندما قابلت عينى الآنسة ماربل وهى ترقبها.

قالت الآنسة ماربل:" يجب أن يخبر شخص ما زوجها".

توقفتا عن الحديث للحظة، ثم قالت إيفلين:

"حسنًا. سوف أقوم بهذا".

استدارت وسارت مبتعدة بين النخيل.

ظلت الآنسة ماربل بلا حراك لدقيقة ثم أدارت رأسها قليلاً وقالت:

"كولونيل هيلنجدون؟"

أتى إدوارد هيلنجدون من بين الأشجار الموجودة خلفها ووقف بجانبها.

"أكنت تعلمين أننى هناك؟".

قالت الآنسة ماربل:" لقد رأيت ظلك".

وقف فى صمت لدقيقة.

قال وكأنه يتحدث إلى نفسه:

"إذن فهى النهاية، لقد ذهب كل ما أرادته هباء...".

"أعتقد أنك مسرور لأنها ماتت؟".

"وهل هذا يدهشك؟ حسنًا، أنا لا أنكر هذا. أنا سعيد بأنها ماتت".

"غالبًا ما يمثل الموت حلاً للمشكلات".

أدار إدوارد هيلنجدون رأسه ببطء فالتقت عيناه بعينى الآنسة ماربل التى نظرت إليه بهدوء وثبات.

"لو تعتقدين ـ"، ثم اتجه ناحيتها بخطوة حادة.

ثم بدا تهديد مفاجئ فى لهجته.

قالت الآنسة ماربل بهدوء:

"ستعود زوجتك مع السيد دايسون فى غضون لحظات. أو سيصل السيد كندال إلى هنا مع الدكتور جراهام".

هدأ إدوارد هيلنجدون، وعاد للوراء لينظر إلى السيدة الميتة الملقاة.

انسلت الآنسة ماربل من المكان بهدوء وقد تثاقلت خطواتها الآن.

ثم توقفت قبل أن تصل إلى بيتها بالضبط، هذا هو المكان الذى جلست فيه عندما كانت تتحدث إلى الرائد بلجراف، هذا هو المكان الذى بحث فيه بداخل محفظته عن صورة القاتل.....

تذكرت كيف تغيرت ملامحه، وكيف أحمر وجهه....؟"، قبيح للغاية "، كما قالته سنيورا دى كاسبيرو.

"عينه شريرة".

العين الشريرة.... عين.... عين....

الفصل الرابع والعشرون

نمسيس

1

على الرغم من كل صفارات الإنذار والجلبة التى حدثت بالليل، فإن السيد رافيل لم يسمع كل هذا.

كان غارقًا فى نومه فى السرير. مطل-قًا شخيراً خافتاً عندما أمسك أحد بكتفيه وهزه بشدة.

"ما ما هذا ما الذى يحدث؟".

قالت الآنسة ماربل بتلقائية،" إنه أنا، إلا أنه كان من الواجب أن أدفعك أقوى من هذا، إن اليونانيين عندهم رمز لذلك، إنها نمسيس رمز الانتقام لو لم أكن مخطئة".

رفع السيد رافيل نفسه على الوسائد على قدر ما استطاع، وحملق بها، كانت السيدة ماربل واقفة هناك تحت ضوء القمر ورأسها مغطاة بوشاح صوفى قرمزى خفيف، لم تشبه الآنسة ماربل فى أى شىء نمسيس رمز الانتقام.

قال السيد رافيل بعد أن ساد الصمت للحظات:"إذن أنت نمسيس رمز الانتقام، أليس كذلك؟".

"أتمنى أن أصبح هكذا بمساعدتك".

"أتمانعين فى أن تقولى لى بصراحة ما الذى تتحدثين عنه بهذا الشكل فى منتصف الليل".

"أعتقد أنه يجب علينا أن نتحرك بسرعة. بسرعة كبيرة، لقد كنت حمقاء، حمقاء للغاية، كان يجب علىّ من البداية أن أعرف لماذا يحدث كل هذا. لقد كان هذا سهلاً للغاية".

"ما الذى كان سهلاً، وما الذى تتحدثين عنه؟".

قالت الآنسة ماربل: "لقد كان نومك عميقاً، لقد وجدوا جثة، اعتقدنا فى البداية

أنها جثة مولى كندال. ولكن لم تكن هى، إنها لاكى دايسون، لقد غرقت فى الجدول".

قال السيد رافيل:" لاكى، ماذا؟ وغرقت؟ فى الجدول، هل أغرقت نفسها أم أغرقها شخص ما؟".

قالت الآنسة ماربل:" أغرقها شخص ما".

"فهمت، على الأقل أعتقد أننى فهمت، هذا ما تعنين بقولك أن الأمر بسيط للغاية، أليس كذلك؟ لقد كان جريج دايسون دائماً هو المشتبه به الأول، وهو المتهم الحقيقى، هل الأمر كذلك؟ هل هذا ما تعتقدينه؟ وما أنت خائفة منه هو أنه ربما يهرب من العقاب من فعلته تلك".

أخذت الآنسة ماربل نفساً عميقاً.

"هل ستثق فيما أقوله لك يا سيد رافيل؟ يجب علينا أن نمنع حادثة قتل تحدث الآن".

"أعتقد أنك قلت إنها حدثت بالفعل".

"لقد حدثت هذه الجريمة على سبيل الخطأ من الممكن أن تحدث حادثة قتل أخرى فى أية لحظة لا يجب أن نضيـــع الوقت، يجب أن نمنع حدوثها، يجب أن نذهب حالاً".

قال السيد رافيل:" إن الكلام أسهل من الفعل، أتقولين نحن؟ ماذا فى اعتقادك يمكننى أن أفعل حيال هذا الأمر؟ أنا لا أستطيع حتى أن أسير دون أن يساعدنى أحد، كيف يمكننى أنا وأنت أن نشرع فى منع جريمة قتل؟ إن سنك تقارب المائة وأنا رجل عجوز منكسر الظهر".

قالت الآنسة ماربل:" كنت أفكر فى جاكسون. سينفذ جاكسون كل مل تطلبه منه، أليس كذلك؟".

قال السيد رافيل:" سيقوم بما أطلبه منه بالتأكيد، خاصة إذا أضفت أن هذا الأمر سينال عليه مكافأة مجزية. هل هذا ما تريدينه؟".

"نعم. أخبره بأن يأتى معى وأن يطيع أى أوامر آمره بها".

نظر إليها السيد رافيل حوالى ست ثوانٍ. ثم قال:

"اعتبرى أن الأمر انتهى، أعتقد أننى أقوم بأكبر مخاطرة فى حياتى، ولكنها لن تكون المرة الأولى". ثم رفع صوته قائلاً: " جاكسون ". وضغط الجرس الآلى الموجود بجانب يده فى نفس الوقت بالكاد مرت ثلاثون ثانية قبل أن يظهر جاكسون من خلال الباب المؤدى إلى الغرفة المجاورة.

"أناديت وأطلقت الجرس يا سيدى؟ هل هناك ما يسوء؟"، توقف عن الحديث محملقاً

فى الآنسة ماربل.

"الآن يا جاكسون افعل كما أقول لك، سوف تذهب مع هذه الآنسة، الآنسة ماربل. ستذهب معها أينما أخذتك وستفعل ما تقوله لك بالضبط. ستطيع كل أمر تأمرك به، هل هذا مفهوم؟".

قال جاكسون:"أنا".

"هل هذا مفهوم؟"

"نعم يا سيدى".

قال السيد رافيل:" ولن تخسر شيئاً بالقيام بهذا بل سأكافئك على هذا العمل".

"أشكرك يا سيدى".

قالت الآنسة ماربل:" تعال هنا يا جاكسون". تحدثت وهى تنظر من فوق كتفها للسيد رافيل:"سوف نخبر السيدة والترز أن تأتى إليك فى طريقنا للخارج سنرسلها إليك لتساعدك على النهوض من الفراش وتأتى بك خارجاً".

"وتأتى بى إلى أين؟".

"إلى بيت آل كندال. أعتقد أن مولى ستعود إلى هناك".

2

أتت مولى من الممر القادم من البحر، حملقت عيناها إلى الأمام بثبات، كانت تصدر أنيناً خافتاً من تحت أنفاسها بين الحين والآخر...

صعدت درج الإيوان وتوقفت للحظة، دفعت النافذة لتفتحها وسارت إلى غرفة النوم، كانت الأنوار مضاءة ولكن لم يكن أحد فى الغرفة، سارت مولى إلى السرير وجلست. جلست لبضع دقائق، وأخذت تفرك جبهتها.

انسلت يدها تحت المرتبة مخرجة الكتاب الذى كان مخفياً هناك بعد أن نظرت حولها خلسة، مالت نحوه، وأخذت تقلب الصفحات حتى تجد ما تريده.

ثم رفعت رأسها عندما سمعت صوت وقع أقدام مسرعة بالخارج، دفعت الكتاب خلف ظهرها بحركة تدل على المكر.

دخل تيم كندال لاهثـًا، وتنهد بارتياح عند رؤيتها.

"حمداً لله، أين كنت يا مولى؟ لقد كنت أبحث عنك فى كل مكان".

"ذهبت إلى الجدول".

"ذهبتِ إلى ـ"، ثم توقف عن الحديث.

"نعم. ذهبت إلى الجدول، ولكن لم أستطع أن أنتظر هناك، لم أستطع، كانت هناك امرأة فى الماء وكانت ميتة".

"أتعنين أتعلمين أننى اعتقدت أنها كانت أنت، لقد اكتشفت مؤخراً أنها لاكى".

"لم أقتلها، حقاً يا تيم لم أقتلها، أنا متأكدة من أننى لم أقتلها، أعنى كنت سأتذكر إذا كنت قد قمت بهذا، أليس كذلك؟".

جلس تيم ببطء على مؤخرة السرير.

"أنت لم أأنت متأكدة؟ لا، لا بالتأكيد لم تفعلى هذا!"، صاح بتلك الكلمات بوضوح، ثم قال:"لا تبدئى فى التفكير هكذا يا مولى، لاكى أغرقت نفسها، أغرقت نفسها بكل تأكيد، فقد قطع هيلنجدون علاقته بها. ذهبت وألقت بنفسها فى الماء ـــ".

"لم تكن لاكى لتفعل هذا، لم تكن لتفعل هذا أبداً، ولكنى لم أقتلها، أقسم بأننى لم أفعل ".

"عزيزتى أنت لم تقومى بهذا بالتأكيد!"، وضع ذراعيه حولها ولكنها سحبت نفسها بعيداً عنه قائلة:

"أكره هذا المكان، كان يجب أن تعم السعادة والبهجة هذا المكان، كان من الواضح أن السعادة تحيط به دائماً. ولكن هذا لم يحدث، بدلاً من هذا يوجد ظلام غمامة سوداء كبيرة.... وأنا بداخلها ولا أستطيع الخروج ـــ".

ارتفع صوتها إلى حد الصراخ.

"اصمتى يا مولى، اصمتى من فضلك!"، دخل إلى الحمام وعاد بزجاجة.

"اشربى هذا. سأساعدك".

"أنا. أنا لا أستطيع أن أشرب أى شىء، إن أسنانى تصطك ببعضها البعض".

"يمكنك أن تشربى يا عزيزتى اجلسى، هنا على السرير"، وضع ذراعه حولها، ثم قام بتقريب الزجاجة من شفتيها قائلاً: "اشربيها الآن".

قالت الآنسة ماربل بوضوح:" جاكسون، اذهب إلى هناك، خذ الزجاجة منه وأمسكها بإحكام، كن حذراً، إنه قوى ومن الممكن أن يكون متحفزاً للغاية".

كان هناك صفات محددة فى جاكسون، كان هذا الرجل يعشق المال بشدة، ولقد وعده سيده بأن يدفع له المال، وكان هذا الرجل ذا مكانة رفيعة وسلطة كبيرة، وكان جاكسون أيضاً يتسم ببنيان جسمانى قوى وكان يدعم هذا بالتمارين، كان لا يستخدم

هذا الجسد ليفكر، وإنما ليقوم بما هو مطلوب.

ولهذا فقد عبر الغرفة بسرعة الضوء وذهبت يداه إلى الزجاجة التى كان تيم ممسكًا بها أمام شفتى مولى، ولف ذراعه الأخرى حول تيم، وبحركة سريعة من رسغه أمسك بالزجاجة، فاستدار تيم إليه بعنف ولكن جاكسون أمسكه بإحكام قائلاً:

"ما الذى تفعله يا هذا اتركنى، هل جننت؟ ما الذى تفعله؟".

قاومه تيم بعنف.

قالت الآنسة ماربل:" أمسكه بإحكام يا جاكسون".

"ما الذى يحدث؟ ما الأمر هنا؟".

دخل السيد رافيل من الباب الزجاجى متكئاً على إستر والترز.

صاح تيم:" أتسأل ما الذى يحدث؟ لقد أصيب رجلك بالجنون، لقد تملك الجنون منه، هذا هو الأمر، مره أن يتركنى".

قالت الآنسة ماربل:" لا".

التفت السيد رافيل إليها.

ثم قال:" تحدثى أيتها المنتقمة يجب أن نسمع منك شيئاً".

قالت الآنسة ماربل:" لقد كنت غبية وساذجة، ولكنى لست هكذا الآن، أراهن أنه عندما يتم تحليل محتويات هذه الزجاجة التى كان يحاول أن يقنع زوجته بتناول ما بها نعم أراهن بروحى الخالدة أنك سوف تجد أن تلك الزجاجة تحتوى على جرعة مميتة من المخدرات، إن هذا هو نفس الأسلوب، نفس أسلوب القاتل فى قصة الرائد بلجراف، زوجة فى حالة بائسة، وتريد أن تتخلص من حياتها وزوج ينقذها فى الوقت المناسب، ثم تنجح فى المرة الثانية، نعم، هذا هو الأسلوب الذى اتبعه ذلك القاتل. أخبرنى الرائد بلجراف القصة وأخرج الصورة ثم نظر إلى الأعلى ورأى ـــ".

أكمل السيد رافيل حديثها قائلاً:" من فوق كتفك اليمنى ـــ".

قالت الآنسة ماربل وهى تهز رأسها،" لا، لم ير شيئًا فوق كتفى اليمنى.

"ما الذى تقولينه؟ لقد أخبرتنى..".

"ما أخبرتك إياه كان خطأ، كنت مخطئة تمامًا، كنت غبية لأقصى حد، بدا لى أن الرائد بلجراف كان ينظر فوق كتفى اليمنى ويحملق فى الحقيقة فى شىء ما لكنه لم يستطع أن يرى شيئًا، لأنه كان ينظر بعينه اليسرى وكانت عينه اليسرى هى العين الزجاجية".

قال السيد رافيل:" أتذكر أنه كان ذا عين زجاجية. ربما قد نسيت أو أننى تعاملت

مع الأمر كشىء مسلم به أتعنين أنه لم يستطع أن يرى أى شىء؟".

قالت الآنسة ماربل:" بالتأكيد استطاع أن يرى. يستطيع أن يرى جيداً، ولكن يستطيع أن يرى بعين واحدة فقط، العين التى يستطيع أن يرى بها هى العين اليمنى، وبالتالى لقد كان ينظر إلى شىء ما أو شخص ما ليس على يمينى وإنما على يسارى".

"هل كان هناك أحد على يسارك؟".

قالت الآنسة ماربل:" نعم، كان تيم كندال وزوجته يجلسان بالقرب منا، كانا يجلسان على طاولة بجانب شجرة خزامى كبيرة، لقد كان يعملان هناك، لذا تبدلت ملامح الرائد، كانت عينه الزجاجية تحملق فوق كتفى اليمنى، ولكن ما رآه عن طريق عينه الأخرى كان رجلاً جالساً بجانب شجيرة خزامى وكان وجهه مماثلاً للوجه الذى فى الصورة ولكنه يبدو فقط أكبر قليلاً، أيضاً بجانب شجيرة خزامى، سمع تيم كندال القصة التى كان يرويها الرائد بلجراف وشعر بأن الرائد قد تعرف عليه، لذا اضطر بالتأكيد إلى أن يقتله، ثم بعد ذلك اضطر إلى أن يقتل تلك الفتاة فيكتوريا لأنها شاهدته وهو يضع علبة الأقراص فى غرفة الرائد بلجراف، فى البداية لم تفكر الفتاة فى أى شىء لأنه كان من الطبيعى بالتأكيد أن يدخل تيم كندال بيوت النزلاء فى مناسبات مختلفة، ربما ليعيد شيئاً نسيه أحد النزلاء على طاولة المطعم إلى الغرفة، ولكنها فكرت فى الأمر، ثم سألت بعض الأسئلة، وبالتالى اضطر إلى أن يتخلص منها، ولكن تلك ليست هى الجريمة المقصودة، ليست الجريمة التى كان يخطط لها منذ زمن طويل، فهو قاتل لزوجاته".

صرخ تيم كندال قائلاً:" ما هذا الهراء، ما ـ".

ندت صيحة مفاجئة فى الحجرة، صيحة غضب عنيفة، أبعدت إستر والترز نفسها عن السيد رافيل، بالأحرى طرحته أرضاً، وأسرعت عبر الغرفة، وسحبت جاكسون بشدة وقالت:

"دعه يذهب دعه يذهب، هذا ليس صحيحاً. ولا كلمة من هذا صحيحة، تيم تيم يا عزيزى، هذا ليس صحيحاً، لا يمكن أن تكون قد قتلت أى شخص، أعرف هذا، أعرف أنك لم تفعل هذا، إنها تلك الفتاة المريعة التى تزوجتها، إنها تنشر حولك أكاذيب فى كل مكان، وليس هناك شىء صحيح فيما تقوله، أنا أصدقك، أحبك وأثق بك. لن أصدق كلمة يقولها عنك أى أحد أبداً. سوف ـ".

ثم فقد تيم كندال سيطرته على نفسه ثم قال:

"بحق السماء اخرسى أيتها الغبية، اخرسى، ألا تستطيعين ذلك؟ هل تريدينني أن أشنق، اخرسى، أقول لك أغلقى هذا الفم الكبير القبيح".

قال السيد رافيل بهدوء:"يا لهذه المخلوقة الغبية إذن، هذه هى حقيقة الأمر، أليس كذلك؟".

الفصل الخامس والعشرون

الآنسة ماربل تستخدم خيالها

قال السيد رافيل:" إن هذا ما كان يحدث؟".

كان يجلس هو والآنسة ماربل بمفردهما.

قال لها:" لقد كانت على علاقة بتيم كندال، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل: "بالكاد يمكن أن تسميها "علاقة" كما أتخيل، على ما أعتقد أنها كانت عبارة عن ارتباط عاطفى مع احتمال وجود زواج فى المستقبل".

"ماذا بعد أن تموت زوجته؟".

"لا أعتقد أن إستر والترز المسكينة كانت تعرف أن مولى ستموت، أعتقد فقط أنها صدقت القصة التى قالها لها تيم كندال عن وقوع مولى فى حب رجل آخر، وأن الرجل قد لحق بها إلى هنا، وأعتقد أنها بنت آمالها على أن يحصل تيم على الطلاق، أعتقد أن ما قاله لها كله كان لا غبار عليه ولكنها كانت واقعة فى حبه بشدة".

قال السيد رافيل:" حسنًا، هذا أمر له ما يبرره، فهو شاب جذاب. ولكن ما الذى دعاه إلى الإيقاع بها هل تعلمين هذا أيضًا؟".

قالت الآنسة ماربل:"أنت تعلم، أليس كذلك؟".

"أستطيع أن أقول إن لدى فكرة، ولكن لا أعلم كيف عرفتها أنت، وبقدر ما سارت الأمور هكذا، فلا أعلم كيف عرف تيم كندال عن هذا الأمر".

"حسنًا، أعتقد أننى يمكننى شرح هذا بتفسير بسيط، إلا أنه سيكون من الأسهل أن تقول أنت لى".

قال السيد رافيل:" لن أخبرك"، أخبرينى أنت بما أنك بارعة للغاية هكذا".

قالت الآنسة ماربل:"حسنًا، يبدو لى أنه من المحتمل، كما أشرت لك سابقاً، أن رجلك جاكسون كان يفتش فى أوراقك من وقت إلى آخر".

قال السيد رافيل:" هذا محتمل للغاية، ولكن لم يكن يجب على أن أقول إنه كان هناك شىء يمكن أن يفيده، لقد حرصت على هذا الأمر".

قالت الآنسة ماربل:" أتخيل أنه قد قرأ وصيتك".

"فهمت. نعم، نعم، دائمًا ما أحمل معى نسخة من وصيتى".

قالت الآنسة ماربل:" لقد أخبرتنى بهذا، لقد أخبرتنى بأنك لم تترك أى شىء لإستر والترز فى وصيتك. ولقد قلت لها تلك الحقيقة وأيضًا قلتها لجاكسون، لقد كان الأمر حقيقيًا بالنسبة لجاكسون على ما أتخيل، فلم تترك له أى شىء، ولكنك تركت بعض الأموال لإستر والترز، مع أنك لم تكن لتدعها تعرف أى شىء عن تلك الحقيقة، أليس هذا صحيحًا؟".

"نعم، إن هذا صحيح للغاية، ولكنى لا أعلم كيف عرفت".

"حسنًا، إن طريقتك فى الحديث وإصرارك على إخفاء الأمر عنى هو ما ساعدنى على ذلك، فلدى خبرة كبيرة فى الطريقة التى يكذب الناس بها".

قال السيد رافيل:"حسنًا، لقد تركت لإستر 50000 جنيه استرلينى. هذا المبلغ كان سيمثل لها مفاجأة سارة عندما أموت. أعتقد أنه عندما عرف تيم كندال عن هذا الأمر، قرر أن يتخلص من زوجته الحالية بجرعة مناسبة من عقار ما، ويتزوج 5 جنيه استرلينى وإستر والترز، ومن المحتمل أن يتخلص منها فى الوقت المناسب أيضًا، ولكن من أين عرف أنها ستحصل على مبلغ الخمسين ألف جنيه استرلينى؟".

قالت الآنسة ماربل:" بالتأكيد قال له جاكسون هذا، فقد كانا صديقين حميمين. كان تيم كندال لطيفًا للغاية مع جاكسون بدون أى دافع حقيقى على ما أتخيل، ولكن أعتقد أنه قد زل لسان جاكسون فى أحد أحاديثهما وحكى له عن أن إستر سوف ترث مبلغاً كبيراً من المال، وربما يكون جاكسون نفسه تمنى أن يقنع إستر والترز بالزواج، على الرغم من أنه لم ينجح فى إثارة إعجابها. نعم، أعتقد أن تلك هى الطريقة التى حدث بها هذا الأمر".

"دائمًا ما تبدو الأشياء التى تتخيلينها جديرة بالتصديق للغاية".

قالت الآنسة ماربل:" ولكننى كنت غبية، غبية للغاية، إن كل شىء يبدو فى موضعه الصحيح كما ترى. كان تيم كندال رجلاً بارعًا للغاية، بالإضافة إلى كونه رجلاً خبيثـًا جدًا، كان بارعاً بالتحديد فى نشر الشائعات. أتخيل أن نصف الأشياء التى سمعتها هنا كان هو مصدرها الأساسى، كانت هناك بعض الحكايات التى تروى عن رغبة مولى فى الزواج من شاب غير مرغوب فيه، ولكنى أعتقد أن هذا الشاب غير المرغوب فيه هو نفسه تيم كندال، ولكن على الرغم من ذلك لم يكن هذا هو الاسم الذى كان يستعمله فى تلك الأثناء، سمع أهلها عن شىء ما، ربما أن ماضيه كان مليئاً بالأحداث السيئة، لذا تظاهر بأنه ساخط للغاية، ورفض أن تأخذه مولى "لتعرضه" على أهلها، ثم دبر مكيدة صغيرة معها والتى اعتبراها بمثابة دعابة مرحة، وهكذا ادعت أنها لم تعد تحبه، ثم ظهر السيد تيم كندال، وكان قد ذُكر اسمه كثيرًا عن طريق أصدقاء قدامى

عديدين لعائلة مولى، ورحبوا به بصدر رحب، معتبرين إياه أنه هو هذا الشاب الذى سيخرج هذا الشاب السابق سيئ السمعة من رأس مولى، أعتقد أنه هو ومولى قد ضحكا كثيراً من هذا الأمر، تزوجها على أى حال، وقام بشراء هذا المكان من الأشخاص الذين كانوا يديرونه قبل هذا بأموالها وأتوا إلى هنا، أتخيل أنه قد قفز قفزة هائلة عن طريق أموالها، ثم وجد إستر والترز ووجد مستقبلاً مشرقًا بأموال أكثر".

قال السيد رافيل:" إذن لماذا لم يقتلنى؟".

سعلت الآنسة ماربل ثم قالت:

"أعتقد أنه أراد أن يتأكد تمامًا من السيدة والترز قبل كل شىء، بالإضافة إلى أعنى..".

توقفت عن الحديث وهى مرتبكة قليلاً.

قال السيد رافيل:" بالإضافة إلى أنه عرف أنه لن يضطر للانتظار طويلاً، وأنه سيكون من الأفضل لى أن أموت ميتة طبيعية، وهذا أيضًا لكونى غنيًا، لأنه يتم التحقيق فى موت ذوى الثراء بدقة أكبر على عكس الزوجات العاديات، أليس كذلك؟".

قالت الآنسة ماربل:" إن كلامك هذا صحيح للغاية، هناك العديد من الأكاذيب التى نشرها، انظر إلى تلك الأكاذيب التى جعل مولى نفسها تصدقها مثل وضع هذا الكتاب عن الاضطرابات العقلية فى طريقها، وإعطائها بعض العقاقير التى كانت تسبب لها بعض الأحلام والهلاوس، لقد كان جاكسون بارعًا للغاية فى هذا الأمر. أعتقد أنه قد تعرف على أعراض مولى بأنها نتيجة لتعاطى المخدرات، ولقد دخل بيتهما فى هذا اليوم ليتأكد من وجودها فى الحمام، مرطب الوجه هذا الذى تفحصه، ربما كانت عنده فكرة من قصص الساحرات القديمة اللاتى كن يدلكن أجسادهن ببعض الدهانات التى تحتوى على بعض المخدرات، إن وضع عشبة البيلادونا المخدرة فى مرطب الوجه هو الذى يتسبب فى تلك النتيجة فقط، كانت مولى تعانى من فترات تفقد فيها ذاكرتها وبعض المواقف التى لا تستطيع تذكرها، وكانت تحلم أحلامًا وكأنها تطير فى الهواء ولا عجب فى أنها خشيت على نفسها فقد كانت تعانى من كل أعراض المرض العقلى، ولكن جاكسون كان يسير على الطريق الصحيح، ربما قد حصل على تلك الفكرة من قصص الرائد بلجراف عن استخدام السيدات الهنديات للأعشاب التى تسبب الهلوسة مع أزواجهن".

قال السيد رافيل:" الرائد بلجراف! حقًا، يا لهذا الرجل!".

"لقد تسبب فى مقتل نفسه، وتسبب أيضًا فى مقتل تلك الفتاة المسكينة فيكتوريا، وكان على وشك أن يتسبب فى مصرع مولى، ولكنه تعرف على القاتل جيداً".

قال السيد رافيل بحيرة:"ما الذى جعلك تتذكرين فجأة عينه الزجاجية؟".

شىء ما قالته سنيورا دى كاسبيرو، لقد قالت بعض الهراء عن كونه قبيحاً، وأنه كان لديه عين شريرة، وقد قلت إنها مجرد عين زجاجية، وأنه لا يستطيع أن يرى بها، يا لهذا المسكين، وقالت إن عينيه كانت غريبتى الشكل، حيث كان مصاباً بالحول وهذا بالتأكيد ما كان الأمر عليه، ولقد قالت إن هذا يجلب الحظ السيئ. لقد علمت علمت أننى سمعت شيئًـا مهماً ذاك اليوم، ولكن الليلة فقط، بالضبط بعد موت لاكى، فهمت الأمر! وعندئذٍ فهمت أنه لم يكن هناك وقت يمكن إضاعته...".

"كيف قتل تيم كندال السيدة الخطأ؟".

بمحض الصدفة، أعتقد أن خطته كانت كذلك: بعد أن أقنع كل الناس بمن فيهم مولى شخصياً بأنها تعانى من اختلالات عقلية، وبعد أن أعطاها جرعة محددة من العقار الذى كان يستخدمه، قال لها بينه وبينها إنهما سوف يحلان لغز جرائم القتل التى حدثت، ولكنه يجب عليها أن تساعده، فبعد أن ينام الجميع سوف يذهب كل منهما بمفرده ويلتقيان فى نقطة متفق عليها عند الجدول.

" ربما أخبرها بأن لديه معرفة كبيرة بمن يكون القاتل، وأنهما سوف يوقعان به، فعلت مولى ما قاله لها بكل طاعة ولكنها كانت مضطربة ومخدرة بفعل العقار الذى أخذته، ولقد أبطأ هذا من سرعتها فى الوصول إلى هناك. وصل تيم إلى هناك أولاً ورأى من اعتقد أنها مولى، شعر ذهبى ووشاح أخضر فاتح، أتى خلفها ووضع يده على فمها وألقاها فى المياه".

"يا لهذا الفتى البارع! ولكن ألم يكن من الأسهل أن يعطيها جرعة زائدة من المخدر؟".

"بالتأكيد هذا أسهل بكثير، ولكن كان يمكن لهذا أن يثير الشكوك إذا كنت تتذكر، فإنه قد تم إبعاد كل العقاقير والمسكنات عن متناول يدها بعناية فائقة، ولكن إذا حصلت على كمية جديدة منها، فمن برأيك سيكون هو الذى زودها غير زوجها؟ ولكن إذا ذهبت وأغرقت نفسها بينما ينام زوجها البرىء وهى واقعة تحت تأثير نوبة يأس فإن الأمر كله سيبدو وكأنه تراجيديا رومانية ولن يتوقع أى شخص أن هناك من أغرقها عن عمد"، ثم أضافت الآنسة ماربل قائلة:"بالإضافة إلى أنه دائماً ما يجد القتلة صعوبة فى ترك الأشياء تبدو بسيطة، لا يستطيعون أن يبعدوا أنفسهم عن التعقيد".

"تبدين مقتنعة، يبدو أنك تعرفين كل شىء عن القتلة! إذن أنت تعتقدين أن تيم لم يعرف أنه قد قتل المرأة الخطأ؟".

هزت الآنسة ماربل رأسها.

"لم ينظر حتى إلى وجهها، أسرع فقط فيما كان يفعله على قدر المستطاع، ثم ترك ساعة تمر، ثم بدأ فى تنظيم البحث عنها لاعبًا دور الزوج الحائر".

"ولكن ما الذى كانت تفعله مولى وهى تتجول بجانب الجدول فى منتصف الليل؟".

سعلت السيدة ماربل قليلاً ثم قالت:

"أعتقد أنه من المحتمل أنها كانت تنتظر شخصاً ما".

"هل هو إدوارد هيلنجدون؟".

قالت الآنسة ماربل:" لا، لقد انتهى هذا الأمر، ربما كانت ربما فقط كانت بانتظار جاكسون".

"هل كانت تنتظر جاكسون؟".

تمتمت الآنسة ماربل وهى تجول ببصرها ثم قالت:

"لقد لاحظتها تنظر إليه مرة أو اثنتين".

أصدر السيد رافيل صفيراً.

"جاكسون الخبيث اللعوب! لن أستبعد هذا! بالتأكيد أصيب تيم بصدمة عندما اكتشف أنه قد قتل المرأة الخطأ".

"نعم، فى الواقع، من المؤكد أنه قد شعر بيأس كبير. وفى تلك اللحظة كانت مولى لا تزال حية وتجول بالقرب من البيت، وتلك القصة التى نشرها عن حالتها العقلية لم تصمد دقيقة فور أن تم عرضها على متخصصين متميزين فى الأمراض العصبية. وبمجرد أن قالت قصتها عن اتفاق زوجها معها على مقابلته عند الجدول، فماذا كان سيحدث؟ لذلك كان لديه أمل واحد وهو أن يقضى على مولى فى أسرع وقت ممكن، بالتالى كانت هناك فرصة جيدة جداً لأن يعتقد كل الناس أن مولى، وهى واقعة تحت تأثير نوبة جنون، أغرقت لاكى، ثم قتلت نفسها بعد ذلك لأنها لم تتحمل وطأة ما قامت به".

قال السيد رافيل:" ثم قررت بعد ذلك أن تلعبى دور نمسيس، أليس كذلك؟".

انحنى للخلف فجأة ثم أطلق ضحكة مدوية.

ثم قال:" يالها من مزحة بارعة، آه لو عرفتى كيف كان يبدو شكلك تلك الليلة مع هذا الوشاح القرمزى الخفيف الذى وضعته على رأسك ووقفت هناك قائلة إنك رمز الانتقام! لن أنسى هذا أبداً!".

الخاتمة

حان وقت الرحيل وكانت الآنسة ماربل تنتظر طائرتها فى المطار، جاء العديد من الناس ليودعوها، وكان آل هيلنجدون قد سافروا بالفعل وذهب جريجورى دايسون إلى إحدى الجزر الأخرى وانتشرت الشائعات حول أنه مولع بأرملة أرجنتينية وعادت سنيورا دى كاسبيرو إلى أمريكا الجنوبية.

جاءت مولى لتودع الآنسة ماربل، كانت قد أصبحت ذابلة ونحيفة ولكنها واجهت صدمة اكتشافها للحقيقة بشجاعة، واستطاعت أن تدير الفندق عن طريق مساعدة أحد الأشخاص الذين رشحهم السيد رافيل للقيام بهذا الدور.

قال السيد رافيل معلقًا:"سوف يفيدك القيام ببعض الأعمال، سوف يبعدك هذا عن التفكير، فما تمتلكينه هنا شىء مميز".

"ألا تعتقد أن جرائم القتل ـــ".

قال لها السيد رافيل مؤكدًا:" يحب الناس جرائم القتل عندما تتضح كل خيوطها، استمرى يا فتاة وليكن عندك نفس الحماس، لا تفقدى ثقتك فى جميع الرجال لأنك قابلت واحداً سيئًا".

قالت مولى:" تتحدث مثل الآنسة ماربل، كانت دائمًا تقول لى إن فارس الأحلام سيأتى يومًا ما".

ابتسم السيد رافيل ابتسامة عريضة عند سماع هذه الكلمات العاطفية، كانت مولى موجودة هناك والأخوان بريسكوت والسيد رافيل، بالتأكيد، وإستر والتى أصبحت امرأة أخرى تبدو أكبر فى السن وأكثر حزنًا والتى أصبح السيد رافيل عطوفاً معها للغاية على غير المتوقع، كان جاكسون أيضًا واقفًا فى المقدمة مدعيًا بأنه يعتنى بحقائب الآنسة ماربل، كانت السعادة تغمره تلك الأيام، وعلم الجميع بأنه حصل على مبلغ كبير.

هنا ارتفع صوت يطن فى السماء، كادت الطائرة تصل. كانت الأمور سهلة وغير رسمية فى هذا المكان، فلم يكن المسافرون يحتاجون إلى الوقوف فى صفوف أو الانتظار فترة طويلة حتى يحين دورهم، فكل ما على المرء فعله هو الخروج من السرادق الذى تغطيه الزهور تجاه مدرج الطائرات.

قبلت مولى الآنسة ماربل قائلة:"إلى اللقاء يا عزيزتى الآنسة ماربل".

وسلمت عليها الآنسة بريسكوت بحرارة قائلة:"إلى اللقاء، حاولى أن تأتى لزيارتنا

مرة أخرى".

وقال جيريمى رجل الدين:" يسعدنى للغاية أننى قد تعرفت عليك. أكرر دعوة أختى بحرارة".

وقال جاكسون:" أتمنى لك التوفيق يا سيدتى، وتذكرى أنك إذا أردت جلسات تدليك مجانية فى أى وقت أرسلى لى تلغرافًا فقط وسوف نحدد ميعاداً".

ابتعدت إستر والترز فقط قليلاً عندما جاء دورها فى توديع الآنسة ماربل، لم ترغم الآنسة ماربل أى شخص على أن يودعها. أتى السيد رافيل فى النهاية، وأمسك بيدها، ثم قال باللاتينية:" نضحى بأنفسنا من أجل أن نراك مرة أخرى أيتها الملكة".

قالت الآنسة ماربل:" أخشى أننى لا أفهم اللغة اللاتينية".

"ولكنك فهمت هذا؟".

قالت:" نعم". ثم صمتت، أدركت تمامًا ما كان يقوله لها.

ثم قالت:"أسعدتنى معرفتك للغاية".

ثم سارت عبر الطريق الممهد وصعدت إلى الطائرة.

أجاثا كريستي

تُعرف أجاثا كريستي فى كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية، وهى تعد أكثر كاتبة نُشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات، ولم يفُقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتاباً، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى "السر الغامض فى ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش ممرضة. وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز، وقد نشرت الرواية بواسطة دار نشر The Bodley Head فى عام 1920.

وفى عام 1926، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها العظيمة "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟"، تلك الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر Collins والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتبة والناشر دامت لخمسين عاماً ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية، كما كانت رواية "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟" هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحياً ـ تحت عنوان Alibi ـــ واستمر عرضها بنجاح على مسرح ويست إند فى لندن لمدة طويلة، وقد تم افتتاح مسرحية "مصيدة الفئران" ـــ أشهر مسرحياتها على الإطلاق ـــ فى عام 1952، وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ .

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع" فى عام 1971، وتوفيت فى عام 1976. ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات Sleeping Murder وظهرت لاحقاً فى نفس عام وفاتها. بعد ذلك نُشرت السيرة الذاتية لها، ثم مجموعة القصص القصيرة Miss Marple's Final Cases و Problem at Pollensa Bay و While the Light Lasts، وفى عام 1998 تم تحويل أول مسرحية لها وهى Black Coffee إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو "تشارلز أوزبورن" .

جدول المحتويات

إهداء
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل السابع
الفصل الثامن
الفصل التاسع
الفصل العاشر
الفصل الحادي عشر
الفصل الثاني عشر
الفصل الثالث عشر
الفصل الرابع عشر
الفصل الخامس عشر
الفصل السادس عشر
الفصل السابع عشر
الفصل الثامن عشر
الفصل التاسع عشر
الفصل العشرون
الفصل الحادي والعشرون
الفصل الثاني والعشرون
الفصل الثالث والعشرون
الفصل الرابع والعشرون
الفصل الخامس والعشرون
الخاتمة

أجاثا كريستي